
خمسة فصول عن:
حرب أكتوبر
السيد الشوربجي

خمسة فصول عن حرب أكتوبر

تأليف

السيد الشوربجي

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة ت ٩٠٨٤٥٥

لوحة الغلاف بريشة الفنان :

جمـــال قطب

مقدمة الناشر :

لا شك أن التصدى للكتابة عن حرب أكتوبر يعتبر مسئولية تاريخية فضلا عن الأمانة العلمية التى ينبغى أن يلتزم بها الكاتب .. ومما لا شك فيه أيضا أنه لا مكان هنا لغير الحقيقة والحقيقة وحدها لأن الأمر يتصل بقضية من أخطر وأكبر قضايا العرب فى تاريخهم الحديث ..

وانطلاقا من الإحساس بهذه المسئولية والأمانة يقدم المؤلف هنا خمسة فصول عن حرب أكتوبر يتتبع فيها الحرب ابتداء من أسبابها حتى نتائجها .. فالحرب هى قمة الدراما الإنسانية ، الصراع فيها بالدم لا بالكلام .. والإنسان لا يختار طريق الحرب إلا حينما يفقد الاختيار ويصبح فى مواجهة طريق مسدود لا خلاص منه إلا بالتضحية الغالية .. وهذا هو الموقف الذى واجهه العرب بعد عدوان إسرائيل فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ وموقفها المتعنت المغرور الذى اتبعته طوال السنوات السابقة على أكتوبر .. يحلل المؤلف فى الفصل الأول أسباب الحرب وأهدافها .. وفى الفصل الثانى يتكلم عن مرحلة الإعداد للحرب .. الإعداد الداخلى والخارجى على المستويين السياسى والعسكرى ، وهى مرحلة صعبة ومليئة بالتضحيات والبطولات ولا تقل خطورة عن معارك الحرب ذاتها .. بل إنه بدون هذا الإعداد كانت الحرب تصبح معركة انتحارية لا ضمان لنجاحها .. وفى الفصل الثالث يتكلم المؤلف عن أول وأخطر معارك حرب أكتوبر .. معركة عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف المنيع .. شارحا فى ذلك مراحل تخطيط وتنفيذ هذه العملية البالغة الخطورة والدور الذى قام به كل سلاح من أسلحة الجيش ، وبطولات الرجال وتضحياتهم أثناء اجتياح خطوط العدو وفى مواجهة أسلحته التى تهاوت أمام إصرارهم وروحهم القتالية العالية ، مما جعل كل الخبراء العسكريين فى العالم يشهدون بأن المصريين فى هذه الحرب قد قاموا بمعجزة حقيقية على أى مقياس عسكرى ..

— فى الفصل الرابع يتكلم المؤلف عن معركة الجولان فى سوريا التى كانت هى الوجه الآخر لمعركة العبور والتى تشكل معها واحدة من أعظم واخلد معارك العرب فى التاريخ الحديث .. ثم معارك الدبابات الكبرى فى الجولان وسيناء التى كانت بشهادة كل الخبراء من اكبر واخطر معارك الدبابات فى التاريخ كله .. ويتتبع المؤلف بعد ذلك تطور سير المعارك حتى

الهجوم الإسرائيلى المضاد فى الدفرسوار وقرار وقف إطلاق النار .. وأخيرا معركة السويس المجيدة ..

— وفى الفصل الأخير يتناول المؤلف عرض وتحليل نتائج الحرب على كل المستويات .. داخليا وعربيا وعالميا .. ورد فعل الحرب على العدو وموقفه الآن واحتمالات المستقبل وما يمكن أن يسفر عنه مؤتمر جنيف ..

— والمؤلف فى عرضه وتحليله لكل هذه الأمور يدرك تماما مسئولية التصدى لهذا الموقف التاريخى الخطير .. فهو لا يجرى وراء الإثارة والشعارات .. ولا يعتمد إلا على الحقائق الصادقة الدقيقة التى نشرت فعلا سواء فى الداخل أو الخارج .. كما أن المعلومات المتعلقة بتطور سير المعارك مستمدة من تصريحات وأحاديث القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الأركان ، ومن محاضرات قادة الجيوش والأسلحة التى القوها فى أكاديمية ناصر العسكرية بعد الحرب .. فضلا عن تحليل البيانات العسكرية الرسمية التى كانت تشرح سير المعارك وتطورها أثناء الحرب ذاتها ..

— والمؤلف لا يكتفى بعرض الوثائق والحقائق وسردها .. بل يقوم بتحليلها واستقرائها وتقديم وجهة نظره وهو مدرك تماما وواع لأمانته العلمية ومسئوليته التاريخية باعتباره كاتبا له موقف ..

— والمؤسسة العربية الحديثة لهذا كله يسعدها ويشرفها أن تقدم هذا الكتاب الذى يعتبر مرجعا تاريخيا صادقا لكل أبعاد وجوانب حرب أكتوبر ..

المؤسسة العربية الحديثة

حمدى يوسف الحوثى

تقـديم :

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ طالبنى الكثيرون بكتابة عمل فنى جديد يعبر عن الروح الجديدة التى فجرتها فينا حرب أكتوبر .. وكنت قد كتبت قصة طويلة بعد نكسة يونيو ٦٧ عنوانها « أطول يوم فى تاريخ مصر » عبرت فيها عن تلك الفترة الممزقة التى عشناها بعد النكسة والتى كانت تبدو كلها كيوم واحد طويل مرهق لا تبدو له نهاية قريبة .. حتى كان يوم السادس من أكتوبر الذى غير كل شىء ..

ــ ولقد حاولت فعلا كتابة جزء ثان لرواية أطول يوم فى تاريخ مصر .. وبدأت فعلا فى تجميع الخيوط والعناصر اللازمة للعمل الفنى الجديد .. ولكن كل الخيوط كانت ما تلبث أن تتقطع ويكاد العمل الفنى يضيع منى فى زحمة الحقائق المتغيرة السريعة والانفعالات المباشرة الساخنة التى ولدتها هذه الحرب .. الأمر إذن يحتاج لفترة طويــلة حتى يستقر كل شىء وتصــبح الأحداث المتحركة بسرعة على السطح حقائق ثابتة كامنة فى الأعماق .. وتتحول الانفعالات الساخنة إلى سلوك طبيعى لا يستمد طاقته من لحظــة وقتية أو خبر مثير وإنما يستمدها من قيم جديدة حقيقية زرعتها انتصارات أكتوبر وقيم أخرى قديمة غيرتها هذه الانتصارات .. حينما تتحول الأخبار اليومية إلى حقائق ثابتة والانفعالات الوقتية الســريعة إلى سلوك وقيم متأصلة .. فى هذا الوقت يمكن للفنان أن يكتب .. لأنه بذلك لا يكون معبرا عن لحظة عابرة .. بل عن عصر جديد شق مجراه العميق فى حياتنا بأصالة وثبات .. والفن هذه مهمته .. هو لا يطنطن مع الأحداث .. لا يصــفق للذين ينتصرون .. ولكنه يتخطى الأحداث ليرى ما وراءها .. ثم هو يطالب المنتصرين بتحويل انتصارهم هذا إلى قيمة تغير حياة الناس وتضيف إليهم مكاسب جديدة .. إننا نريد من انتصارات أكتوبر أن تنقلنا إلى عصر أكثر حرية وكرامة ، وأكثر إيجابية ومشاركة من الناس فى صنع مصيرهم وتشكيل مستقبلهم وهذا هو ما يرقبه الفنان وما يبحث عنه من خلال ركام المعارك .. ماذا فعلت الحرب فى الناس ؟.. وذلك لا يتأتى اكتشافه إلا بعد أن تهمد المدافع وتهدأ الأنفاس ويعود الناس إلى حياتهم العادية ليروا ماذا فعلت بهم الحرب .. هل كسبوها حقا أم خسروها ..؟ وحساب المكسب والخسارة فى هذه الفترة لن يكون بمقدار ما حررنا من الأرض .. ولكن بمقدار ماحررنا من الإنسان .. حين تتأصل هذه القيم فعلا وتصبح حقائق تشكل ســلوك

الناس والمجتمع يمكننى أن أكتب الجزء الثانى لقصة أطول يوم فى تاريخ مصر .

— دورى إذن كفنان لن يبدأ الآن ..

— ولكنى كاتب أحمل القلم وأقدر على التعبير عن اللحظة الساخنة والحدث المتحرك والانفعالة الضرورية التى نحتاج إليها أيضا مع تحرك الأحداث .. فالجنود الذين يحاربون يتلفتون حولهم دائما ويسألون : ما هو رد الفعل لدى الناس ؟.. ماذا يقول الكتاب والفنانون ؟.. الكتاب والفنانون دائما هم نبض الأمة .. والجميع يريد تحسس النبض ومعرفة مدى تأثير هذه الأحداث العظيمة على الوجدان ..

— إذن لابد للكتاب والفنانين أيضا أن يتحركوا مع الأحداث وفى نفس اللحظات الساخنة .. وحركتهم هنا يمكن أن تأخذ أشكالا متعددة منها التعبير بالشعر .. بالموسيقى .. بالكلمة الساخنة المباشرة .. بالمسرحية التاريخية أو المسرحية ذات المشاهد القصيرة التى تواكب الأحداث .. ثم بالدراسة والتحليل للأحداث التى تجرى وتقييمها وإعطائها مدلولها الحقيقى الذى يمكن أن يساهم فى تعميق وتأصيل القيم الجديدة التى نحتاج إلى تأصيلها لمرحلة ما بعد الحرب ..

— فى هذا المجال مثلا كتب توفيق الحكيم عددا من المقالات كان آخرها اقتراحه الخاص بالتعمير الحضارى الذى يتعين علينا أن نخطط له ونجعله هدفنا الرئيسى فى مرحلة ما بعد الحرب ..

— من هذا أيضا ما كتبه نجيب محفوظ من مقالات مسلسلة عن دروس اكتوبر .. من الدرس الأول .. حتى الدرس العاشر ..

— إن أحدا منهما لم يجازف بكتابة رواية أو مسرحية حتى الآن .. ولكنهما لم يقعدا ويصمتا .. تصدى كل منهما للموقف بالأسلوب المباشر المطلوب لهذه اللحظة .. وتلك هى مهمة الكاتب حقا فى تلك اللحظات الساخنة .. عليه أن يساهم بقلمه بأى شكل .. ولاشك أن كل كلمة يكتبها سوف تحدث أثرا يتساند مع آثار المعارك والطلقات لتصنع فى النهاية الأثر الكبير الذى تنشده من حربنا العادلة الضرورية هذه ..

— ولقد رأيت أن تكون مساهمتى هى بهذا الكتاب الذى أرجو أن تكون كل كلمة فيه طلقة تفجر فى أعماقنا تلك الروح العظيمة التى حركت أبناءنا فى جبهات القتال حتى صنعوا المعجزات وأعطوا من تضحياتهم وبطولاتهم دروسا لو استوعبناها وتأصلت فينا لتغير كل شىء ولأصبحنا فعلا على عتبة يوم جديد يمكن أن أعتبره أعظم يوم فى تاريخ مصر .. بعد أطول يوم فى تاريخ مصر ..

السيد الشوربجى

الفصل الأول

أسباب الحرب وأهدافها

« لابد لنا أن نتذكر ولا ننسى ، كما لابد لغيرنا الا يتناسى حقيقة الأسباب التى من اجلها كانت حربنا .. إننا حاربنا من اجل السلام .. حاربنا من اجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السـلام القائم على العدل . إن عدونا يتحدث احيانا عن السلام ، ولكن شتان ما بين سلام العدوان وسلام العدل » .

الرئيس محمد أنور السادات

كانوا يتصورون أن حصون خط بارليف ستحميهم .. ولكن .. هؤلاء هم جنودنا الأبطال هناك

تمهيـــد :

عندما نتكلم عن حرب السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ ينبغى أن يكون أول ما نتناوله هو أسباب تلك الحرب وأهدافها ، لأن أحدا لا يريد الحرب لذاتها .. فالحرب كريهة ومريرة ولكنها أحيانا تكون ضرورية لعلاج أسباب أكثر كرها ومرارة .. وتلك هى حربنا مع إسرائيل .. حرب مفروضة علينا منذ اليوم الأول الذى زرع الاستعمار فيه إسرائيل فى قلب عالمنا العربى .. مفروضة علينا لحماية حياتنا ووجودنا ذاته .. لحماية حاضرنا ومستقبلنا .. ذلك أن إسرائيل قامت أساسا بالعدوان وتعيش منذ قيامها على العدوان .. فحربنا ضدها قامت أساسا لرد هذا العدوان وتحقيق السلام على أرضنا .. وهذا هو ما عبر عنه الرئيس محمد أنور السادات فى خطابه أمام مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر بقوله :

« لابد لنا أن نتذكر ولا ننسى ، كما لابد لغيرنا ألا يتناسى حقيقـــة الأسباب التى من أجلها كانت حربنا . إننا حاربنا من أجل السلام .. حاربنا من أجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السلام القائم على العدل ، إن عدونا يتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان ما بين ســـلام العدوان وسلام العدل » .

***

ولكى يتضح لنا ذلك فلابد أن نعرف الحقائق التالية :

أولا : إسرائيل قامت أصلا بالعدوان :

ذلك أن إسرائيل لم يكن لها وجود على خريطة العالم قبل عام ١٩٤٨ كانت الخريطة تحتوى على دولة عربية إسمها « فلسطين » يسكنها العرب ويعيشون على أرضها منذ آلاف السنين ، وكان السكان اليهود بها قلة قليلة ، ولكنها كانت تتمتع بكل حقوق المواطنين لأنهم كانوا أيضا من العرب . فالعرب فيهم المسلمون والمسيحيون واليهود .. الكل يتمتع بحقوق المواطن ، لا تفرقة ولا تفاضل ، وتلك هى القواعد الإنسانية العظيمة التى استقرت منذ الفتح الإسلامى وأصبحت دستورا للمنطقة .. لا تفرقة بسبب العنصر أو الدين .. لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. لكم دينكم ولى دين ..

— ولكن حدث فى عام ١٨٨١ أن هاجر إلى فلسطين ما يقرب من ثلاثة آلاف يهودى من روسيا وبولندا ، وكان ذلك على أثر مصرع قيصر روسيا الكسندر الثانى الذى قتل فى ذلك العام واتهم اليهود بقتله ، فقامت السلطات الروسية فى ذلك الوقت بالفتك والتنكيل باليهود فى كل أنحاء روسيا ، فهاجروا منها إلى غرب أوربا وأمريكا ولجأ منهم هؤلاء الآلاف الثلاثة إلى فلسطين .

— ورغم أن عرب فلسطين لم يمانعوا فى لجوء هؤلاء اليهود إلى بلادهم ومنحوهم حق الإقامة والعيش .. إلا أن هؤلاء اللاجئين كانوا هم بذرة النكبة كلها فلم يرعوا الجميل بل قابلوه بالإساءة .. وبدءوا عهدهم فى فلسطين بإنشاء مستعمرة لهم سموها « رشيون صهيون » وجعلوا منها نقطة ارتكاز للحركة الصهيونية فى فلسطين ..

— وتاريخ الحركة الصهيونية منذ ذلك الوقت طويل ومتشعب .. ولكن الذى يهمنا هنا هو أن نتذكر كيف أن تلك الحركة قد تواطأت مع الاستعمار العدوان على فلسطين واغتصاب أرضها وتشريد شعبها ، وقد اختاروا فلسطين بالذات لأنها تقع فى قلب العالم العربى الذى كان الاستعمار يحتل معظمه فى ذلك الوقت ، ويعمل جاهدا على إبقائه ضعيفا ومتخلفا حتى تسهل السيطرة عليه .. فوجد الصهاينة أن تعاونهم مع الاستعمار ممكن لأن احتلالهم لفلسطين فى قلب العالم العربى يحقق للاستعمار غايته .. وفى نفس الوقت يحقق غايتهم فى إنشاء دولة يهودية يحلمون بأن تكون قادرة فى يوم من الأيام على السيطرة على العالم .. فضلا عن أن اليهود يرتبطون بفلسطين بذكريات تاريخية دينية قديمة ستجعل من السهل عليهم إقناع يهود العالم بالهجرة إليها أو على الأقل التعاطف مع فكرة إنشاء دولة لليهود بها ..

— ونحن نعرف جميعا كيف أن بريطانيا التى كانت تمثل قمة الدول الاستعمارية فى ذلك الوقت هى التى ساعدت الصهاينة على اغتصاب فلسطين بدءا بوعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وانتهاء بتسليمهم الأراضى والمدن الفلسطينية بعد انتهاء انتدابها فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .. وخلال هذه الفترة ساعدتهم على إنشاء العصابات الإرهابية التى تكونت أساسا من جنود الفيلق اليهودى فى الجيش البريطانى .. والتى كانت هى نواة جيش إسرائيل الذى حارب العرب بعد ذلك واستولى على معظم المدن الفلسطينية بالإرهاب والمذابح كمذبحة يافا والقدس واللد والرملة ومذبحة دير ياسين الشهيرة ..

ثانيا : وعاشت إسرائيل منذ قيامها على العدوان ايضا :

وكما قامت إسرائيل بالعدوان الدموى على العرب واغتصاب أراضيهم وبالتواطؤ مع الاستعمار البريطانى ثم الأمريكى .. فإنها عاشت أيضا على العدوان .. فهى منذ قيامها لم تتوقف عن العدوان والتوسع .. وقد رفض قادة إسرائيل وضع خريطة لحدودها .. الخريطة الوحيدة التى يعترفون بها هى خريطة إسرائيل الكبرى التى يحلمون بها والتى تمتد حدودها من نهر النيل إلى نهر الفرات .. أى أنهم يريدون دولة تمتد من مصر إلى العراق وتضم سوريا ولبنان والأردن فضلا عن فلسطين التى اغتصبوا معظمها فى عام ١٩٤٨

— وهم لا يتركون فرصة لتحقيق حلمهم العدوانى هذا إلا واستغلوها ، وهم على استعداد للتعاون مع الشيطان فى سـبيل الاستيلاء على مزيد من الأرض العربية .. وقد جعلوا من كل فرد فى شـعبهم جنديا فى الجيش ، مدربا على حمل السلاح ، مستعدا للحرب فور استدعائه بالراديو .. مجتمع إسرائيل كله مجتمع عسكرى .. يعيش ويده على الزناد .. لا للدفاع عن نفسه كما يزعمون .. ولكن تربصا بأية فرصة تلوح للعدوان على العرب واحتلال أراضيهم ..

— وقد لاحت لهم هذه الفرصة للمرة الثانية فى عام ١٩٥٦

ثالثا : عدوان ١٩٥٦ :

حينما أممت مصر قناة السويس وثارت إنجلترا وفرنسا اللتان كانتـا تملكان معظم أسهم القناة وتحصلان على معظم أرباحها .. سارعت إسرائيل فى ذلك الوقت — بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا — لوضع خطة عدوان جديدة على مصر بغية احتلال شبه جزيرة سيناء .. وتمت الخطة العدوانية .. هاجمت جيوش إنجلترا وفرنسـا مصر .. واضطرت مصر إلى سـحبه جيشها من سيناء للدفاع عن باقى البلاد .. وانتهزت إسرائيل الفرصـة فسارعت باحتلال سيناء بلا حرب .. وادعت أنها انتصرت على مصر فى تلك المعركة الرخيصة التى كانت معركة تسلل وتآمر ، لا معركة مواجهة .. ولكن مصر استطاعت إرغام إسرائيل على سحب جيشها من سيناء تحت ضغط الرأى العام العالمى ، ووقوف القوى الشريفة فى جميع أنحاء العالم ضد هذا العدوان الغادر الرخيص ..

— وبدأت إسرائيل بعد إرغامها على الإنسحاب تدبر لعدوان جديد ، لأنها كما قلنا لا تستطيع أن تعيش إلا بالعدوان .

رابعا : عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ :

كانت الفترة التى أعقبت عدوان ١٩٥٦ بالنسبة لمصر فترة بناء داخلى.. كافحت مصر خلالها من أجل بناء نفسها ومجتمعها لتلحق بركب الحضارة .. وتأخذ لنفسها مكانا بين الدول .. خاصة وأنها هى أصل الحضارة وصاحبة أعظم تاريخ وأعرق شعب ..

خاضت مصر خلال هذه الفترة معركة التحرر الاقتصادى من سيطرة رءوس الأموال الأجنبية التى كانت تسيطر على معظم الشركات والمصارف وكل مرافق الحياة الاقتصادية .. واستطاعت مصر تمصير جميع الشركات والمصارف وتحريرها من السيطرة الأجنبية ..

ثم خاضت مصر بعد ذلك معركة البناء الاشتراكى للمجتمع ، بتحريره من سيطرة رأس المال الفردى وتحويل الثروة القومية إلى ملكية الشعب صاحب الحق الوحيد فيها .. فصدرت قرارات التأميم الشهيرة فى عام ١٩٦١

وطوال هذه المرحلة أيضا كانت مصر تخوض معركة التصنيع وتحويل مصر من دولة زراعية إلى دولة صناعية تستطيع كفاية نفسها والمساهمة فى رخاء المنطقة أيضا ..

ونجحت مصر فى بناء السد العالى الذى كان يعتبر أعظم مشروع هندسى فى العالم .. كما نجحت فى وضع الأساس لحركة التصنيع ببناء مصنع الحديد والصلب تمهيدا لبدء قيام الصناعات الثقيلة ..

وطوال هذه الفترة كانت مصر تعمل جاهدة وبكل قوتها وطاقتها على بناء نفسها وتدعيم مجتمعها وتحقيق الرفاهية لشعبها عن طريق التمصير فالتأميم فالتصنيع ..

وكانت مصر تشعر وهى فى سباقها هذا مع الزمن أن حركة البناء العظيمة هذه لا يمكن أن تنجح وأن تتم ما لم يكن لها جيش قوى يحميها من العدو الغادر المتربص على الحدود ، الذى زرعه الاستعمار فى قلب هذه المنطقة لضرب أية نهضة تقوم ، وإجهاض أي نجاح يحققه العرب .. ولذلك عملت مصر بجانب بناء مجتمعها الداخلى على بناء جيشها القوى لحماية هذا المجتمع .. ولكن إسرائيل كانت تتحين الفرص ، وكانت ترقب مع الاستعمار حركة البناء الداخلى فى مصر بكل الغيظ والتحفز لهدمه ..

— ولاحت لها الفرصة فى يونيو ١٩٦٧

— فقد وضعت خطة لاستدراج مصر إلى معركة لم تكن مصر مستعدة لها .. وجاء الاستدراج عن طريق العدوان على الشقيقة سوريا .. ولم تقدر مصر أن ذلك العدوان كان شركا منصوبا لاستدراجها وتحطيم قوتها بضربة مفاجئة واحدة .. وتصرفنا فى ذلك الوقت بلا تقدير للعواقب ودون دراسة واعية لما أعده العدو لنا من غدر وقوة .. وتوهمت مصر أنها تملك قوة لا تقهر ، وأنها تستطيع بمجرد تحريك قواتها إلى سيناء فى مظاهرة عسكرية ضخمة أن ترهب العدو وتردعه .. وكان هـــذا هو نفس ما يتمناه العدو ويريده .. أن تحرك مصر قواتها إلى قلب الصحراء ليسهل اصطيادها بعد ضرب الطيران وتحطيمه ، فتفقد القوات التى فى الصحراء غطاءها الجوى الذى يمكن أن يحميها ، ويخلو الميدان بذلك لطيران العدو وقواته الأرضية لضربها والقضاء عليها ..

وهذا هو ما حدث فعلا ..

قام طيران العدو بضربة مفاجئة على جميع المطارات المصرية فى صباح اليوم الخامس من يونيو ، فحطمها وحطم معظم الطائرات المصـــرية وهى رابضة على الأرض .

— ثم بدأ هجوما بالطيران وبالقوات المدرعة الأرضية على قواتنـــا بصحراء سيناء التى لم تجد أية حماية جوية تمنع عنها النيران الرهيبة التى بدأت قوات العدو تصبها عليها .. ورغم أن هـــذه القوات كانت تستطيع — مع حرمانها من الحماية الجوية — أن تقاتل ببسالة واستماتة تحت أى ظرف من الظروف .. ورغم أنها كانت تستطيع الصمود فى معركة طويلة ، كان يمكن أن تتحول مع الوقت ضد إسرائيل عندما نتمكن من تعويض الطيران — ذلك كله كان ممكنا — إلا أننا أصبنا فى ذلك الوقت بالشلل والانهيار من عنف الضربة الأولى .. فصدرت الأوامر للجيش بالانسحاب من سيناء ، اعتقادا بأن هذا الانسحاب سوف يحميه من الدمار ، ولكن حدث العكس للأسف .. فقد كان أمر الانسحاب هو سبب الكارثة كلها .. وكانت ضحايانا فى عملية الانسحاب تفوق عشرات المرات ضحايانا فى المعارك القليلة العظيمة التى خاضها رجالنا بشجاعة وشرف . وأدى أمر الانسحاب فى النهاية إلى تحطيم الجيش وســقوطه وفقدانه حوالى ٨٠ ٪ من معداته .. فضـــلا عن ضياع سيناء وقطاع غزة اللذين تمكنت إســـرائيل من احتلالهما دون حرب ، ثم استدارت على الشقيقة سوريا والشقيقة الأردن .. فواصلت القتال ضدهما بعد أن فرغت من الجبهة المصرية ، واستطاعت أن تحتل

هضبة الجولان السورية ، والضفة الغربية لنهر الأردن والقطاع العربى لمدينة القدس .

وكان وقع الصدمة على العرب مذهلا ومدمرا ..

فلم يكن الأمر أمر احتلال أرض فحسب ..

بل كان الأفدح من ذلك أن هذه المعركة الغادرة قد مرغت كرامة الأمة العربية فى التراب .. ولم يهب الرأى العام العالمى هذه المرة لإدانة العدوان الإسرائيلى كما حدث فى عدوان ١٩٥٦ ، بل كان رد الفعل عكس ذلك تماما .. احتقارا ومهانة للإنسان العربى .. لأن حجم الهزيمة كان بشعا لا يمكن تصوره .. والعالم يمكن أن يشفق ويناصر الضعيف .. ولكنه يحتقر الذى يباهى بقوته ثم يسقط من أول ضربة .. وهذا ما حدث لنا فى عام ١٩٦٧ ، فقد ملأنا الدنيا غرورا ودعاية لقوتنا وجيشنا الذى وصفناه وقتها بأنه « أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط » .. ثم كانت الضربة الأولى التى وجهتها له إسرائيل رغم أنها ضربة عدوانية مبيتة ، إلا أن الانهيار السريع تحت وقعها قد أنسى العالم حقيقة العدوان الإسرائيلى وما كان يجب أن يناله من إدانة وردع ..

— أيا كان الأمر ..

فبعدوان يونيو ١٩٦٧ ثبت لنا وللعالم كله بما لا يدع مجالا للشك أن إسرائيل تمثل رأس حربة عدوانية تهدد العالم العربى ، وتقف متربصة به لتحطيم قوته ، وإجهاض أية نهضة تقوم فيه ، متعاونة فى ذلك مع الاستعمار الغربى والأمريكى على وجه الخصوص الذى يمدها بالمال والسلاح ، ويفتح لها ترسانته الحربية ليمدها بأحدث أنواع الأسلحة والطائرات لتنفذ أهدافه وتحقق أطماعه فى المنطقة ، وتحمى احتكاراته البترولية الضخمة ..

— وكان لابد للعالم العربى أن يراجع نفسه ويعيد ترتيب أوضاعه ، لأن وجوده ذاته أصبح مهددا ومستقبله أصبح رهنا لذلك العدو المتربص به .

خامسا : الموقف بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ :

رغم وقع الصدمة وعنف الهزيمة إلا أن الشعب العربى فى كل مكان سرعان ما أفاق وأعلن رفض الهزيمة وارتفع شعار « لقد خسرنا معركة .. ولكننا لم نخسر الحرب » .. وصمم العرب بذلك على رفض الاستسلام واجتمع مؤتمر القمة العربى الأول بعد عدوان ١٩٦٧ فى مدينة الخرطوم فى أغسطس من نفس العام وأعلن أن العرب لن يستسلموا لإسرائيل .. وأنه

لا صلح معها ، ولا اعتراف بها ، ولا مفاوضة معها ، ولكن ذلك كله كان نابعا من موقف الشعور بالجرح .. وكان لابد من ذلك حتى يلتئم الجرح ويسترد الإنسان العربى تماسكه ليعيد تحديد موقفه .. وقد حدث هذا بعد معركة السادس من أكتوبر المجيدة ..

ولكن الطريق من يونيو ٦٧ إلى أكتوبر ٧٣ لم يكن سهلا .. لقد كان طريقا مريرا صعبا ، كله ألم ومعاناة ..

لقد كان علينا أن نصنع الكثير حتى نحقق الأهداف التالية :

١ — كان لابد من رد كرامة الإنسان العربى التى جرحت وأهدرت بسبب هزيمة يونيو .

٢ — كان لابد من وقف العـــدوان الإسرائيلى الذى كان يمكن أن يستمر ويجتاح فى طريقه كل أمل للحياة على أرض العرب ..

٣ — كان لابد بعد ذلك من استرداد الأرض التى احتلتها إسرائيل بعدوانها الغادر فى يونيو .

٤ — وكان لابد فى النهاية من الكفاح من أجل حل المشكلة الأصلية ، وهى مشكلة الشعب الفلسطينى الذى شردته إسرائيل واغتصبت أرضه .

● — وبعد هذا كله كان لابد من البحث عن طريق لضمان السلام لشعوب المنطقة التى عانت كثيرا من الحرب والعدوان منذ قيام إسرائيل .. سلام يضمن لكل شعب من شعوب هذه المنطقة ، بما فيهم الشعب اليهودى — إذا أراد — العيش فى أمان والاستفادة من كل موارده وثمرة عمله فى صنع الخبز بدلا من القنبلة .. وفى توفير الرخاء والمتعة بدل السلاح والدم ، وفى جعل الحياة أكثر جمالا بدلا من أن تصبح نهبا لشبح الموت والخراب الذى تأتى به الحرب ..

— وكافحت مصر من أجل هذا كله بجميع الوسائل السلمية أولا .. وبالإعداد لخوض معركة دامية أخرى إذا لم تنجح الوسائل السلمية .. فالحرب — كما قلنا — قد تكون ضرورية أيضا لصنع السلام ..

سادسا : قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ :

فلجأت مصر أولا للأمم المتحدة تعرض قضيتها وتطلب عدالة المجتمع الدولى وتدخله لرد العدوان وإعادة الأرض .. وبعد اجتماعات عسـيرة ومناقشات طويلة ومراوغات من إسرائيل وضغط من حليفتها الكبرى أمريكا ..

بعد هذا كله ورغم هذا كله استطاع مجلس الأمن أن يصل إلى صيغة قرار تقبله جميع الأطراف بما فيهم إسرائيل .. بل وأعلنت أمريكا وقتها أنها تضمن تنفيذه .. وكان ذلك هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ الذى نص على رفض مبدأ اكتساب الأراضى بالقوة ، وعلى وجوب انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية التى جرى احتلالها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، كما نص على وجوب رد الحقوق المشروعة الشعب الفلسطينى ، وإيجاد السبيل لتسوية المشكلة تسوية نهائية وذلك باحترام حق كل دولة من دول المنطقة فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، وحق جميع الدول فى المرور عبر الممرات المائية الدولية ..الخ.

ولكن إسرائيل امتنعت عن تنفيذ القرار ..

فرغم أنها أعلنت موافقتها عليه من حيث المبدأ عند صدوره .. إلا أنها ظلت تماطل وتسوف وتعطى للقرار تفسيرات غريبة وتشترط وجوب إجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين العرب أولا ودون قيد أو شرط .. وكانت رحلات السفير « جونار يارنج » مندوب الأمم المتحدة المعين لتنفيذ القرار .. كانت رحلاته الكثيرة المتكررة بين عواصم الدول العربية وإسرائيل ذهابا وإيابا .. وإيابا وذهابا .. دون نتيجة أو جدوى .. كانت رحلاته هذه تمثل مشهدا مثيرا يدعو للسخرية والمرارة ، لأن إسرائيل استطاعت أن تجعله يدور فى حلقة مفرغة ، وكان الرجل طويل البال فى صمت ، ولكنه فى النهاية لم يستطع فعل شىء فانزوى واعتزل ..

— وحاولت الدول الأربع الكبرى أن تصنع شيئا .. واجتمع مندوبوها اكثر من خمسين اجتماعا .. ولـكن المندوب الأمريكى كان يمثل إسرائيل اكثر من تمثيله لأمريكا .. وانتقل حبل المراوغة إلى قاعة اجتماعات الدول الكبرى .. فأخذت تنعقد وتنفض دون أن تصل إلى نتيجة حتى أصبحت هى الأخرى مثار السخرية والدهشة .. فآثرت السلامة وأوقفت اجتماعاتها دون ان تصل إلى نتيجة ..

وراحت إسرائيل تعربد فى المنطقة :

لم تكتف إسرائيل برفض قرار مجلس الأمن وتحدى إرادة المجتمع الدولى كله ، بل حاولت إخضاع العرب وجعلهم يستسلمون لها وييئسون من اى أمل فى إمكان تغيير هذا الواقع .. فراحت تشن هجمات عدوانية جديدة فى كل إتجاه .. وخاصة على سوريا وجنوب لبنان .. وقامت مرارا بغارات وحشية على المدنيين فى معسكرات اللاجئين فى لبنان وغيرها .. ووصل بها

الأمر لدرجة ضرب مدرسة الأطفال الابتدائية فى قرية «بحر البقر» المصرية ، وضرب مصنع للعمال فى منطقة أبى زعبل بمصر أيضا .. ولم تقف عند حد الإغارة بالطائرات ، بل تعدتها لدرجة الهجوم على الآمنين فى بيوتهم .. وفى قلب مدينة بيروت العربية ، وذلك بتدبير عملية قتل إجرامية ضد ثلاثة من كبار زعماء المقاومة الفلسطينية ، قتلتهم القوات الإسرائيلية التى تسللت إلى بيروت بمساعدة بعض العملاء والخونة ، وكان ذلك فى بيوتهم وبين نسائهم وأطفالهم وبينما هم نائمون آمنون فى جنح الليل .. ثم كانت جريمتها البشعة ضد طائرة الركاب المدنية الليبية التى أسقطتها المقاتلات الإسرائيلية عمدا ودون أى تبرير .. فقتلت أكثر من مائة ضحية بريئة تفحمت جثثها وتشوهت على رمال سيناء التى أسقطت فوقها الطائرة .. وكانت هذه الجريمة البشعة هى قمة المأساة وذروتهــا بالنسبة للضمير العربى الذى أحس وقتهــا بأن احتماله للمهانة قد فاق كل حد ، وأنه لابد من فعل أى شىء مهما كان الثمن .

— لقد تمكنت إسرائيل خلال تلك الفترة من فرض سيطرتها فعلا على المنطقة .. فراحت تعربد وتضرب فى كل اتجاه دون حسيب أو رقيب .. وأسكرها غرور القوة لدرجة أنها أخذت تتباهى وتعلن فى كل مكان وكل مناسبة أنها تملك جيشا لا يقهر .. بل لقد صرح أحد قادتها قبل حرب أكتوبر بأيام قليلة أن جيش إسرائيل يستطيع احتلال العالم العربى كله من الجزائر حتى العراق خلال أسبوع واحد ..

— وكان ذلك كله هو التحدى الأكبر للعرب جميعا ..

— هل يمكن أن يقبلوا المهانة إلى هذا الحد ثم يستشعروا للحياة معنى بعد ذلك ؟! أم أن الموت أهون ..؟

— وقبل العرب التحدى ..

— فكانت حرب أكتوبر المجيدة ..

***

ومن هذه الحقائق كلها نستطيع أن نستخلص أسباب الحرب وأهدافها.

فهناك أسباب تاريخية :

أولا : العدوان الصهيونى الأول على فلسطين الذى تمكن خلال عام ١٩٤٨ بمساعدة القوى الاستعمارية من احتلال معظم أرض فلسطين وتشريد معظم شعبها ..

ثانيا : التعاون والتنسيق المطلق بين إسرائيل والاستعمار العالمى الذى

يسعى لإضعاف العرب واستنزافهم دائما ، حتى تظل الدول العربية متخلفة ضعيفة لا تقوم لها قائمة ، فيسهل على إسرائيل السيطرة على المنطقة وتحقيق أحلامها ، ويسهل على الاستعمار استغلال ثروات الأرض العربية من بترول ومواد خام وأسواق .. الخ . وقد برز هذا التعاون فى أخطر صوره بعدوان ١٩٥٦ حين أممت مصر قناة السويس .. ثم فى عدوان ١٩٦٧ حين بدأت ثمار الثورة المصرية تنمو وتنجح ، وخاصة فى ميادين التصنيع والإنتاج .

وهناك اسباب مباشرة :

أولا : رفض إسرائيل الانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها خلال عدوان ١٩٦٧ ، وتحديها لكل قرارات الأمم المتحدة ، وذلك بتأييد وتنسيق تام مع القوى الاستعمارية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية .

ثانيا : العدوان الإسرائيلى المتكرر على الدول العربية المجاورة بدرجة جعلت أمن وسلام هذه الدول مهددا دائما .

ثالثا : النمو المتزايد للقوة العسكرية الإسرائيلية واطماع إسرائيل المعروفة فى المنطقة بالتعاون مع القوى الاستعمارية كلها بما أشعر العرب بأن وجودهم ذاته ومستقبلهم أصبح مهددا أيضا .

وهناك أسباب داخلية إنسانية :

وهذه الأسباب الداخلية الإنسانية ما هى إلا رد فعل للأسباب السياسية التى شرحناها ..

فأولا : شعور العرب بجرح الهزيمة التى نزلت بهم فى عام ١٩٦٧ ، وان كرامتهم لن تسترد إلا على أرض معركة أخرى .

ثانيا : التمزق الذى أصاب الإنسان العربى فى كل مكان وكاد يقضى على ثقة العربى فى نفسه وقدرته .

ثالثا : ردود الفعل الغاضبة والثائرة فى كل مكان وخاصة فى أوساط الشباب والطلبة الذين كانوا يرفضون الهزيمة ويطالبون بتحدى الواقع مهما كانت التضحيات ..

***

اما اهداف الحرب :

فهى تلافى كل هذه الأسباب والتخلص منها .. ولكن هناك أهداف بعيدة المدى واهداف عاجلة ..

الأهداف البعيدة المدى هى :

أولا : التخلص نهائيا من الخطر الذى يهدد العالم العربى من وجود دولة إسرائيل العدوانية العنصرية بوضعها الحالى، وذلك بتصفية هذا الوضع العدوانى العنصرى وإقامة دولة سلمية تضم الشعب الفلسطينى والإسرائيلى من مسلمين ومسيحيين ويهود .. من عرب وغيرهم .. فى مجتمع واحد يسعى لبناء حياته فى سلام وأمن بالتعاون مع كل شعوب المنطقة لا بالعدوان عليهم وتهديدهم .

ثانيا : إرساء أسس السلام والتقدم فى العالم العربى واستغلال كل موارد المنطقة فى تنميتها ، وتحقيق الرخاء لشعوبها بعيدا عن الصراعات الدموية والأطماع الاستعمارية التى مزقت المنطقة واستنزفتها طويلا طويلا .

ثالثا : تحقيق الوحدة العربية التى هى الضمان الوحيد لإمكان لحاق العرب بركب الحضارة ودخولهم إلى عصر العلم والتكنولوجيا وأخذهم مكانهم الجدير بهم كأمة عظيمة وشعب عريق كان له أعظم الأدوار فى صنع حضارة العالم وتقدمه ..

اما الأهداف العاجلة للحرب :

فكانت كما عبر عنها الرئيس أنور السادات فى خطابه يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ هى :

أولا : استعادة أراضينا المحتلة بعد سنة ١٩٦٧

ثانيا : إيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ..

وفى هذا قال الرئيس السادات :

« إن حربنا لم تكن من أجل العدوان ولكن ضد العدوان ، ولم نكن فى حربنا خارجين على القيم ولا القوانين التى ارتضاها مجتمع الدول لنفسه ، وسجلها فى ميثاق الأمم المتحدة الذى كتبته الشعوب الحرة بدمائها بعد انتصارها على الفاشية والنازية ، بل لعلنا نقول : إن حربنا هى استمرار للحرب الإنسانية ضد الفاشية والنازية ، وذلك لأن الصهيونية بدعاواها العنصرية وبمنطق التوسع بالبطش ليست إلا تكرارا هزيلا للفاشية والنازية ، يثير الازدراء ولا يثير الخوف ، يبعث على الاحتقار أكثر مما يبعث على الكراهية » .



أسلاك وأحجار وقضبان حديدية وحقول ألغام .. تحصينات خط بارليف التي كان العدو يتصور أنها حاجز المستحيل أمام قواتنا ..

الفصل الثاني

الإعداد للحــرب

« كان علينا أن نبني ونرفع مواقع قادرة على التحكم فى الشاطىء الغربى للقناة وفى الشاطىء الشرقى أيضا .. كان خط بارليف أمامنـــا يكشف مواقعنـــا .. ورحنا نبنى ونرفع ونكشف الضفة الشرقية ونتحكم فيها ، وكان ذلك عملا صعبا ، غاليا فى تكاليفه ، ولكنه كان ضروريا حتى أستطيع مســـاعدة قواتى وهى تعبر » .

المشير أحمد اسماعيل
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

إن حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تكن حربا مفاجئة ولا وليدة مصادفة أو حدثا عارضا ، بل كانت كما بينا استجابة طبيعية وضرورية لكل الظروف والأسباب التى أدت إليها .. فكان من الطبيعى أن نستعد لها ونعد ..

ولقد جرى الاستعداد للحرب على كل المستويات وفى جميع الميادين .. فالحرب ليست صراعا بالنار فى ميدان المعركة فقط ، ولكنها قبل ذلك وأهم منه صراع بالفكر والمنطق فى ميدان يتسع باتساع العالم كله ، لأنه بمقدار ما نستطيع كسب الأصدقاء وإقناع غير الأصدقاء بعدالة قضيتنا وحقنا يتسع التأييد العالمى لموقفنا حين تنطلق الشرارة الأولى ويدخل الصراع فى مرحلته الدموية الحاسمة ..

ومن هنا كان لابد من الإعداد للحرب على كل الميادين وفى كل الاتجاهات. وفيما يلى نبين كيف جرى الإعداد للحرب فى الميدان السياسى .. والداخلى .. والعربى .. وأخيرا فى الميدان العسكرى .

***

أولا : الإعداد السياسى

جرى تحركنا السياسى على كل المستويات وفى جميع الميادين الخارجية والعالمية .. على مستوى الشعوب والحكومات الصديقة وغير الصديقة ، وفى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية .. وكان تحركنا ناجحا ومؤثرا لسبب بسيط هو أن الحق كان معنا .. وكنا حريصين على أن نسمع العالم صوتنا ونوضح له حقيقة موقفنا وموقف إسرائيل .. لقد كنا ندرك أن كسب الرأى العام العالمى لصفنا هو نصف المعركة .. ومن هنا تحركنا بوعى واقتدار كما يتضح مما يلى :

موقف الرأى العام العالمى قبل ١٩٦٧ :

— استطاعت إسرائيل قبل حرب يونيو ٦٧ أن تحشد الرأى العام العالمى كله لصالحها .. وكانت دعايتها تقوم على أساس أنها دولة صغيرة تضم شعبا صغيرا مسالما يعيش وسط محيط هائل من الكراهية العربية .. قالوا إن عددهم مليونان .. وأن العرب حولهم مائة مليون .. وأنهم يريدون أن يعيشوا فى سلام .. ولكن العرب يأبون عليهم ذلك ويستعدون للانقضاض عليهم وإلقائهم فى البحر ..



جنود مصر فى سيناء

وكان الرجل العادى فى أوربا وأمريكا يقرأ هذا الكلام كل يوم فى صحافته ويسمعه فى إذاعته ، ويشعر بالإشفاق التام على إسرائيل والكراهية الشديدة للعرب .. وكان يتساءل لماذا يريد العرب ذلك ؟ لماذا لا يتركون الإسرائيليين يعيشون فى سلام وأمان ؟ وكان هذا الرجل العادى مخدوعا مضللا بفعل الدعاية الصهيونية المسيطرة على كل وسائل الإعلام والصحافة .. ولم يكن للأسف يعرف الحقيقة ..

لم يكن يعرف مثلا أن إسرائيل هذه لم يكن لها وجود قبل عام ١٩٤٨ ، وأنها قامت أساسا بالعدوان الدموى على الشعب الفلسطينى ، فقتلت من قتلت وشردت من شردت وغصبت بعد ذلك أرضه ومزارعه ومساكنه وكل شىء ..

— لم يكن يعرف أن العرب كانوا دائما هم المعتدى عليهم ، وأن إسرائيل هى التى كانت تشن الحرب وتستعد بعد كل عدوان لشن عدوان جديد .. ونسى العالم تواطؤ إسرائيل مع إنجلترا وفرنسا وعدوانها عام ١٩٥٦

— لم يكن الرجل العادى فى أوربا وأمريكا أيضا يعرف أن إسرائيل ارتكبت ضد العرب مذابح وأهوالا لو ذاعت وعرف أمرها لشابت من هولها الرءوس .. مذبحة دير ياسين .. وقبية .. وكفر قاسم .. ومذبحة غزة فى أعقاب عدوان ١٩٥٦ .. ومذابح وأعمال إجرامية نازية كثيرة لا تقع تحت حصر ..

— لم يكن الرجل العادى فى الخارج يعرف هذه الحقائق كلها ، وكان يعطف على إسرائيل ويكره العرب الذين صورهم الإسرائيليون على أنهم قوم معتدون متوحشون يريدون الإلقاء باليهود الأبرياء من سكان إسرائيل فى البحر ..

— وساعد على خداع الرأى العام العالمى أن الدول العربية لم تحاول القيام بحملة دعاية مضادة لتوضيح الحقائق وشرح القضية العربية على وجهها الصحيح وكشف حقيقة إسرائيل والدور الاستعمارى المدمر الذى تزاوله فى العالم العربى ..

— كما ساعد على شحن الرأى العام العالمى ضد العرب أيضا تصريحات بعض القادة العرب الذين كانوا يتكلمون كثيرا ولا يفعلون شيئا .. فقد كانوا فى كل مناسبة وفى غير مناسبة يعلنون أنهم سيقضون على إسرائيل .. وأن إسرائيل تحت أقدام العرب .. وأنها لا تحتمل نفخة أو « فعصة » بالقدم وينتهى كل شىء .. وكانت إسرائيل تنقل هذا

الكلام وتنشره فى كل مكان من العالم وتقول هذا هو الدليل على ما أقوله .. هذه هى تصريحات القادة العرب .. أليس هذا يؤكد لكم ما نقوله من أنهم **ينوون إبادتنا ؟**

— ظلت إسرائيل فى نظر العالم هى الضحية المسكينة الضعيفة المعتدى عليها .. وأن العرب هم المعتدون المتوحشون الذين يتربصون بها ..

موقف الرأى العام العالمى بعد معركة ١٩٦٧ :

— ثم كانت معركة يونيو ١٩٦٧ .. واعتقد الرأى العام العالمى فى أول الأمر أن العرب قد بدءوا بالهجوم على إسرائيل لإبادتها كما كانوا يقولون ، وأذاعت إسرائيل ذلك فى العالم فعلا .. وصدرت الصحف العالمية فى اليوم التالى لمعركة يونيو وهى تحمل عناوين ضخمة تقول إن العرب بدءوا معركة إبادة الإسرائيليين وطالبت الرأى العام العالمى بالوقوف مع إسرائيل لإنقاذها .. وفعلا انطلقت المظاهرات فى كل أنحاء أوربا وأمريكا تهتف ضد العرب وبحياة إسرائيل .. وفى الوقت الذى كنا نحن العرب نتعرض هنا لعدوان غادر شديد الوطأة ، وكانت مطاراتنا تدمر وجيشنا يضرب فى صحراء سيناء بالنابالم ، كانت صرخات المظاهرات فى جميع أنحاء العالم ترتفع ضدنا قائلة : ارفعوا أيديكم عن إسرائيل أيها العرب .. الموت للعرب والحياة لإسرائيل .. هكذا .

بل إن الرجل العادى فى الخارج ظل مخدوعا أيضا حتى بعد أن وصلته أنباء النصر الإسرائيلى .. فقد قامت الدعاية الإسرائيلية وقتذاك على القول إن إسرائيل حاربت بقوة وشجاعة وصدت الهجوم العربى الكاسح وأنها هزمت العرب لأنهم قوم متخلفون لا يجيدون حمل السلاح ولا يعرفون طريقة الحرب الحديثة .. بل أشاعت أن الجندى العربى جندى جبان يهرب عند المواجهة ولا يقوى على الصمود .. وبذلك تحول الرأى العام العالمى من الإشفاق والخوف على إسرائيل إلى احترامها وتقديرها والنظر إليها على أنها دولة صامدة شجاعة ، بينما أصبح شعور الرجل العادى فى أوربا وأمريكا نحو العرب شعور عداء وشماتة ..

تحركنا إزاء الرأى العام العالمى بعد معركة ١٩٦٧ :

— كانت هذه هى الأرض التى بدأنا نتحرك عليها بعد معركة يونيو ١٩٦٧ المريرة ..

— فكان لابد أولا وقبل كل شىء أن نجعل العالم يكتشف الحقيقة .. يكتشف حقيقة العرب وحقيقة إسرائيل ..

كان الإعداد السياسى للمعركة يقتضينا أولا وقبل كل شىء أن نقنع الرأى العام العالمى بأن إسرائيل ليست دولة صغيرة ضعيفة مهددة بالغرق والضياع وسط موج عربى كاسح كما كانوا يعتقدون .. وإنما هى قاعدة استعمارية عدوانية أنشأها الاستعمار فى قلب العالم العربى وسلحها بأقوى وأحدث الأسلحة وأمدها بمئات الآلاف من ملايين الدولارات لكى تعد نفسها للدور المطلوب منها كرأس حربة موجهة ضد القلب العربى لتندفع إليه فتدميه وتصيبه كلما طلب منها ذلك .. حتى يأتى الوقت الذى تتمكن فيه من قتله تماما .. لم تكن إسرائيل هى مليونين من السكان المسالمين الآمنين كما قالت وخدعت الرأى العام العالمى .. وإنما كانت مليونين من الجنود المدججين بالسلاح المتأهبين للعدوان فى كل لحظة ، وحينما تصدر إليهم الأوامر لضرب أية حركة عربية تحررية .. أو أية نهضة عربية حضارية .. بل كان وجود إسرائيل بهذا الشكل فى ذاته كافيا لاستنزاف العرب وجعلهم عاجزين دائما عن التقدم للأمام أو اللحاق بركب المدنية والعصر .

واستطعنا فعلا أن نثبت للعالم كله هذه الحقيقة ..

ولم يكن الأمر سهلا ولا كان مجرد كلام ودعاية .

خطوات التحرك :

لقد بذلنا الجهد والعرق .. فى كل المؤتمرات والمحافل الدولية .. فى كل المناسبات .. أرسلنا المبعوثين والمندوبين .. أقمنا الدليل تلو الدليل من خلال مواقفنا فى الأمم المتحدة والقرارات المتكررة لهذه المنظمة الدولية العالمية التى تحدتها إسرائيل ورفضت تنفيذ كل قراراتها .. أثبتنا للشعوب المتحررة والمناضلة من أجل حريتها وخاصة فى إفريقيا وآسيا أن إسرائيل لم تقف أبدا فى أى يوم من الأيام فى صف أى حركة من حركات التحرر .. بل كانت دائما تقف فى صف الجانب الآخر .. وأكثر من هذا كانت تتعاون وتتآمر مع القوى الاستعمارية المناهضة للحرية فى كل مكان ..

— ولم نترك فرصة إلا انتهزناها .. ولم نترك مؤتمرا دوليا إلا كشفنا فيه عن حقيقة إسرائيل .. كنا نريد لهذا العالم المخدوع أن يعرف الحقيقة .. فقط يعرف الحقيقة ولم نكن نريد شيئا غير هذا .. لأن هذا وحده كان يكفى لتغيير كفة الميزان ..

وبدأ الرأى العام العالمى يعرف الحقيقة :

— ومع مضى الوقت بدأ العالم يفيق .. شيئا فشيئا .. حين اكتشف

أن الارتباط الوثيق بين أمريكا وإسرائيل لم يكن مجرد عطف من أمريكا على إسرائيل أو التزام بحمايتها .. بل كان شيئا غير ذلك تماما .. كان ارتباط المصلحة والتآمر لتحقيق هدف واحد هو السيطرة على المنطقة وإخضاعها وجعلها ضعيفة منهارة حتى يسهل استنزافها ونهب ثرواتها .. وكانت أمريكا فى نظر كل أحرار العالم هى بطلة حرب فيتنام .. أو بمعنى أصح بطلة جريمة فيتنام التى هزت الرأى العام العالمى كله وجعلته يقف ضد أمريكا وفى صف الشعب الفيتنامى البطل .. وبدأ الكثيرون فى كل أنحاء العالم يكتشفون أن الشرق الأوسط فيتنام أخرى ، وأن أمريكا تزاول دورها فيه بواسطة إسرائيل ..

— اكتشف العالم أيضا حقيقة إسرائيل حين أفاق على صوت وأنات الضحايا الأبرياء فى معسكرات اللاجئين الذين كانوا يتعرضون كل يوم وكل ساعة لغارات إسرائيل الوحشية على مخيماتهم فى الأردن وجنوب لبنان وسوريا .. وعقب كل عدوان كان مجلس الأمن يجتمع ليبحث ويدين وكانت إسرائيل تخرج للعالم لسانها وتتحدى قرارات الإدانة هذه باستخفاف وسخرية .. بل لقد كان مندوبها يقف فى قلب قاعة مجلس الأمن والأمم المتحدة ويعلن قبل أن تبدأ المناقشة أن إسرائيل لن تعترف بأى قرار يصدر ضدها مهما كان .. وتساءل الناس فى كل مكان ما هى حقيقة إسرائيل هذه التى تملك القدرة على تحدى العالم كله بهذا الشكل ؟

— ثم اكتشف العالم حقيقة إسرائيل من خلال الصورة الجديدة التى أخذتها إسرائيل لنفسها .. فقد بلغ الغرور بقادتها إلى درجة أن نسوا النغمة القديمة التى أكسبتهم الرأى العام العالمى وراحوا يرددون فى صلافة وغرور أنهم يملكون أقوى جيش فى الشرق اوسط .. وأن جيشهم يستطيع أن يهزم وحده جميع الجيوش العربية مجتمعة .. لأنه جيش لا يقهر .. بل قالوا إن جيشهم أقوى من أى جيش أوربى .. أقوى من جيش إنجلترا .. وأقوى من جيش فرنسا .. وكادوا يقولون إنهم دولة عظمى أيضا ..

ما هذا الذى يقال .. والذى يحدث ؟

أهذه هى إسرائيل ؟

وكيف حدث هذا ؟

أهو النصر الذى حققته فى عام ١٩٦٧ ؟

لا ..

أبدا ..

لابد أن القصة كانت لها بداية أخرى .. وباستمرار البحث عن إجابة لهذه الأسئلة كلها بدأ الرأى العام العالمى يكشف الحقيقة ..

— تحركنا السياسى الكثيف المتواصل من جهة وتصرفات إســرائيل الإجرامية من جهة أخرى ..

— وتحدى إسرائيل للأمم المتحدة والمجتمع الدولى كله وغرور قادتها وتصريحاتهم المجنونة عن قوتهم التى لا تقهر من جهة ثالثة .. كل هذا كان كافيا لكى تبدأ الحقائق تتكشف ..

وبدأ الرأى العام العالمى يعيد النظر فى موقفه من إسرائيل ..

وكسبنا هذه المعركة السياسية الضخمة التى كانت ضرورية جــدا لتمهيد أرض المعركة العسكرية ..

***

ثانيا : الإعداد الداخلى

سوف تثبت الأيام أن أصعب معركة واجهناها حقيقة كانت هى معركتنا ضد الذات .. معركتنا مع أنفسنا .. معركتنا الداخلية .. أو بمعنى أصح عملية إعداد الجبهة الداخلية وعلاج التمزقات التى أصابتها بعد نكسة١٩٦٧

حالة الجبهة الداخلية بعد نكسة ١٩٦٧ :

لقد كان علينا أن نستعد للحرب وكل جسمنا مثخن بجراح النكسة .. واقسى الجراح كانت جراح النفس .. فجراح الجسد تهون ويمكن شفاؤها مع الوقت .. ولكن ماذا عن جراح النفس ..؟

تلك كانت المشكلة الكبرى ..

كيف نستعيد الثقة فى أنفسنا ؟

كيف نستطيع أن نتوازن مع الحقيقة المروعة التى واجهناها فجــأة وبلا مقدمات بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ؟ كيف يمكن أن ننطلق إلى معركة النصر من أرض الهزيمة .. ونحن فى ذهول ومرارة .. وغضب ..

الذهول والمرارة والغضب :

فالذهول أصاب الكثيرين منا بفقدان الثقة بالنفس .. بل وفقدان الثقة فى المستقبل .. وأدى هذا إلى لجوء كثير من الشباب إلى الهجرة والسفر للخارج للعمل والعيش هناك .. كان هذا نوعا من الهروب واليأس .. والمرارة أدت بالكثيرين منا إلى المبالغة فى تعذيب النفس .. إلى المبالغة فى اتهام أنفسنا بالقصور والتخلف لدرجة أن الأدب والفن بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ كان مليئا بالاتهام والإدانة والسخرية من الذات أكثر مما كان مبشرا بالأمل وإمكانية الخلاص .. كان أدبا ينضح مرارة وتعذيبا ..

ثم كان الغضب هو الانفجار الخارجى لشحنة الشعور الداخلى بكل هذه الانفعالات .. كان غضبا ممزقا .. كان الشباب يغضب ويثور ويتظاهر ولكنه لم يكن يعرف تماما ماذا يريد .. ولا ماذا يفعل .

الحرب النفسية التى كان يشنها العدو :

— وزاد فى هذا كله عنف الحرب النفسية التى كان يشنها علينا العدو ، والتى استهدف من ورائها أن يقنعنا بأننا عاجزون فعلا ومتخلفون ، وأنه لاأمل لنا فى الحل .. وذلك عن طريق ما يشيعه عن نفسه من أنه يملك جيشا لايقهر ، وأنه يملك أسلحة لاقبل لنا بمواجهتها ، وأننا إذا فكرنا فى خوض معركة ضده فسوف يدمر بلادنا تدميرا كاملا .. يدمر مصانعنا ومزارعنا .. وأنه سوف يحتل مزيدا من أراضينا .. وكنا نسمع هذا الكلام فنزداد ذهولا ومرارة وغضبا ..

معركتنا الكبرى مع انفسنا :

— وكان علينا أن نواجه هذا كله بمعركة كبيرة مع النفس ..

— كان علينا أن نراجع أنفسنا أولا ..

— هل صحيح أن ما حدث يمثل عجزنا وتفوق العدو ؟

— هل صحيح اننا شعب متخلف لا يملك القدرة على اللحاق بركب الحضارة والعصر ؟

— ومع الوقت بدأنا نفيق ..

— إن ما حدث لا يمكن أن يمثل حقيقتنا ولا حقيقة العدو ..

— **إن ما يهددوننا به ما هو إلا طبل أجوف وصراخ العاجز لكى يرهب القادر ..**

— نحن قادرون على أن نتخطى الهزيمة ونصنع النصر .. ولقد عبر الشعب عن ذلك فى لحظة صدق حقيقية حين انطلق يوم التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ يطالب باستمرار المعركة وعدم الاستسلام ..

— ولكن المسألة لم تكن سهلة أبدا ..

— لأن طول الوقت كان قاسيا ..

المعادلة الصعبة :

— كان علينا أن نجد حلا للمعادلة الصعبة .. إن الإعداد للمعركة يحتاج إلى وقت طويل .. بينما الوقت الطويل يزيد من تمزقنا وعذابنا .. ثم إن الإعداد للمعركة يحتاج إلى سرية تامة وصمت حتى لا يسمع عدونا ولا يعرف ماذا نفعل تماما .. ولكن الصمت كان فى ذات الوقت يجعل الجبهة الداخلية فى حيرة وعدم وضوح رؤية .. هل الصمت يعكس جدية العمل أم أنه يعكس مأساة العجز ؟ إن الصوت العالى أحيانا يرهب العدو ، ولكنه فى نفس الوقت يخدع النفس .. وتنكشف الحقيقة فى اللحظة الحاسمة التى لا مكان فيها لغير الحقيقة .. وفى الفترة السابقة على يونيو ٦٧ كان صوتنا عاليا جدا لدرجة أرهبت عدونا فعلا .. ولكن هذا الصوت العالى خدعنا نحن أيضا وجعلنا نقصر فى أشياء كثيرة .. بل فى كل شىء .. جعلنا نتصور أننا نملك زمام الموقف ، وأننا فعلاأقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط وأننا وأننا.. وغابت عنا حقيقة القصور فى الإعداد العلمى والاستعداد المبنى على التخطيط والدراسة والوعى .. حتى كانت لحظة المواجهة الحاسمة .. فسقط كل شىء فجأة .. لأننا فوجئنا ولم نكن قد أعددنا أنفسنا فعلا لكل الاحتمالات ..

الصمت والصبر :

— ولذلك كان علينا ألا نكرر الغلطة مرة أخرى .. وكان علينا أن نحتمل وطأة السرية والصمت وكانت القيادة تقول لنا دائما « الصمت والصبر » .. وكنا نتصور أنها تخدعنا بهذه الشعارات .. ولم تكن ثورات الشباب والطلبة إلا انعكاسا للتمزق الذى كانوا يعانونه نتيجة هذا الصمت والصبر .. ولو علموا الحقيقة وقتها لطالبوا بمزيد من الصمت والصبر ..

الصمود رغم كل شىء :

— لقد كان الكثيرون فى الخارج يتصورون أن مصر سوف تسقط من الداخل .. وكان عدونا ينتظر انهيارنا بين لحظة وأخرى ..

بل وراحوا يشيعون ويكتبون أن مصر سوف تفلس وسوف تواجه

مجاعة .. وسوف تحترق فى النهاية بنيران الحرب الأهلية فيأكل المصريون بعضهم بعضا بعد أن يكونوا قد وصلوا إلى حافة اليأس .

— وكان المراقبون الذين يقولون ذلك ويؤمنون به يصابون بالدهشة والذهول وهم يرون أن ذلك لم يحدث ..

— فمصر ظلت صامدة قوية .

— لم تفلس .. بل على العكس كان إنتاجها يزيد .. وكانت ميزانيتها تزيد كل عام عن العام السابق عليه .

لا مجاعة ولا أزمة تموين :

— لم تواجه مجاعة ولا حتى أزمة بسيطة من تلك الأزمات التى واجهتها شعوب كثيرة مرت بنفس المحنة .. شعوب أوربا مثلا فى الحرب العالمية الثانية كانت لا تجد كسرة الخبز .. كانت لا تجد البيض .. لا تجد السكر ولا الدقيق .. كانت تحلم بقطعة لحم .. وعاشوا سنين بأكملها على بقايا كل شىء لأن الحرب أكلت كل شىء .. بينما نحن فى مصر كنا نجد كل طلباتنا تملأ الأسواق .. وعندما كان يحدث اختناق أو عجز فى إحدى السلع كانت الحكومة تسرع بإيجاد حل لهذا العجز .. وكانت تسارع بتوفير السلعة الناقصة .. ولم ينقص الخبز أبدا من الأسواق .. ولا البيض .. ولا الزبد والدقيق .. ولم تختف اللحوم ولا الدجاج .. ولم نحرم من السكر .. بل لقد عاد السكر إلى السوق الحرة بعد أقل من شهرين من حظر تداوله خارج البطاقات ..

— وكان المراقبون يرون هذه الظواهر ويذهلون .. كيف تستطيع مصر ذلك كله رغم هذه الظروف القاتلة التى تمر بها ؟

لا بطالة ولا توقف إنتاج :

— ولم تواجه مصر بطالة ولا توقف الإنتاج .. كل الخريجين كانوا يعينون طبقا لنفس النظام عاما بعد عام .. ولم تتخلف عن أحدهم فرصته فى أن يجد عملا .. والإنتاج كان يزيد بمعدلات أكبر من معدلات زيادته قبل النكسة .. والمذهل أن مصر التى دفعت من ميزانيتها خمسة آلاف مليون جنيه للإعداد العسكرى وخمسة آلاف مليون أخرى تعويضات وخسائر .. مصر التى تحملت ذلك كله رغم كل ظروفها الصعبة .. استطاعت فى نفس الوقت أن تقيم مجمع الحديد والصلب وتضع حجر الأساس له فى أحلك أيام المحنة .. وأن نفتتحه مع بشائر نصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣

الشعوب العظيمة تجلوها المحن العظيمة :

— كيف حدث هذا كله إذن ؟

— لم تكن معجزة ولا أسطورة خارقة للعادة ، ولكنها مصر .. لقد تفجرت طاقاتها وأخرجت رصيدها الكامن الزاخر من الحيوية والقدرة والحضارة والأصالة ..

— إن مصر لا تموت أبدا .

— وهى صاحبة أعظم وأخلد حضارة فى التاريخ .

— وفى أيام المحن فإنها تخرج من مكامنها ما اختزنته من رصيد وقدرة وحيوية عبر آلاف السنين من الحضارة والحياة .. وهكذا الشعوب العظيمة لا تقتلها المحن ، ولكن تجلوها وتفجر طاقاتها وتجعلها أكثر قدرة على العطاء والنماء .. وهذا هو ما يفسر لماذا نجح الجندى المصرى البسيط فى خوض معركة السادس من اكتوبر بأحدث الأسلحة وأعقدها .. إن هذا الجندى يختزن فى أعماقه حضارة شعب عريق وتراث أمة أعطت العالم أعظم مايملك اليوم من فكر وتقدم .. وما أصدق المثل الذى يقول « مصر مقبرة الغزاة » .

ومصر شعبها لا يموت أبدا ..

هذه الأمثلة صحيحة وعميقة وقد أعطت الدلالة على صدقها من خلال تاريخ هذا البلد عبر آلاف السنين .. فلقد تحطم كل الغزاة والطامعين على أرض مصر ودفنوا وماتوا .. ولكن شعب مصر ظل هو هو .. حيا قويا قادرا ساخرا مرحا يضحك ويمرح ويعيش ..

الوحدة الوطنية للشعب المصرى عميقة الجذور :

— وأخيرا وليس آخرا ..

فإن الذين توقعوا أن مصر ستحترق فى النهاية بنيران حرب أهلية يأكل المصريون فيها بعضهم بعضا .. هؤلاء قد فوجئوا أيضا بأن الوحدة الوطنية للشعب المصرى كانت عميقة الجذور وصلبة لدرجة لم تزعزعها بعض الأحداث الفردية والتمزقات التى أصابتها من مرارة النكسة .. فلقد كانت سرعان ما تعود إلى التماسك والتغلب على الانفعالات الطائشة .. ذلك لأن الشعب المصرى بمختلف طوائفه وعقائده ونزعاته الدينية والاجتماعية هو شعب واحد متماسك مصبوب فى قالب واحد .. وارتباطه بأرضه وحبه لها أعمق بكثير من أى خلاف مذهبى أو فكرى .. الكل يؤمن بأن مصر أولا ومصر أخيرا .. فنحن جميعا بدون هذا الوطن العظيم هباء .. حياتنا منها ..

وحياتنا لها .. منها نستمد الحياة والروح .. ومن أجلها نبذل الحياة والروح مسيحيون ومسلمون .. تقدميون ومحافظون .. أغنياء وفقراء .. كلنا جمعنا نفس الشعور .. نفس الحب .. بنفس الدرجة .. وفى لحظة الخطر نجتمع كلنا حول أمنا العظيمة الخالدة مصر لنقول لها : بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .. فأنت أنت الحياة .. ولا حياة إلا بك يا مصر .

كيف تم إعداد الجبهة الداخلية للحرب :

من هذا كله نستطيع أن نكتشف الدروب التى سرنا عليها فى إعدادنا الداخلى ، أو بمعنى آخر فى إعداد الجبهة الداخلية للمعركة .

١ — مبدأ الصمت والصبر .. العمل الجاد فى صمت ودعوة الشعب إلى الصبر وعدم استعجال النتائج .

٢ — استمرار خطة التنمية وزيادة الإنتاج فى جميع المجالات والميادين .. تحت شعار يد تبنى ويد تحمل السلاح ..

٣ — الحفاظ على الوحدة الوطنية وتلاحم المواطنين جميعا فى صف واحد متين من أجل المصلحة العليا للوطن .

٤ — الحرص على توفير الحاجات الضرورية للشعب ، وتشغيل جميع الخريجين حتى لا يشعر المواطن بعبء الانتظار ووطأته ، وحتى لاتزيده الأزمة المادية تمزقا فوق تمزقه النفسى .

٥ — مواجهة غضبات الشباب وثوراتهم بالروح الأبوية الواعية التى تقدر أن هذه الغضبة ما هى إلا انعكاس لرغبة الشباب فى سرعة تخطى الهزيمة وتحقيق النصر .. وإذا كانت الظروف أحيانا قد اقتضت القسوة فى المعاملة فقد كان هذا من قبيل الحزم الضرورى لمنع تدهور الموقف وتحول الأمر من مجرد ظاهرة صحية إلى ظاهرة تدميرية أو حرب أهلية تحقق للعدو أمله فى تحطيم الجبهة الداخلية التى كانت هى الضمان الأول للمعركة ..

٦ — حشد طاقات الشعب والشباب بالذات فى خدمة المعركة وذلك بتدريب المتطوعين للدفاع المدنى والمقاومة الشعبية وإنشاء معسكرات التدريب فى جميع أنحاء الجمهورية ، وتقسيم الجمهورية إلى مناطق ووحدات كل وحدة منها مسئولة عن سلامتها وأمنها وقت الحرب .

المهم أننا لم نترك أى مجال من مجالات العمل الداخلى إلا وخضناه بتنظيم ووعى علمى مدروس لنحقق تماسك الجبهة الداخلية وصلابتها لتكون درعنا الواقية فى المعركة وقد نجح الإعداد الداخلى فعلا وكانت الجبهة الداخلية على مستوى المعركة .

ثالثا : الإعداد العربى

الأمة العربية امة واحدة .. هذه حقيقة لا مجرد شعار والعالم كله يعاملنا على اننا عرب .. والعربى فى أقصى بلاد المغرب مسئول أمام العالم كله عما يحدث للعربى فى اقصى شمال العراق .. وذلك لأن العرب فى كل مكان يشعرون بمشاعر واحدة وتجمعهم آمال وامانى واحدة .. وأى نصر يحققه اى عربى فى اى مكان يفرح له العرب جميعا ، وأى نكسة تحدث لأى بلد عربى فى أى مكان تصيب العرب جميعا بالألم والمرارة ..

— وقد تأكد الارتباط المصيرى للعرب جميعا من خلال المحن الأخيرة التى مرت بهم ..

— فلقد كانت نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ نكبة للعرب جميعا .. ذلك ان المعتدين على فلسطين لم يكونوا يستهدفون فقط أرض فلسطين .. بل كانوا يستهدفون أيضا السيطرة على كل أرض العرب وثرواتهم وتحطيم قوتهم واستنزاف حيويتهم كما رأينا من قبل ليسهل للمستعمر المتعاون معهم أن يظل مسيطرا على المنطقة ناهبا خيراتها ..

العرب بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ :

— ثم كانت نكسة يونيو ١٩٦٧ الجرح العميق الغائر الذى أصاب كرامة العرب وعزتهم بأكبر طعنة .. ولم يقتصر أثر هذه النكسة على دول المواجهة فقط ، بل أصابت المهانة جميع العرب فى جميع البلدان .. دول المواجهة وغيرها .. وكانت إسرائيل تقول فى العالم كله إنها هزمت مائة مليون عربى .. ورغم أن هذا كان تزييفا للحقيقة ، إلا أن شعور العرب جميعا بالمرارة والمهانة من نتيجة هذه الحرب جعلهم يقفون على نفس الأرض المخضبة بالدم والعار مع إخوانهم الذين أصابتهم النكسة إصابة مباشرة ..

— فالعرب سواء أرادوا أو رفضوا .. هم جميعا فى المعركة .. هم جميعا فى الصف .. يواجهون مصيرا واحدا ويعيشون قضية واحدة وأملا واحدا ..

الأطماع الاستعمارية ضد العرب :

— الأطماع الاستعمارية موجهة ضدهم ككتلة واحدة .. وتستهدف ما لديهم من ثروات فى أى موقع من أرضهم .. من المحيط إلى الخليج ..

وليس غريبا أن تحاول إسرائيل ضرب مصر وسوريا مثلا لكى تمكن لاحتكارات البترول فى السعودية والكويت وليبيا من السيطرة واستمرار النفوذ .. فالهدف ليس مصر وسوريا لذاتهما .. ولكن لإرهاب الباقين وإخضاعهم . ليس غريبا مثلا أن تضع إسرائيل خطة لمهاجمة مصر فتبدأ بمهاجمة سوريا حتى تستفز مصر فترد عليها فتعطيها الحجة التى تسعى إليها لضربها .. ليس غريبا مثلا أن تقوم إسرائيل بقصف بيروت بالقنابل انتقاما لعملية فدائية قام بها فلسطينيون فى أوربا ..

— إن الأمة العربية كلها جبهة واحدة فى مواجهة الاستعمار الذى يريد أساسا السيطرة على ثروات الأمة العربية ومنع نهضتها وقيامها يختار مكان ضربته فى أى اتجاه .. والضرب فى أى مكان يدمى كل مكان ..

الهدف ليس مصر ولا سوريا :

— من خلال هذه الحقائق كلها كان على العالم العربى أن يتحرك ويواجه مسئوليته .. فالمعركة ليست معركة مصر وحدها ولا سوريا وحدها .. ولا المقاومة الفلسطينية وحدها .. إن سقوط مصر — لا قدر الله — يمكن أن يترتب عليه سقوط الأمة العربية كلها .. وإن أحدا لا يستطيع أن يعرف ولا يستطيع أن يأمن أين تكون الضربة القادمة .. والدول العربية الغنية لم تكن لتستطيع أن تغلق خزائنها وتقول نحن لا شأن لنا .. نحن تكفينا أموالنا .. لأن هذه الأموال ذاتها هى التى تحرك العدوان على مصر رغم أن مصر ثروتها ليست مالا سائلا ، وإنما ثروتها رجال وخبرة وحضارة وأرض عظيمة العطاء .. وهذه كلها ثروات لا يمكن نهبها كما يمكن نهب ثروات الخزائن وأرصدة الدولارات .. فالذين يضربون مصر لن ينالوا شيئا من مصر مهما فعلوا .. ولكنهم يستهدفون أساسا الأمة العربية التى تلتف حول مصر وتحتمى بها باعتبارها الشقيقة الكبرى التى أعطتهم جميعا ورعتهم جميعا يوم كانت أراضيهم مجرد صحارى جرداء لا تجود بشىء .. ويستهدفون قبل كل شىء وبالذات هذه الدول العربية الغنية صاحبة الثروة البترولية الهائلة .. فنحن نعيش فى عالم أشبه بغابة الوحوش .. ملىء بالأطماع والأنانيات .. من يستطيع أن ينقض لا يردعه رادع من ضمير أو قيم .. والحكم للأقوى .. ويا ويل الغنى الذى لا يملك سلاحا يحمى به ثروته ..

— إن الصراع الذى نخوضه اليوم بدمائنا ما هو إلا صراع مطامع لقوى عالمية عاتية تستهدف السيطرة على ثرواتنا ونهبها وحرماننا منها .

— يكفى أن نعلم مثلا أن أرباح شركات البترول الأمريكية من استثماراتها فى العالم العربى تزيد على ألفى مليون دولار سنويا ..

— يكفى أن نعلم أن الأرصدة العربية فى المصارف الأجنبية تبلغ ثلث الأرصدة السائلة من النقد العالمى كله .. وتمثل أقوى قوة مؤثرة على مركز النقد العالمى .

امريكا تساعد إسرائيل باموال العرب :

— هذه الاستثمارات والثروات الهائلة كلها هى التى تحرك أطماع الاستعمار وعلى رأسه أمريكا نحو منطقتنا .. وهذا هو ما يفسر سر المساعدات الهائلة المذهلة التى تقدمها أمريكا لإسرائيل .. فأمريكا لم تكتف بمد إسرائيل بملايين الملايين من الدولارات كمساعدات ومعونات وقروض وتعويضات .. لم تكتف بمدها بأحدث أنواع الأسلحة والطائرات .. لم تكتف بجعلها فى مركز من القوة يوازى قوة العرب مجتمعين رغم أن النسبة بين إسرائيل والعرب ١ : ٥٠ ، لم تكتف أمريكا بذلك ، بل راحت فى سباق جنونى تفتح لها كل خزائنها وترسانات أسلحتها فى جميع أنحاء العالم لتنقذها من الانهيار حين انقضت عليها الجيوش العربية فى السادس من أكتوبر ..

إن الحقيقة التى يجب ألا تغيب عنا هى أن أمريكا بفعلها ذلك تؤكد وتثبت أن الأمر ليس أمر إسرائيل ، ولكنها تضع نفسها ومصيرها هى فى المعركة .. ولا تستغلى أى ثمن تتكلفه مهما كان لأنها تعرف أنها ستعوضه بسرعة من الأرباح الخيالية التى تحققها من استغلال البترول العربى والأرصدة العربية .. فهى تفعل كل هذا لكى تحمى احتكاراتها هى ولكيلا تضيع عليها إلى الأبد تلك الثروة الطائلة التى تجنيها من الأرض العربية .. هى تحاربنا بأموالنا .. تعطى لإسرائيل السلاح الذى تحاربنا به وتعوض ثمنه من ثرواتنا نحن ..

وأدرك العرب الحقيقة وتوحدوا :

— أدرك العرب هذه الحقائق كلها .. وكان لابد لهم أن يدركوها وأن نشرحها لهم وأن نتفق معهم على أن المعركة معركة الدول الغنية أولا .. ونحن هنا جنودها .. فنحن ندفع الثمن من دمائنا حتى نحمى ثروتهم .. وعليهم هم أن يدفعوا المال .. شعوب تضحى بالدم والروح .. وشعوب تضحى بالمال وجزء من الثروة .. فى تكامل ضرورى لكى نصنع النصر على العدو الذى يستهدف تحطيم روحنا ويستنزف منا الدم والثروة معا ..

واقتنعت الدول العربية ووضعت كل ثرواتها وكل إمكانياتها معنا فى المعركة .. لم تبخل ولم تتردد وكان نجاحنا فى إعداد الجبهة العربية لكل هذا العطاء والتضحية هو أعظم مدخل لنا إلى معركة أكتوبر المجيدة وهو أعظم ضمان للنصر .

***

رابعا : الإعداد العسكرى

إن الإعداد العسكرى للمعركة يعتبر فى ذاته ملحمة بطولية خالدة سوف يحفظها التاريخ ويرويها للأجيال القادمة ، كى تعى أعظم وأروع درس كتبه جيلنا هذا الذى عاش مرارة النكسة وحلاوة النصر خلال فترة زمنية تعتبر فترة عابرة قصيرة بمقياس حياة الأمم والشعوب .

وسط ظلام النكسة ووحشة الطريق :

بدأ الإعداد العسكرى للمعركة منذ الأيام الأولى التى أعقبت نكسة يونيو ١٩٦٧ .. وسط ظلام النكسة وجرح الهزيمة .. فى اللحظات التى كانت النفس فيها مكلومة موجوعة .. لحظات الألم الكبير .. لحظات المرارة والندم .. فى تلك الأيام واللحظات القاسية بدأنا نستعد للمعركة القادمة .. ارتفعنا فيها على كل الآلام والمرارات .. أخذنا من الجراح حافزا على النهوض .. ومن الآلام دافعا إلى العمل .. وكما قال الرئيس أنور السادات يوما « إن الأمم العظيمة تصنعها الآلام العظيمة » فقد كانت آلامنا العظيمة هى البداية التى تحركنا منها نحو حرب أكتوبر المجيدة التى سوف تثبت الأيام أنها كانت بداية عصر جديد لا يقتصر تأثيره على مصر وحدها ولا العرب وحدهم .. بل سيمتد أثره إلى العالم كله .. بداية عصر الأمم الصغيرة التى تعلمت من تجربة هذه الحرب أنها تستطيع باتحادها وإجماع آرائها أن تهزم اقوى قوى الأرض ، وأن تجعلها تركع على أقدامها .. وأنا لا أعنى هنا إسرائيل .. بل أعنى الذين يقفون وراء إسرائيل ويحركونها ..

ـــ كانت آلامنا العظيمة هى المحرك الأول لنا ، لأننا أمة عظيمة لاتستكين للهزيمة ولا تستسلم للنكسة .. والأمم العظيمة وحدها هى التى تسرع إلى النهوض والوقوف على قدميها بعد النكبة .. تتخطى النكبة وتجعل من آلام النفس طاقة تضىء أمامها الطريق بدل أن تتركها نارا تحرق فيها الحياة ..

متطلبات الإعداد العسكرى :

كان الإعداد العسكرى يحتاج إلى الكثير .. والكثير جدا ..

١ — كان يحتاج إلى سلاح غزير .. قوى .. حديث .. متطور .. يستطيع أن يقف ويواجه سلاح العدو الذى يحصل من أمريكا على أحدث الأسلحة وأخطرها ..

— لقد فقدنا فى معركة ٦٧ الخاسرة ٨٠ ٪ من أسلحتنا وكان السلاح الباقى لدينا سلاحا قديما متأخرا لا قيمة له أمام الأسلحة الألكترونية الحديثة التى بدأت أمريكا تزود بها إسرائيل .

— ومن هنا كان علينا أن نبدأ من الصفر بالنسبة لمشكلة التسليح .

٢ — وكان الإعداد العسكرى يحتاج إلى رجال .. ونحن لا ينقصنا الرجال . ولكن الرجال وحدهم لا يكفون .. فالجندى ليس بقوة العضلات .. الجندى بالإرادة .. والإيمان بالهدف .. ثم بالإعداد والتدريب المستمر الشاق حتى يصبح على مستوى المعركة الرهيبة التى تنتظره ..

٣ — وكان الإعداد العسكرى يحتاج إلى تخطيط سليم مبنى على الفكر العلمى المتقدم .. يحتاج إلى حل كل المشكلات ودراسة أرض المعركة وموقف العدو واحتمالات المواجهة ووضع الخطة اللازمة لهذا كله ..

٤ — وقبل هذا كله وبعده كان الإعداد العسكرى يقتضينا بناء قوة دفاعية سريعة نستطيع بها أن نحمى أنفسنا من أى هجوم مضاد للعدو وأى محاولة من جانبه لإجهاض استعدادنا وتحطيم محاولاتنا لبناء قوتنا العسكرية الهجومية اللازمة ..

***

ولقد جرى هذا كله تحت شعار « مرحلة الصمود » .. ولأبدأ بالكلام عن هذه المرحلة .

مرحلة الصمود وبناء القوة الدفاعية :

فى الأيام الأولى التى أعقبت النكسة استطاعت القيادة أن تجمع بسرعة كل القوات الباقية والأسلحة الباقية وتبنى بها خطا دفاعيا على الضفة الغربية للقناة وعلى الجزء الساحلى البسيط من الضفة الشرقية الذى بقى تحت أيدينا من بور فؤاد حتى رأس العش ..

— ولقد جرى بناء هذا الخط الدفاعى بروح عالية من الإخلاص والتفانى كان الجميع على مستوى المسئولية .. يشعرون أن مصير الوطن كله معلق بهذه اللحظات الصعبة .. لأنه بدون هذا الخط الدفاعى فإن العدو سيصبح

مسيطرا علينا .. قادرا على منعنا من عمل اى شىء او الإقدام على أى استعداد .

معركة رأس العش :

ولقد حاول العدو أن يختبر مدى قوة وصلابة هذا الخط الدفاعى الذى بدأنا نبنيه .. ففى الساعات الأولى من صباح يوم أول يوليو ١٩٦٧ أى بعد أقل من ثلاثة أسابيع من النكسة .. فى هذا اليوم تقدم طابور مدرع للعدو فى محاولة لاحتلال الشريط الساحلى الذى بقى فى أيدينا من راس العش إلى بور فؤاد .. ولم تكن لنا قوات مدرعة فى هذا الموقع .. ولكن كانت لدينا إرادة جريحة وغاضبة .. إرادة مستميتة على ألا تمكن العدو من تحقيق أى كسب آخر بعد كارثة يونيو .. فدفعنا بعدد من أفراد القوات الخاصة لمواجهة دبابات العدو .. كانوا ثلاثين مقاتلا لا تحملهم دبابات ولا مجنزرات وإنما تحملهم أقدامهم .. سلاحهم على أكتافهم .. وأرواحهم على أكفهم .. وأخذوا مواقعهم فى انتظار تقدم العدو من مرمى نيرانهم لتدميره .. وفعلا .. ما أن تقدمت دبابات العدو حتى انهالوا عليها بصواريخهم المضادة للدبابات فأصابوا مقدمة الطابور ودمروا عددا من دباباته وعرباته المجنزرة مما اضطر باقى الطابور إلى الانسحاب بسرعة قبل أن تدمره صواريخ الرجال .. وعاود العدو نفس المحاولة بطريقة أخرى .. ولكن رجالنا كانوا فى انتظاره دائما .. وأدرك العدو أنه لا فائدة .. فعدل عن محاولاته نهائيا .. وبقيت رأس العش والشريط الساحلى حتى بور فؤاد فى أيدى قواتنا حتى تم تحرير باقى الساحل الشرقى فى المعركة الكبرى يوم ٦ أكتوبر .

المعركة الجوية يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٦٧ :

كان سلاحنا الجوى هو أكثر أسلحة الجيش مرارة وألما لما حدث فى يونيو ١٩٦٧ .. لأن ما أصابه كان مذهلا .. كان شيئا لا يصدق .. فقد ضربت معظم طائراته وهى على الأرض .. وعجز عن أن يفعل شيئا بعد ذلك .. كان الطيارون يرون طائراتهم وقد تحولت إلى حطام على الأرض بينما قواتهم الأرضية تضرب فى قلب سيناء دون حماية أو ردع .. وكانوا فى شوق للثأر .. كانوا ينتظرون اليوم الذى يستطيعون فيه الانقضاض على قوات العدو لتأديبها والانتقام مما فعلوه فى يونيو .. واستعجلوا هذا اليوم بلهفة كبرى .. وجاءتهم الطائرات الجديدة عبر الجسر الجوى .. وكانوا يضغطون ويلحون على قيادتهم أن تعطيهم الفرصة لضرب قوات العدو .. ووافقت القيادة على أن تقوم بعملية انتحارية فى وقت كنا فيه لم نستكمل حتى

بناء الخط الدفاعى .. ولكنها كانت عملية ضرورية لتنبيه العدو إلى أننا أصبحنا قادرين على الدفاع عن أنفسنا لو حدثته نفسه بأى عدوان جديد .. وكانت ضرورية أيضا لكسر غروره ووقاحته .. فقد دأب جنوده فى سيناء على استعراض أنفسهم أمام قواتنا الجريحة فى مشهد زهو وخيلاء بقصد تحطيم روحنا المعنوية وإذلالنا .. وكان لابد من تأديب هذه القوات حتى تلزم حدودها .. وحين صدرت الأوامر للطيارين للقيام بهذه العملية الانتحارية اندفع الجميع إلى طائراتهم وانقضوا بها فى مشهد بطولى مذهل على قوات العدو فى الضفة الشرقية .. وأحالوا أرض سيناء فى ذلك اليوم إلى جحيم يحرق كل ما فيه .. حتى أن أحد المراسلين الأجانب وصف الجنود الإسرائيليين فى هذا اليوم بقوله إنهم كانوا يجرون فى كل اتجاه هربا من النيران .. كانوا يدفنون أنفسهم فى الرمال فتشتعل النيران حولهم .. كان هذا اليوم من أسود الأيام التى شهدتها إسرائيل بعد نشوة الانتصار الذى اختطفوه فى يونيو ..

ومنذ ذلك اليوم لم يعد الجنود الإسرائيليون يستعرضون أنفسهم على الضفة الأخرى للقناة .. وإنما لزموا الخنادق .. وراحوا يبنون الاستحكامات لأنهم تأكدوا أننا لن نتركهم أبدا ..

ثم كانت معركة إغراق المدمرة إيلات :

كان ذلك يوم ٣١ أكتوبر من نفس عام ١٩٦٧ أيضا .. ففى الساعة الخامسة و٣٨ دقيقة بعد ظهر ذلك اليوم رصدت قواتنا البحرية إحدى مدمرات العدو وهى تقترب من ميناء بورسعيد .. لقد جربوا من قبل الهجوم الأرضى من ناحية رأس العش ولم يستطيعوا شيئا .. وها هم يحاولون عن طريق البحر .. كانوا يريدون اختبار مدى قوتنا على مواجهتهم من البحر .. وهاجموا بمدمرة وهى قوة بحرية ضخمة وكانت تعد ثانى أضخم قطعة بحرية فى أسطول إسرائيل.. وصدرت الأوامر بالتصدى لها ومقاومتها بأى ثمن.. ولقد كانت العملية صعبة .. فالتصدى لمدمرة يحتاج لمدمرة مثلها .. ولم تكن قواتنا بميناء بورسعيد فى ذلك الوقت تحتوى على مدمرات .. كانت هناك زوارق صاروخية صغيرة لا تقاس قوتها بقوة مدمرة .. فالمدمرة تستطيع بمدفعيتها أن تدمر أية زوارق تقترب منها .. كانت العملية تحتاج إلى روح فدائية وبطولة رجال .. ولم تكن تنقصنا هذه الروح .. وكان كل رجالنا أبطالا وعلى مستوى الموقف .. واندفعت ثلاثة زوارق لمحاصرة المدمرة وضربها .. اندفعت دون خوف من مدفعية المدمرة .. إذ كان لابد من التصدى لها بأى ثمن .. وليكن ما يكون .. لقد مضى عهد الانسحاب .. لن يعود

جنودنا إلى الانسحاب مرة أخرى من أى موقع مهما كان هجوم العدو .. الموت فى الموقع ولا انسحاب .. لقد رفع جنودنا هذا الشعار .. المقاومة حتى آخر طلقة .. ولا انسحاب أبدا .. وتقدمت الزوارق الثلاثة .. وأطلقت أول صاروخ .. وكان صاروخا قاتلا .. أصاب المدمرة فى وسطها فانشقت وتزلزلت واندفع الماء إليها وسقط كل من عليها بين الصراخ والذهول ووسط بحر من الدماء .. وانطلق الصاروخ الثانى فأصاب غرفة الماكينات فدمرها تماما وتوقفت المدمرة عن الحركة .. ثم كان الصاروخ الثالث هو الضربة القاضية .. تحطمت المدمرة تماما .. وبدأت تهوى إلى القاع .. وبدأ كل من عليها من جنود العدو المغرورين المنتشين بفرحة نصرهم الزائف .. بدءوا يلقون بأنفسهم إلى الماء فى مشهد مروع والدم ينزف منهم .. وصرخاتهم تتعالى .. وفى قاع البحر كانت تنتظرهم الحيتان للتغذى على أجسادهم التى طالما تغذت هى على دماء الضحايا من أبنائنا وأبناء فلسطين الجريحة .

***

كل شيء من أجل المعركة :

طوال الوقت .. طوال مرحلة بناء خطنا الدفاعى .. طوال مرحلة الصمود .. كانت عملية التسلح مستمرة .. الجسر الجوى بيننا وبين الاتحاد السوفييتى لم يتوقف .. ويجب علينا أن نذكر بالتقدير والاعزاز هذا الموقف الذى وقفه الاتحاد السوفييتى منا .. فلقد سارع بنجدتنا بالسلاح .. أرسل إلينا بسرعة هائلة الأسلحة التى نحتاج إليها لبناء خطنا الدفاعى .. طائرات .. دبابات .. مدفعية ثقيلة وخفيفة .. صواريخ .. ذخائر ..

— ولم تبخل مصر على بناء قوتها العسكرية هذه ..

— لقد دفعت ثمن هذا السلاح كله من قوتها وقوت شعبها .. لقد كنا فى حاجة إلى كل قرش من هذا الثمن لنبنى مجتمعنا ونوفر الرخاء لكل فرد يعيش على أرضه .. لقد كنا نريد العيش فى سلام وتوجيه مواردنا لبناء مزيد من المصانع والمدارس والمزارع .. كنا نحتاج إلى حشد كل مواردنا فى إصلاح أراضينا البور .. فى تشغيل أبنائنا العاطلين .. فى تعليم شعبنا الذى حرم طول عهود الاستعمار من فرصة العلم والنور فأصبحت نسبة الأمية فيه عالية .. وكنا نحتاج إلى الكثير حتى نقضى على هذه المأساة ونفتح أبواب العلم والنور أمام كل فرد يعيش على أرضنا .. كنا نحتاج إلى كل مواردنا لنبنى للحياة والرخاء والمستقبل .. ولكن المعتدين أبوا علينا إلا الحرب والعدوان .. أصبح حاضرنا مهددا ومستقبلا ضبابا .. أصبحت الحياة حولنا مقفرة .. ملبدة

بغيوم الظلام .. وكان لابد أن نتحمل ونمضى وسط هـذا الظلام المطبق نتلمس طريقنا الجديد نحو مستقبل نريده لأجيالنا القادمة مضيئا لا تهدده أشباح الحرب ولا غربان الموت .. وتحملنا .. وقررنا أن نضع كل شىء من أجل المعركة .. لا رغبة فى الحرب ، بل رغبة فى السلام .. لا سعيا وراء الموت ، ولكن من أجل الحياة .. فلقد أصبح سلامنا وبقاؤنا مرتبطين بالحرب. كان لابد أن نحارب حتى نستطيع العيش فى سلام بعد ذلك .. وكان لابد أن ندفع كل ما نملك وأغلى ما نملك من أجل الاعداد لهذه الحرب .. والسلاح ثمنه غال .. ولكن الهدف أغلى .. وكل غال يهون ويرخص فى سبيل تحرير الأرض والإنسان .. تحرير الأرض من العـدو .. وتحرير الإنسان من الخوف ..

دفعنا عشرة آلاف مليون جنيه :

— ودفعنا طوال السنوات الست التى سبقت المعركة خمسة آلاف مليون جنيه ثمنا للسلاح الذى بدأنا به الحرب .. وذلك حسب بيان وزارة الخزانة .. بالاضافة إلى خمسة آلاف مليون جنيه أخرى تعويضات وخسائر كما قال نفس الوزير .. أى أننا تحملنا عشرة آلاف مليون جنيه لو أننـا صرفناها على قرى مصر الأربعة آلاف لتغير وجه الحياة فيها ولتحولت إلى جنة .. ولكن هكذا شاء المعتدون الذين لم يزرعهم الاستعمار فى قلب أرضنا إلا لكى يصل لهذا الهدف .. أن يستنزف مواردنا فى معارك لا تنتهى حتى لا نفيق ولا نصـبح قادرين على الحركة والتقدم للحـاق بركب الحضارة والتقـدم .. كانوا يريدون الحضارة لهم وحـدهم .. يريدون الرخاء لهم وحدهم .. ونحن لنا الموت والتخلف .. ومضينا رغم هذا كله بإرادة ترفض الاستسلام .. فالاستسلام معناه الموت .. هى إذن معركة حياة أو موت .. أن نكون أو لا نكون .. وقررنا أن نقبل التحـدى رغم فداحـة الثمن .. واستطعنا أن نتسلح وأن نوفر لجيشنا معظم ما يحتاجه من سلاح وعتاد .. ولكن .. هل كان السلاح وحده يكفى ؟

إعداد الرجال :

قطعة من قلب مصر .. من أعز وأغلى جزء فى قلب مصر .. من نبضها .. من دمها .. من أعظم ما تملك وأحب ما تملك .. أولئك هم شباب مصر الذين ملئوا معسكرات التدريب استعدادا ليوم المعركة الفاصلة التى سندفع بهم إليها ليحملوا أمانتهـا ويضحوا فيها بحيـاتهم وأرواحهم من أجل أمهم الكبرى .. مصـر .. التى كانت تغنى للشهيد وتزغرد .. وفى العين دمعة

جبيسة .. ولـكن المشهد كله رائع .. يثير فى النفس الإحسـاس بالفخر والرضا .. فالله معكم يا شباب مصر .. يا أعز وأحب من لها .. حتى لو كانت حياتكم الغالية العزيزة هى الثمن ..

كل الشباب فى الميدان :

— جندت مصر أعظم شبابها .. خريجى الجامعات الذين كنا نعدهم للحياة لا للموت .. الذين كنا نعدهم بالعلم ليبنوا الحياة والرخاء والحضارة على كل شبر من أرضنا المتعطشـة المشتاقة لعودة الرخاء والحضارة .. المتعطشـة المشتاقة لعودة الروح على أيدى هؤلاء الخريجين الذين تسلحوا بالعلم والمعرفة ليكونوا قادرين على حمل رسالتهم العظيمة لصنع مستقبل بلدهم العظيمة .. ولكن المعركة فرضت علينا .. وأصبح المستقبل كله رهنا بتلك اللحظة .. فالعدو لن يتركنا نزرع ونحصد .. إنه يلقى بقنابله فوق المزارع والمصـانع والمدارس .. يزرع الموت فى نفس الأرض التى تجود بالحياة .. فلتهبوا يا شباب مصر لتصدوا الغارة .. المتعلمون قبل الأميين ، بل الجميع معا فى صف واحد .. اليوم لم تعد الجندية وقفا على أبناء الفلاحين الفقراء الذين يعجزون عن دفع « البدلية » .. لم تعد الحرب للفقراء وثمرات النصر للأغنياء .. الفقراء يموتون ونحن نجنى الثمر .. بل القضية قضية مصر كلها .. كل الشعب الذى توحد فى مجتمع جديد ذابت فيه الفروق بين الطبقات .. ولم يعد مجتمع فلاحين وباشوات .. ومن هنا أصبح الدفاع عن الوطن تكليفا وتشريفا للجميع .. ابن الوزير مع ابن العامل والفلاح .. حامل البكالوريوس والدكتوراه جنبا إلى جنب مع الأمى الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. ولكن الكل سوف يتعلم .. هنا مدرسة جديدة .. قدرة المتعلم فيها على الاستيعاب أكثر وأسرع .. ولكن الأمى يستطيع أداء مهمات كثيرة أيضا لا تقل عن أهمية الدور الذى سيؤديه المتعلم .. فقائد الدبابة يحتاج لمساعد يضع الذخيرة .. حامل « الآر بى جى » يحتاج لمسـاعد يحمل له القذائف .. الكل له مكان وله عمل .. والكل يكمل بعضه بعضا .. لقد أجتمع الكل فى واحد .. لكى يعيدوا الروح إلى قلب أمهم الحبيبة مصر ..

التدريب الشاق ليلا ونهارا :

— وواصلوا الليل بالنهار تدريبا واستعدادا .. الضباط قبل الجنود .. القادة مع الأفراد .. الجميع يعملون ليل نهار .. لا نوم ولا راحة .. ومن ينتهى تدريبه يسرع إلى الجبهة .. وهناك عمل متواصل أيضا .. حرب الاستنزاف بدأت .. عمليات الاستطلاع والعبور .. عمليات الضرب فى خطوط

العدو والرجوع .. وإذا ابتعدنا عن الجبهة فهناك المناورات المستمرة وتمثيل جو المعركة الحقيقية .. عمليات العبور على موانع مائية شبيهة بمانع القناة .. عمليات اقتحام لحصون ومواقع شبيهة بحصون ومواقع خط بارليف .. عمل متواصل .. جاد .. الكل يؤديه بحماس وإخلاص .. الكل يؤديه باقتناع وحب .. حتى أصبح لدينا الرجال الذين يعطون القيمة لسلاحهم .. ولا يستمدون هم القيمة من سلاحهم .. فلقد أراد القائد أن يكون السلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح .. فالرجل إذا لم يكن واثقا من نفسه فلن يحميه أى سلاح .. ولكن إذا كان واثقا ومؤمنا بنفسه وبهدفه فإن أى سلاح فى يده سوف يحميه .. ولقد رأينا مصداق ذلك فى المعركة فعلا عندما قامت .. فلقد استسلم الإسرائيليون بالمئات رغم السلاح القوى الذى كان فى أيديهم .. كانوا يتركون دباباتهم ويخرجون رافعين أيديهم بالتسليم .. وكان رجالنا الذين يواجهونهم لا يحملون إلا أسلحة خفيفة بسيطة .. وكم من قصص وبطولات تروى عن هؤلاء الرجال الذين استطاعوا بأسلحتهم الخفيفة هذه أن يستولوا على حصون ويأسروا دبابات بكامل أطقمها .. كان السلاح يستمد من شجاعتهم وبطولتهم أضعاف أضعاف قيمته .. بينما كان جنود العدو الجبناء يتركون سلاحهم ويستسلمون فيصبح سلاحهم بذلك قطعا جامدة من الحديد لا تنفع ولا تشفع ..

— كان رجالنا هم أبطال المعركة .. لأنهم عاشوها بكل خلجات نفوسهم .. وانتظروها واستعدوا لها طويلا طويلا .. حتى إذا جاءت اللحظة ، كانوا على مستوى الموقف .. وصنعوا المعجزة ..

إعداد أرض العمليات :

وسوف نقفز بسرعة إلى هذه اللحظة ..

إن السلاح وحده لا يكفى ..

والسلاح مع الرجال أيضا لا يكفى ..

إن الحرب ليست اندفاعا ارتجاليا نحو هدف معين يبدؤه القائد بصرخة فيندفع ويندفع خلفه رجاله بلا وعى ولا خوف .. كانت الحرب كذلك فى العصور القديمة .. حينما كانت المعارك تجرى على أرض مكشوفة بين جيوش مكشوفة أقصى ما تحمله هى السيوف .. كانت الصرخة ضرورية لكى تحرك الهمم وتدفع الرجال نحو الموت دون خوف فتبدأ السيوف عملها ويستمر التلاحم حتى يقضى أحد الجيشين على الآخر وتنتهى المعركة ..

— لو كانت الحرب اليوم بهذا الشكل لما احتاجت إسرائيل منا إلى ساعة واحدة .. ولكن الحرب اليوم أصبحت حرب علم .. وفكر .. أشبه بلعبة الشطرنج .. الذى يحرك قطعة متبعا لخطة مرسومة يهزم خصمه بسرعة .. أما الذى يفعل أى شىء دون أن يعرف ما هى خطوته القادمة فإنه محكوم عليه بالهزيمة والفشل .

التخطيط العلمى للمعركة :

— ولقد عرفنا وآمنا أن التخطيط العلمى الدقيق للمعركة هو ضرورة تفوق كل الضرورات .. فلابد إذن من دراسة وفكر .. لابد أن ندرس طبيعة العدو وسلاحه .. لابد أن ندرس مواقعه وحصونه .. لابد أن ندرس خططه وتكتيكه .. فكره وطريقته فى العمل .. أسلوبه المراوغ وخدعه التى تتسم بها عملياته .. ثم لابد أن نعمل لكل شىء حسابه .. نحدد هدفنا تماما .. ونضع الخطة التى توصلنا لهذا الهدف .. حاسبين حساب ما لدينا وما لدى العدو .. حاسبين حساب قوتنا وقوة العدو .. ومدركين لكل الاحتمالات وواضعين لكل احتمال ما ينبغى أن نواجهه به .. ودارسين لكل المشاكل وواضعين لكل مشكلة حلها ..

— وهذا ما حدث تماما ..

— لقد أعددنا أنفسنا بالسلاح المتطور الحديث الذى يستطيع مواجهة سلاح العدو ..

— وأعددنا رجالنا بالتدريب الشاق والتعرف التام على السلاح وكيفية استعماله ابتداء من أبسط الأسلحة حتى أعقدها ..

— ثم بدأنا ندرس أرض العمليات ونضع الخطة اللازمة لخوض المعركة بكل نجاح ..

كانت المشكلة الأولى هى عبور قناة السويس :

فأرضنا التى نريد تحريرها تقع على الضفة الشرقية لقناة السويس .. وهذا يقتضينا أن نعبر بقواتنا الضاربة إلى هذه الضفة الشرقية حتى نستطيع تحطيم العدو واستعادة أراضينا ..

— وكان عبور القناة بجيش ضخم مجهز بكامل معداته من أسلحة خفيفة ومدرعة يعتبر عملا شديد الصعوبة والتعقيد لأن قناة السويس لم تكن كأى مانع مائى آخر فى العالم .. بل كانت مانعا فريدا من نوعه .. فالقناة

ليست بحرا يبدأ بساحل منبسط يمكن أن تعبره الدبابات البرمائية بسهولة .. ولكنه مجرى مائى محفور وسط أرض صلبة يحفه جانبان صخريان كل منهما على شكل زاوية قائمة .. أى أن أى دبابة برمائية لا تستطيع النزول فيه مباشرة لأنها سوف تسقط .. وهذا يقتضى إما إنشاء مدرجات للنزول ثم مدرجات للصعود ، وإما إنشاء جسور كاملة تعبر فوقها المدرعات مباشرة دون أن تخوض فى الماء .. وهذا الحل الثانى هو الحل الأمثل لأن المسافة بين ضفتى القناة لا تتجاوز مائتى متر ، وإنشاء الجسور فوقها أسهل وأسرع.

مشاكل اخرى أهمها خط بارليف :

— ولكن هل كانت المشكلة هى فى قناة السويس وصعوبة عبورها فحسب ..؟!

— كانت هناك مشاكل أخرى كثيرة تنتظرنا على الضفة الشرقية .. وكان لابد من إيجاد حل لها قبل التفكير فى العبور .. كان لابد من عمل حساب كل عقبة وإيجاد الوسيلة للتغلب عليها وإبطال مفعولها ..

الساتر الترابى :

— فعلى طول الضفة الشرقية للقناة مباشرة قام العدو بإنشاء ساتر ترابى بارتفاع عشرين مترا مما يجعل من المستحيل على أى دبابة العبور إلا بعد إزالة هذا الساتر وفتح طريق فيه ..

خط بارليف :

— وخلف هذا الساتر الترابى أنشأ العدو تحصينات فولاذية رهيبة سميت بخط بارليف ، وهى عبارة عن حوالى خمسة وعشرين موقعا حصينا أنشأها العدو فى الأماكن التى تصلح للعبور لتكون قواعد لقواته التى تحمى احتلاله للمنطقة ولكى تقوم بالضرب على أى قوات تعبر القناة .. وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات .. ولم يكتف العدو بذلك ، بل أضاف إلى هذا كله خط النيران الملتهبة ليجعل من عملية العبور عملية مستحيلة تماما ..

خط النيران :

اقام العدو أمام خط بارليف من ناحية القناة خزانات ضخمة للمواد الملتهبة يسع كل خزان منها مائتى طن من المواد الملتهبة الشديدة الاحتراق

كمادة « النابالم » .. وجعلوا هذه الخزانات على مسافات متقاربة واوصلوها بأنابيب إلى حافة القناة بحيث يمكن لهم عند فتح هـــذه الخزانات أن تندفع المواد الملتهبة عبر الأنابيب فتغطى سطح القناة بنيران رهيبـــة تحرق أية قوارب أو جسور تعبر عليها قواتنا .. وكانت قوة النيران التى أعدتهـــا إسرائيل فى هذا الخط شديدة ورهيبة لدرجة أنها كانت كافية لتحويل سطح القناة إلى حمم ملتهبة تحرق كل شىء فوق الماء ، بل وتشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة مائتى متر .. وقد أعد هذا الخط النارى بحيث يستطيع الجنود الإسرائيليون المحصنون فى خط بارليف تشغيله من داخل حصونهم والتحكم فى استمرار هذه النيران فى دفع المواد الملتهبة إلى سطح الماء لإبطال أية محاولة للعبور مهما كانت عنيدة وقوية ..

أربعة موانع أمام العبور :

— وبذلك أصبح أمام قواتنا لكى تتمكن من عبور قناة السويس إلى الضفة الشرقية أن تواجه كل هذه الموانع الرهيبة :

١ — مانع القناة ذاته بكل صعوبته وانحداره .

٢ — الساتر الترابى الذى يمثل سدا منيعا فى مواجهة القوات .

٣ — حصون خط بارليف الفولاذية التى تتحـــكم فى كل المواقع التى يمكن العبور منها ..

٤ — الخط النارى الذى سوف يشعل سطح القناة بنيران رهيبة تحرق كل شىء وتجعل عملية العبور بعد ذلك مستحيلة .

تقديرات العدو لاستحالة العبور :

— وهذا كله هو ما جعل الإسرائيليين فى مناسبات عديدة يقولون إن مصر مهما فعلت ومهما حشدت من قوة فلن تستطيع عبور قناة السويس .. وأنها إذا فكرت فى هذه المحاولة فإن قواتها سوف تدمر تماما منذ اللحظات الأولى للمحاولة ..

تصريح ديان :

وهذا نص تصريح وزير دفاعهم موشى ديان يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ :
« إن عمليات العبور المصرية — إذا حدثت — فلن تؤثر على قبضة إسرائيل

الحـــازمة على خط بارليف المنيع ، وسيتلقى المصريون الرد الحاســـم لأن التحصينات الإسرائيلية على خط بارليف أكثر تحصينا وتنظيما ، ويمكن القول بأنه خط منيع لا يمكن اختراقه .. إننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف ، وأن مبالغ طائلة قد أنفقت على إنشاء هذه التحصينات » .

قائد آخر يصرح :

ـــ وقال مدير المدرعات الإسرائيلية الجنرال أفراهام الذى قتل بقنابل الطائرات المصرية فى مركز القيادة الإسرائيلية فى سيناء فى اليوم الأول لحرب اكتوبر .. قال هو الآخر : « إن الاستحكامات التى أقامتهـــا إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة والمسماة بخط بارليف قد غيرت الموقف العســـكرى كلية لصالح إسرائيل ، وفى استطاعتنا أن نطلق النيران أو لا نطلقها وفقـــا لمشيئتنا ما دام جنودنا فى حمـــاية تحصـــينات خط بارليف الذى برهن على فاعليته تحت وطأة نيران المدفعية المصرية فى حرب الاستنزاف » .

تصريح بارليف صاحب الخط :

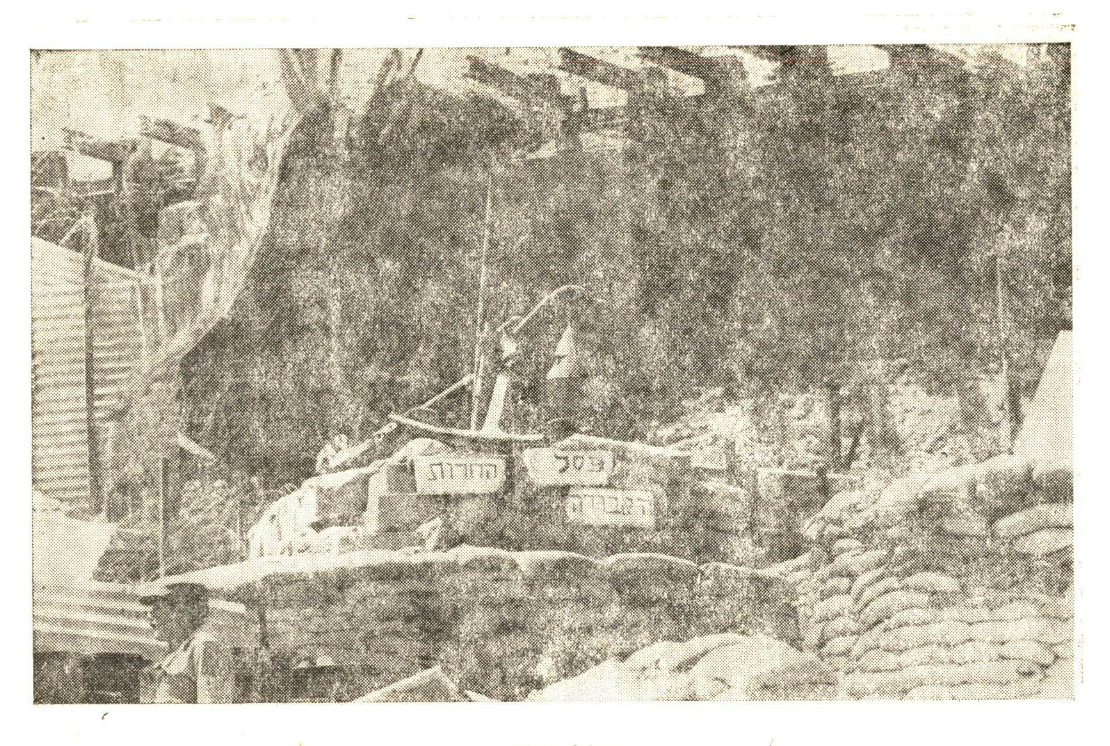
أما الجنرال حاييم بارليف صـــاحب فكرة الخط ذاته فقـــد صرح يوم ١٩٧١/٤/٢٦ بقوله : « إننى متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أى عبور لاستحالة اجتياز خط الدفاعات الإسرائيلى بارليف المقام على امتداد الضفة الشرقية للقناة ، كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما يشكله هذا الخط الحصين من خطر على القوات القائمة بالعبور » .

***

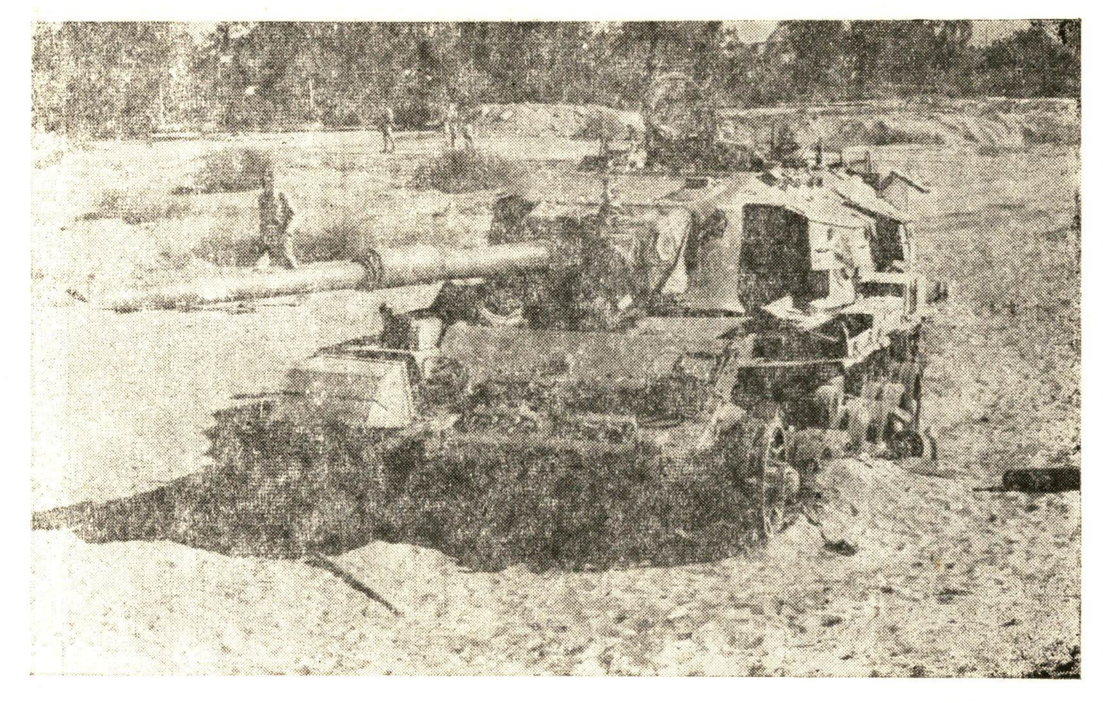
ومن هنا كانت عظمة وقيمة التخطيط الذى وضـــعته القيادة المصرية لاجتياز هذا الخط بنجاح وبدون خسائر تذكر ..

ـــ كيف تم الإعداد والتخطيط لهذه العملية العســـكرية التى غيرت تاريخ الاستراتيجية العسكرية ؟ وكيف تم اجتياز خط بارليف وعبور قواتنا إلى الضفة الشرقية والاستيلاء على هذا الخط وتدميره وتدمير قوات العدو به ؟ كيف حدث هذا كله ؟

ـــ ذلك هو ما كشفت عنه المعركة ذاتها التى نبدأ الكلام عنها فى الفصل التالى ..



حصون خط بارليف ...



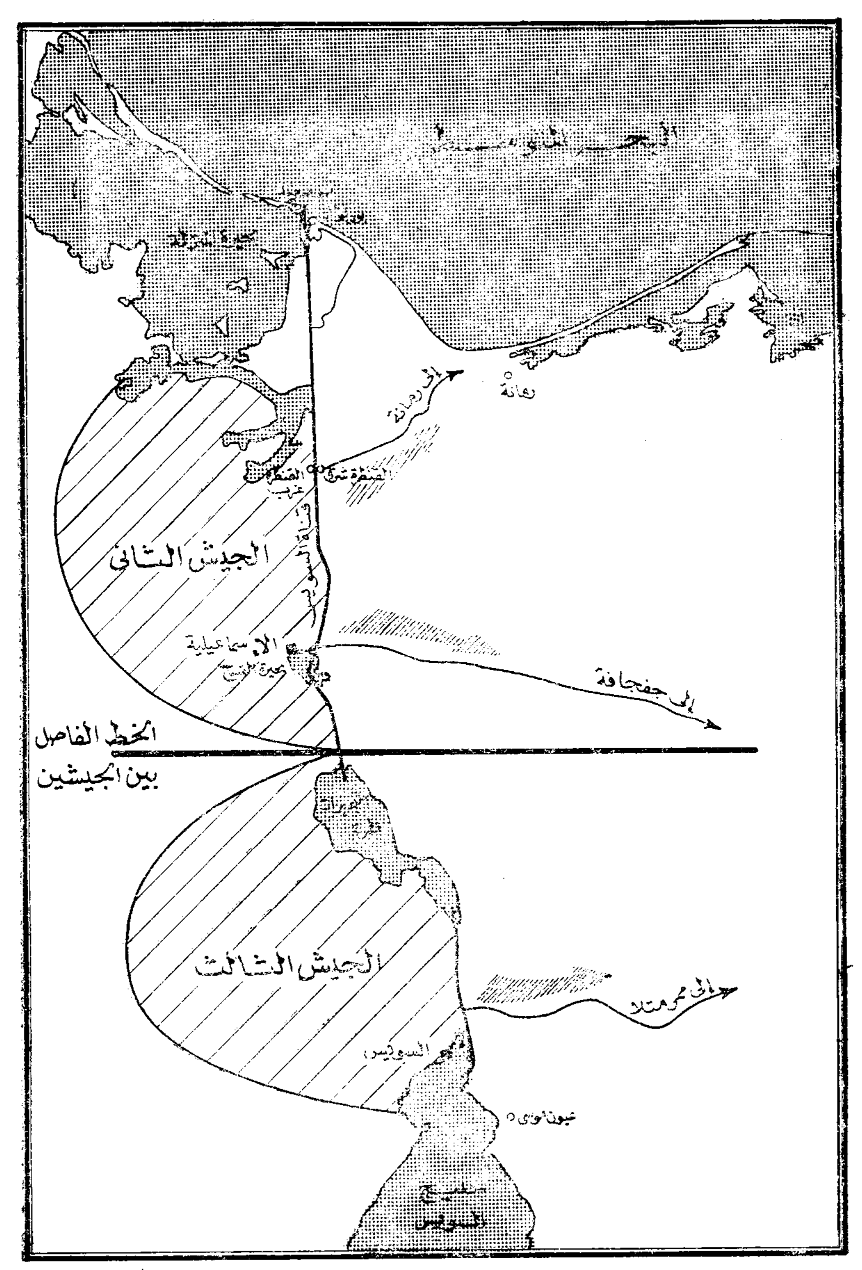
احلامهم التى توقفت وتحطمت مع دباباتهم ...

الفصل الثالث

بـــدء العمليـــات
معـــركة العبـــور

« عبرنا الهزيمة بعبورنا إلى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك فإن الأهم الوثبة .. فيها المعنى أن مصر هى دائما مصر .. تحسبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تنام .. وإذا هجعتقليلا فإن لها هبة، ولها زمجرة، ثم قيام .. وقد هبت مصر قليلا ، وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع أن تفعل فى لحظة من اللحظات ، فلا ينخدع أحد فى هدوئها وسكونها . وكانت يدها التى بدرت منها حركة اليقظة هى جيشها المقدام بصيحة رئيسها الوطنى بالقيام .. سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » ..

توفيق الحكيم



خريطة تبين مواقع قناة السويس واتجاه الهجوم المصرى فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣م

ساعة الصفر :

ـــ كانت ساعة الصفر بالنسبة لمعركة أكتوبر هى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) ، وقد تم اختيار هذه الساعة باتفاق بين القيادتين المصرية والسورية لتبدأ المعركة فى وقت واحد على الجبهتين .. الجبهة الجنوبية فى سيناء .. والجبهة الشمالية فى الجولان ..

ـــ واختيار هذه الساعة بالذات يعتبر سابقة لم يسبق لها مثيل فى الحروب .. فالعادة جرت أن يبدأ أى هجوم شامل إما عند أول ضوء فى الصباح .. أو عند آخر ضوء فى المساء .. أما أن يبدأ الهجوم الشامل فى وسط النهار فهذا تقليد لم تعرفه الحروب من قبل ، وسوف يعتبر سابقة هامة تذكر لحرب أكتوبر التى غيرت كثيرا من استراتيجيات الحروب ، وقلبت كثيرا من الموازين المتعارف عليها كما اعترف قادة جيوش العالم ومعلقوها العسكريون ..

ـــ ولكن تحديد هذه الساعة بالذات لم يتم بقصد الخروج على القاعدة المتبعة .. ولكن استلزمته ظروف التنسيق بيننا وبين القيادة السورية .. فقد كانت قيادتنا تريد أن تبدأ المعركة عند آخر ضوء للنهار حتى نتمكن أثناء الليل من إقامة الكبارى وفتح الطريق بعبور المعدات الثقيلة كالدبابات وغيرها .. وكانت القيادة السورية تفضل بدء المعركة عند أول ضوء للنهار لأسباب من بينها اتجاه الشمس معهم وضد العدو .. كانت كل قيادة تراعى ظروف موقعها وطبيعة الأرض التى ستجرى فوقها المعركة واحتمالات رد الفعل لدى العدو ، وهذه كلها كانت هى العوامل المحسوبة فى تحديد ساعة الصفر .

ـــ وقد تم الاتفاق بعد اتصالات مستمرة ودراسات مستفيضة بين القيادتين المصرية والسورية على بدء المعركة فى منتصف النهار تقريبا .. وتحددت الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر ..

ـــ ولكن لماذا تحدد هذا اليوم بالذات ؟

ـــ فى هذا قال المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ما يلى : « لقد كان تحديد يوم «ى» (أى يوم بدء الهجوم) عملا علميا على مستوى رفيع ، وحين نطرح وثائقنا كلها للدراسة التاريخية



سقطت حصون خط بارليف وارتفع علم مصر على أرض سيناء الحبيبة ..

فإن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين .

كنا نريد ما يلى :

١ — ليلة مقمرة يتصاعد فيها القمر معنا فى الساعات الحاسمة .

٢ — ليلة يكون فيها تيار القناة مناسبا للعبور من ناحية السرعة .

٣ — ليلة يكون عملنا فيها بعيدا عن توقعات العدو .

٤ — ليلة لا يكون فيها العدو نفسه مستعدا للعمل .

هذه الميزات كلها هى التى حددت لنا يوم ٦ أكتوبر من قبلها بشهور :

١ — الحسابات الفلكية تعطينا فى تلك الليلة قمرا ينمو فى أول الليل ثم يغيب فى آخره .

٢ — علماؤنا فى القوات المسلحة درسوا تقارير هيئة قناة السويس لسنوات طويلة سبقت لكى يحسبوا سرعة التيارات فى كل يوم من أيام السنة وكان يوم ٦ أكتوبر هو أكثرها مناسبة .

٣ — العدو لا يتوقع منا العمل فى شهر رمضان .

٤ — العدو مشغول بمناسبات مختلفة بينها انتخاباته العامة التى تشد اهتمام الجميع ..

لقد كان شهر رمضان هو الذى أوحى لنا باختيار الاسم الرمزى لعملية الهجوم .. كان الاسم الرمزى هو « بدر » تيمنا بغزوة بدر .. كان الرئيس السادات من وجهة نظره السياسية يسميها عملية « الشرارة » ، وأما الاسم الرمزى فى كل خططنا العسكرية فقد كان « بدر » ..

هذا كله كان عن ساعة (س) ساعة الصفر .. ويوم (ى) يوم الهجوم ..

فماذا عن الهجوم ذاته ؟.

لقد كانت المعركة الأولى الحاسمة على الجبهة المصرية هى معركة عبور قناة السويس والاستيلاء على خط بارليف ونقصر الكلام فى هذا الفصل على هذه المعركة الحاسمة التى تم التخطيط لها وسارت عملياتها طبقا للترتيب التالى :

١ — الضربة الأولى الكبيرة للطيران .

٢ — تمهيد المدفعية ونيرانها .

٣ — موجات العبور الأولى بواسطة المشاة .

٤ — القوات الخاصة فى خط بارليف وخلف خطوط العدو .

٥ — إقامة الجسور ودور سلاح المهندسين .

٦ — هجمات العدو المضادة بالدبابات والتصدى لها .

٧ — تدخل طيران العدو ودور الدفاع الجوى .

٨ — معارك البحرية ودورها فى معركة العبور .

ونتناول كل نقطة من هذه النقط بالتفصيل فيما يلى :

***

أولا : الضربة الجوية الأولى

— وضعت خطة الضربة الجوية الأولى لتحقيق الأهداف التالية :

١ — ضرب مطارات العدو فى سيناء .

٢ — ضرب مركز قيادته الجوية فى سيناء أيضا ..

٣ — ضرب مراكز التشويش الألكترونية التى يوجهها ضد قواتنا .

٤ — ضرب مواقع صواريخه المضادة للطائرات .

ضرب مطارات العدو :

— وفعلا .. فى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم المحدد .. اليوم السادس من أكتوبر .. قامت مائتا طائرة فى وقت واحد من المطارات المصرية المتفرقة واتجهت شرقا إلى سيناء لتنقض بعضها على مطارات العدو فى سيناء ، فتضربها وتدمرها وتدمر عددا من الطائرات وهى رابضة مكشوفة على الأرض ، كما تدمر منشئاتها وممراتها ، واستطاعت بذلك أن تخرج هذه المطارات من المعركة منذ الساعات الأولى ، وأن تجعلها مشلولة عن الحركة خلال ثلاثة أو أربعة أيام استلزمتها عملية الإصلاح ، وكان أهم هذه المطارات التى ضربت مطار « المليز » الذى يعتبر أكبر مطارات سيناء وأهم مركز للنشاط

الجوى للعدو فيها .. كانت إصابة هذا المطار مؤثرة للغاية لدرجة أنه لم يعد للعمل بعد هذه الضربة إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام ..

ضرب مركز القيادة الجوية :

— والبعض الآخر من الطائرات المصرية انقض على مركز القيادة **الجوية للعدو فى سيناء وأن تصيبه إصابة مباشرة وتدمره تدميرا تاما ..** وكان لهذه العملية أخطر وأبعد الآثار على سير العمليات بعد ذلك حيث عجزت قيادة العدو عن العمل وأصيبت بارتباك وشلل تامين مما جعلها عاجزة عن توجيه أى ضربة جوية لقواتنا خلال الساعات الأولى الحاسمة للمعركة ، مما مكن لقواتنا البرية خلال هذه الساعات أن تعبر القناة بنجاح وتسيطر على خط بارليف وتصبح وجها لوجه أمام قوات العدو ..

ضرب مركز التشويش الألكترونى :

— وجزء آخر من طائراتنا التى قامت بتوجيه الضربة الجوية الأولى اتجه إلى مركز التشويش الألكترونى الذى أقامه العدو للتشويش على شاشات الرادار لدى قواتنا .. وكان هذا التشويش يؤثر على عمليات الدفاع الجوى وقواعد الصواريخ . كما كان يؤثر على عمليات القوات الجوية عند توجيه المقاتلات إلى أهداف معادية .. كان لابد من تدمير هذا المركز الخطير حتى لا يستطيع العدو التشويش على قواعد صواريخنا وعلى فاعلية دفاعنا الجوى وعلى طائراتنا المهاجمة .. وقد استطاعت طائراتنا أن تحطم هذا المركز تماما خلال الضربة الجوية الأولى ، وكانت الضربة مؤثرة حتى أن هذا المركز عجز عن العمل طوال فترة العمليات وحتى وقف إطلاق النار تقريبا ، مما مكن لقواتنا من السيطرة على سماء المعركة وتدمير معظم طائرات العدو المغيرة .

تدمير مراكز صواريخ العدو :

— وكانت المهمة الأخيرة للضربة الجوية الأولى كما قلنا هى تدمير مراكز صواريخ العدو أرض جو حتى يخلو الطريق أمام الهجمات الجوية اللاحقة أثناء سير المعركة ، وقد تم تدمير معظم قواعد الصواريخ تدميرا تاما.

— كانت هذه هى ضربة الطيران الأولى التى بدأت مع الساعات الأولى للمعركة والتى فتحت الطريق أمام المشاة لبدء معركة العبور الخالدة ..

***

ثانيا : تمهيد المدفعية ونيرانها

كان الدور المطلوب من المدفعية دورا هاما ورئيسيا للغاية ..

— فقد كان المطلوب منها ما يلى :

١ — تدمير تحصينات خط بارليف وفتح الثغرات فى حقول الألغام التى أقامها العدو حول هذا الخط وفوق الساتر الترابى الموازى للقناة .

٢ — تدمير مراكز المراقبة التى أقامها العدو على طول المواجهة لمراقبة تحرك قواتنا وضبط وتوجيه مدفعيته نحو قواتنا .

٣ — تغطية موجات العبور الأولى لمشاتنا عند عبورهم القناة بالقوارب وقبل بناء الجسور .

٤ — صد هجمات العدو المضادة ضد المشاة والتى كان سيستخدم فيها مدرعاته قبل أن تصل مدرعاتنا للتعامل معه ..

اضخم حشد مدفعى فى التاريخ :

— ولما كانت الخطة تقضى بعبور قناة السويس على طول خط المواجهة البالغ طوله حوالى مائة وثمانين كيلو مترا فقد استلزم هذا حشد اضخم عدد من المدافع شهدتها حرب فى التاريخ .. عدا حالة واحدة حدثت فى الحرب العالمية الثانية حينما حشدت روسيا عشرة آلاف مدفع على طول خط المواجهة من روسيا البيضاء إلى برلين وكان بين كل مدفع ومدفع أربعة أمتار .. كان حشدنا يترك بين كل مدفع ومدفع أحد عشر مترا .. وبلغ عدد مدافعنا ألفى مدفع وهو رقم يمثل أضعاف عدد المدافع التى تم حشدها فى معركة العلمين فى كلا الجانبين المتحاربين .. وكانت مدفعية من جميع العيارات الخفيفة والثقيلة .

صواريخ الظافر والقاهر :

حتى الصواريخ بعيدة المدى التى أعدتها قواتنا للاستعمال لأول مرة ، وهى صواريخ الظافر والقاهر التى يمكن أن تصل لعمق إسرائيل ذاتها ، وقد ضربنا بها مطار العريش ودمرنا عددا ضخما من الإمدادات العسكرية التى كانت تنقلها الطائرات الأمريكية الضخمة لإنقاذه .. كما ضربنا بها قوات العدو المتسللة إلى منطقة الدفرسوار وأنزلنا به فيها أكبر قدر من الخسائر نزلت به بضربة واحدة ..

ــ وكان هناك نوع آخر من المدفعية استعملناه لأول مرة .. تلك هى المدفعية المضادة للدبابات التى كانت هى إحدى مفاجئات الحرب والتى استعملناها بكثرة وكفاءة لوقف تقدم مدرعات العدو ومنع تدخلها فى الساعات الأولى ضد قوات المشاة التى عبرت قبل أن تعبر أسلحتنا الثقيلة والمدرعة .

كيف تم الحشد المدفعى الضخم :

ــ ولقد استطاعت القيادة أن تحشد هذا العدد الضخم من المدافع دون أن يتنبه العدو .. فقد تم إدخال المدافع لمواقعها وتشوين آلاف الأطنان من الذخيرة وذلك فى جنح الظلام ومع مراعاة السرية الكاملة ، حتى أن الجنود والقادة لم يكونوا يعلمون سبب هذا الحشد الضخم كله .. وراعت القيادة الا ترفع درجة الاستعداد خلال هذه الفترة حتى لا يشعر العدو .. بل سمحت للجنود على طول خط المواجهة بمزاولة رياضتهم بالسباحة فى قناة السويس والنوم على الرمال ، وكان بعض الجنود يقضون الوقت فى لعب الكرة .. وترك الجميع يزاولون هواياتهم بحرية مطلقة فى الوقت الذى كان قادتهم يعدون لأخطر لحظة فى تاريخنا .. اللحظة التى كانت تنتظرهم وينتظرونها على أحر من الجمر وطوال ست سنوات كاملة وأكثر .. ولكن بل بدء المعركة بوقت كاف كان الجميع قد علموا بالخطة وكانوا جميعا فى اقصى حالات الاستعداد .. ولقد عرف بعد ذلك أن القيادة الإسرائيلية لم تتأكد من نية الهجوم إلا عندما نزعت عن المدافع والدبابات السواتر الشبكية الخضراء التى كانت تغطيها .. ولكن تأكد القيادة الإسرائيلية جاء متأخرا جدا .. لأن الهجوم بدأ فعلا قبل أربع ساعات من اللحظة التى كانوا يتوقعونه فيها ..

نيران فى حجم قنبلة ذرية :

ــ بدأت المدفعية التمهيد للهجوم قبل بدئه بربع ساعة .. ففى الساعة الواحدة و٤٥ دقيقة فوجىء العدو بنيران ألفى مدفع تفتح عليه فجأة وفى وقت واحد وعلى طول خط المواجهة لتصب عليه نيرانا رهيبة بلغت فى قوتها قوة قنبلة ذرية .. كانت تصب عليه ١٧٥ قنبلة كل ثانية .. فاكتسحت ودمرت كل أبراج المراقبة التى أقامها .. وفتحت الثغرات فى حقول الألغام .. ودمرت جزءا كبيرا من تحصينات خط بارليف وأسكتت مدفعيته وجعلت كل جنود العدو ينهارون ويصرخون من الفزع حينما فوجئوا بهذا الحجم الرهيب ينصب على رءوسهم فجأة .. فسقط المئات منهم قتلى وجرحى ، ولاذ الباقون مسرعين إلى حصون خط بارليف يحتمون فيها من النيران بعد أن أغلقوا عليهم بوابها الفولاذية .

تغطية عبور المشاة :

— وعندما بدأ عبور المشاة بالقوارب فى تمام الساعة الثانية توقفت المدفعية عن ضرب خط بارليف واستمرت فى ضرب مدفعية العدو فى العمق وتغطية تقدم القوات بنيران كثيفة خلف مواقع تقدمهم حتى تم لموجات العبور الأولى النجاح فى العبور واحتلال مواقعها .. ولكن هؤلاء الرجال الذين كانوا يعبرون بالقوارب تحت ظل النيران إلى خطوط العدو المليئة بالأخطار .. هؤلاء الرجال كان لهم هم الآخرون دور رائع وخطير من أدوار هذه الملحمة البطولية الخالدة ..

***

ثالثا : موجات العبور الأولى ودور المشاة

كانت إسرائيل قد أعدت خزانات الوقود وأوصلتها بالقناة بواسطة أنابيب تصب فى مياه القناة بحيث يمكن إشعالها وقت العبور لتحرق كل شىء وتجعل من عملية العبور عملية انتحارية ومستحيلة .. ولقد وضعت قيادتنا هذا الأمر فى حسابها وتخطيطها للمعركة .. وقررت إبطال مفعول هذه الخزانات قبل بدء العبور حتى لا يتمكن العدو من استعمالها عندما يبدأ العبور .. ففى يوم الخامس من أكتوبر وهو اليوم السابق مباشرة على يوم بدء الحرب عبرت القناة جماعات من المشاة والقوات الخاصة لقطع تلك الأنابيب التى كانت مدفونة تحت الأرض .. وقد تعذر قطع الأنابيب فى أماكن كثيرة لعدم اكتشاف أماكنها فقامت جماعات أخرى بسد الفتحات التى كانت ستصب منها الوقود فى القناة .. سدوها بالأسمنت الحديدى السريع التجمد .. ولقد اكتشف العدو عملية قطع الخراطيم فى أحد المواقع فاستدعى على الفور المهندس الذى قام بتصميمها لإصلاحها وإعادة تشغيلها وجاء المهندس يوم السادس من أكتوبر وكان يقوم بعملية الإصلاح فى نفس اللحظة التى بدأت قواتنا تعبر .. فكان من بين أوائل الأسرى الذين وقعوا فى أيدى قواتنا ..

— أبطلنا مفعول خزانات الوقود ..

— وقامت المدفعية كما رأينا بفتح الثغرات فى حقول الألغام التى تغطى الساتر الترابى على ضفة القناة الشرقية .. كما قامت بتغطية المنطقة بنيرانها الكثيفة على مواقع العدو ..

— وبقى أن يعبر الرجال ..

— وكانت أمامهم مهام لا حصر لها .. كلها محفوفة بالخطر .. ولكن الجميع كانوا على مستوى الموقف وعلى استعداد للتضحية .. لقد كانت فرحتهم لا تقدر حينما صدرت إليهم الأوامر بالاستعداد للعبــور .. وكانوا يتسابقون وكل منهم يطلب أن يكون ضمن الموجات الأولى التى ستعبر .. كانوا جميعا يصيحون من الفرحة عندما أبلغت إليهم الأوامر ويرددون : « الله أكبر .. الله أكبر » .. وجاء كل قائد محلى بالأعلام المصرية التى سترفع فوق الأماكن العالية على الضفة الشرقية عندما يتم الاستيلاء عليها .. جاء بهذه الأعلام وكتب على كل منها عبارة « الله أكبر » وجمع رجاله وقال لهم إنكم ستحاربون حول راية الله فافدوها بالروح والدم .. ولا تتركوها حتى ترتفـــع وترفرف .. ومن مات دونها فهو شـــهيد .. فهلل الرجال وكبروا وأقسموا أن يرفعوها أو يموتوا دونها .. ولقد شهدت موجات العبور الأولى بطولات مذهلة من الرجال الذين حملوا هذه الأعلام وافتدوها بدمائهم وأرواحهم حتى رفعوها عالية ترفرف وتعلن للعالم نجاح مصر فى اجتياز حاجز المستحيل وعبور الهزيمة ..

مهام الموجات الأولى للعبور :

— كان المطلوب من الموجات الأولى للعبور أن تقوم بالمهام التالية :

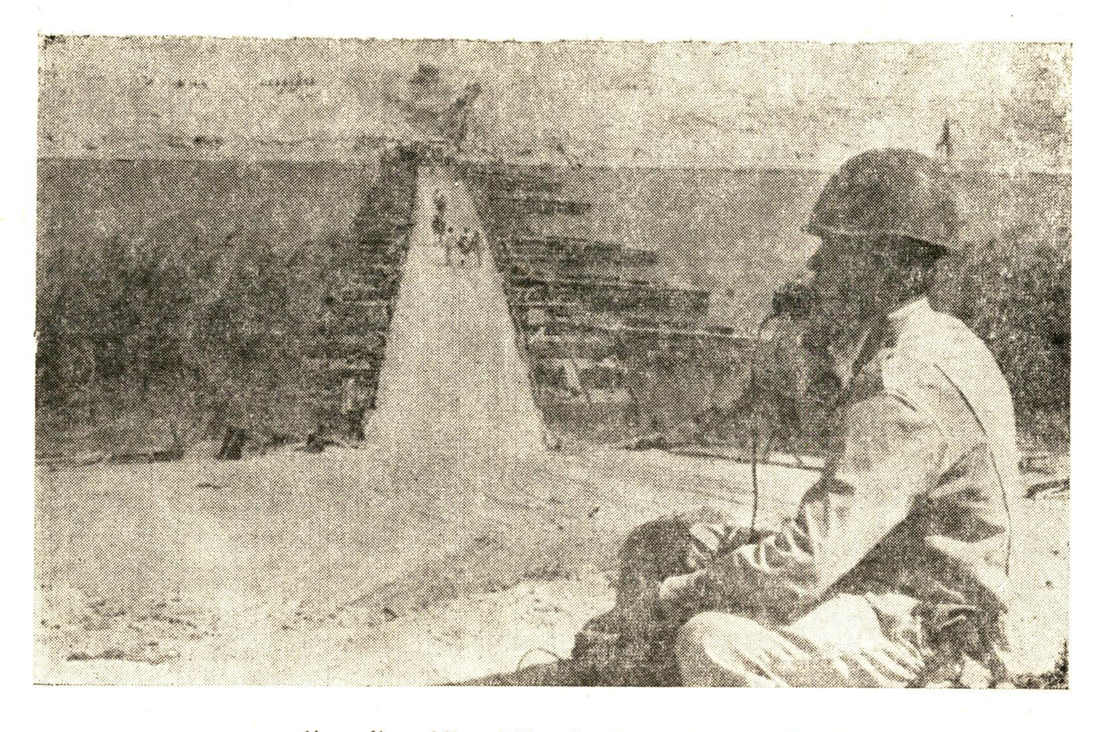
أولا : الاستيلاء على المواقع الحصينة فى خط بارليف لإبطال فاعليتها وإسكات مقاومتها ، حتى يتمكن المهندسون من إقامة الجسور وتتمكن المدرعات والأسلحة الثقيلة من العبور ..

ثانيا : صد الهجمات المضادة التى يقوم بها العدو لحمـــاية خطوطه الأمامية أو لمنع قواتنا من إنشاء الجسور والعبور عليها ..

ثالثا : تأمين رءوس الجسور وحمايتها ضد أى هجوم للعدو عليها ، وخاصة فى مرحلة إقامتها وهى المرحلة الحرجة الصعبة فى العملية كلها ..

المشاكل التى واجهتهم وكيف تغلبوا عليها :

— وكان هناك كثير من المشاكل التى تواجه المشاة أثناء عملية العبور وبعدها .. أهم هــذه المشاكل هى كيف يتسلقون الســـاتر الترابى المرتفع بأقدامهم التى تغرس فى الرمل وبحمولتهــم الثقيـــلة من المؤن والأســلحة والذخيرة .. والمشكلة الثانية : أن أقصى كمية ذخيرة يستطيع الفرد منهم حملها لن تكفيه أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات .. ثم ماذا بعد . والمفروض ان الجسور لن يتم بناؤها قبل ست ساعات وربما تتأخر لليوم التــالى فى



بكل الشموخ والثقة .. أمام أحد المعابر والطريق إلى سيناء ..

بعض المناطق الصخرية الصعبة .. وكانت المشكلة التالية هى كيف نوفر الحماية لهم وهم فى قلب خطوط العدو وهم معرضون لهجماته المضادة ..؟

— ووجدت القيادة حلا لكل هذه المشاكل ، ولكن اعتمادها الأول والأخير كان على شجاعة الرجال وقوتهم واستعدادهم المذهل للتضحية والفداء ..

— تسلق الساتر الترابى أعدت له سلالم من حبال تسلقوا عليها ووصلوا بها إلى أعلى نقطة فى الساتر الترابى ..

— حاجتهم من الذخيرة توفرت لهم بواسطة عربات صغيرة وضعت فوقها كميات كبيرة من الذخيرة وكلف أفراد منهم بجرها والتسلق بها .. فضلا عن أن كل فرد منهم حمل على كتفيه أكبر كمية ممكنة من الذخيرة وأقل كمية من المؤن .. كانوا يستبدلون حمولة الطعام والشراب بحمولة من الذخيرة والسلاح لأن الطعام يمكن أن ينتظر ٢٤ ساعة أما الذخيرة إذا نفدت فلا يمكن تعويضها أو عمل أى شىء .. وحمل الواحد منهم ما بين ٢٥ و٣٥ كيلوجراما من الذخيرة .. حمل ثقيل .. ولكنه كان لا يشعر بوطأته لأن كل شىء كان يهون فى سبيل الهدف العظيم ..

وجاءت ساعة الصفر :

— وهكذا ..

— حينما حانت ساعة الصفر .. كانت قناة السويس من أقصى الشمال لأقصى الجنوب مغطاة بآلاف من قوارب المطاط تحمل الرجال إلى الضفة الأخرى .. عبر عليها فى الموجة الأولى وحدها ثمانون ألف جندى وضابط .. وكان الضباط فى المقدمة .. ولم يكن فيهم والحمد لله من هو على استعداد للتخاذل أو الخوف أو التراجع .. الجميع كانوا مثلا رائعا للبطولة والإقدام .. الجميع كانوا أعظم من كل التقديرات بل وكل الأحلام .. إنهم أبناء مصر الجريحة .. مصر التى تعذبت طويلا بعار الهزيمة فى عام ١٩٦٧ وانتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر حتى تمسح عارها وترد اعتبارها أمام نفسها وأمام العالم أجمع .. وتقدم الرجال ..

مشاهد لن ينساها التاريخ :

— بعد أن نزلوا على الضفة الشرقية وكانت المدفعية قد فتحت

الثغرات فى حقول الألغام .. تقدموا خلال هذه الثغرات وأقاموا السلالم وبدءوا يتسلقون عليها .. كانت هناك بعض الألغام التى لم تنفجر ففجروها وأزالوها .. كذلك قامت المدفعية بإسكات مواقع العدو فى خط بارليف وضرب مدفعيته المضادة .. ولكن كانت ما تزال هناك بعض المواقع تضرب . واندفع بعض الجنود بأجسادهم يسدون الفتحات التى تنطلق منها مدافع العدو ويؤمنون الطريق لزملائهم حتى يمروا .. لم يتوقفوا لحظة .. بل كان مشهدا رهيبا عظيما من المشاهد التى سيقف التاريخ عندها طويلا فى خشوع وإجلال وإكبار .. لقد تقدموا وتقدموا حتى اجتازوا الساتر الترابى ثم نزلوا إلى الجانب الآخر ليصبحوا وجها لوجه أمام حصون العدو فى خط بارليف .. كان جنود العدو قد سارعوا بدخول هذه الحصون والاحتماء بها ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم تلك .. ظنوا أن العملية كلها ضرب بالمدفعية كما كان يحدث أثناء حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ ثم ينتهى الأمر ويخرجون وتعود المياه إلى مجاريها ..

المشاة فى قلب حصون العدو :

ولكنهم فوجئوا بالمشاة فى قلب حصونهم تلك ينقضون عليها جميعا فى وقت واحد وعلى طول خط المواجهة .. بأسلحتهم الصغيرة وقنابلهم وصواريخهم المضادة للدبابات .. بل وبالسلاح الأبيض .. كانت هناك حقول ألغام كثيفة تحيط هذه المواقع من الأمام قاموا بإزالتها وتدميرها .

المشاة يفجرون الألغام بأجسادهم :

وكان الجنود يستعجلون اقتحام الحصون ولا ينتظرون المهندسين حتى يزيلوا حقول الألغام ، فكانوا يندفعون بأجسادهم فوق حقول الألغام يفجرونها بأجسادهم ويفتحون الطريق أمام زملائهم للعبور والانقضاض .. مشهد خرافى لا يمكن تصديقه .. ولكنه حدث .. وفوجىء الإسرائيليون أبطال الاختفاء فى خنادق وحصون خط بارليف بالجنود المصريين فوق رءوسهم فى قلب مواقعهم يدقون الأبواب بقنابلهم .. ينسفون ويدمرون ويفتحون هذه الأبواب بقوة السلاح ويقتحمون على المختبئين داخلها حصونهم ويشتبكون معهم بالسلاح الأبيض .. وفى الحقيقة لم يكن هناك اشتباك يذكر ، لأن جميع الإسرائيليين كانوا يخرجون رافعى الأيدى مستسلمين .. وكان بعضهم يحملون قطعا بيضاء من ملاءات أسرتهم كرايات بيضاء علامة التسليم ويرددون العبارة التى حفظوها عن ظهر قلب : « خذنى أسيرا يا مصرى » ..

رابعا : القوات الخاصة خلف خطوط العدو

رجال القوات الخاصة أو قوات الصاعقة قاموا أثناء معركة أكتوبر وقبلها بدور رائع من أدوار البطولة التى ستسجل لهم على مر العصور .. وقد اهتمت قواتنا المسلحة بإعداد هؤلاء الرجال وتدريب أعداد كبيرة جدا منهم لأهمية وخطورة الدور الذى يقومون به أثناء الحرب والسلم أيضا .. فهم يقومون بالتمهيد لأى هجوم وذلك بالتسلل فى عمق العدو والقيام بعمليات إزعاج وتخريب فى صفوفه لإرباكه وجعله عاجزا عن الحركة لمواجهة الهجوم .. كما يقومون بقطع خطوط تموينه وإمداده والتربص لدورياته والتصدى لقواته المهاجمة ونسف معسكراته ومخازن ذخيرته .. كما يقومون أيضا بإدارة نيران المدفعية التى تصبها قواتهم على قوات العدو وتحديد مواقع الضرب المباشرة لإصابة الهدف .. وفى الجملة يقومون بأعمال فدائية انتحارية غير عادية .. لأنهم يحاربون العدو فى قلب صفوفه وأرضه ، ويتعرضون بذلك لأخطار لا حصر لها .. ولكن عدونا هو الذى كان يرتعد منهم .. فما أن يظهر بينهم أحد رجال الصاعقة المصريين حتى يسارع جنوده بالاستسلام ورفع يديه مرددا جملته المشهورة « خذنى أسيرا يا مصرى » .

رجال الصاعقة أول من رفعوا الأعلام :

ــ ولقد كشف قائد القوات الخاصة عن بعض الأعمال البطولية التى قامت بها قواته أثناء معركة أكتوبر قال : « ما إن انطلقت الشرارة الأولى فى معركة التحرير حتى كانت قوات الصاعقة تعبر بقواربها فى قناة السويس على امتدادها من بور سعيد شمالا إلى السويس جنوبا ، وكان لهم شرف رفع أول مجموعة من الأعلام فوق تراب سيناء لتنطلق من بعدها موجات من المشاة بروح معنوية عالية بعد أن شاهدوا من الضفة الغربية قبل دقائق من زحفهم رفاقهم أبناء الصاعقة يعبرون المانع المائى الرهيب وينقضون على العدو داخل مواقعه الحصينة فى هجمات مفزعة محطمين أسطورة الجيش الذى لا يقهر .

القوات الخاصة فى الهليوكبتر :

كما كانت أعداد كبيرة فى نفس الوقت من طائراتنا الهليوكبتر قد أفرغت حمولاتها من رجال الصاعقة فى عمق سيناء شمالها وجنوبها بين جبالها ووديانها .. وبعد ساعات قليلة من انطلاق الشرارة الأولى كان رجال الصاعقة ينقضون على أهدافهم وينفذون مهامهم التى حددت لهم .. وفى نفس الوقت كانت

وحدات من هذه القوات تزحف على مياه البحر الأحمر والبحر الأبيض تصل إلى أهدافها على سواحل سيناء وعلى أعماق كبيرة من هذه السواحل ، وقد فوجىء العدو بهذا الحجم الكبير من هذه القوات تظهر فجأة فى كل مكان فى سيناء وطوال أيام المعركة — جاءوهم من البر والجو والبحر — وقد اعترف قادة العدو بذلك .. من ذلك التصريح الذى أدلى به الجنرال كالمان قائد أحد المواقع فى شمال سيناء والذى يقول فيه : « إن القوات المصرية تدخل سيناء من كل مكان وفى كل اتجاه وبكل الوسائل .. بطائرات الهليوكبتر وبالقوارب وسيرا على الأقدام ، إن هذه القوات تقاتل بشراسة وهى مسلحة بأحدث الأسلحة » ..

رجال الصاعقة فى عمق سيناء :

— ويستطرد قائد الصاعقة العميد نبيل شكرى قائلا : « فى الشمال قاتل رجال الصاعقة فى عمق سيناء قتالا مستميتا على الطرق والمضايق ومع مدرعات العدو ونجحوا خلاله فى الفصل بين قوات جيشنا وقوات العدو التى دفعها لإجهاض عملية إنشاء رءوس الكبارى » .

رجال الصاعقة يواجهون مدرعات العدو بأجسادهم :

« لقد واجه رجال الصاعقة مدرعات العدو بأسلحتهم الخفيفة وقنابلهم المضادة للدبابات ومن على مسافة عشرات الأمتار .. بل وكانوا يلقون بأنفسهم وعلى ظهورهم الألغام المضادة للدبابات كى تنفجر فوق أجسامهم مدرعات العدو ، تاركين على أرض سيناء بصمة شريفة تشهد بأن هذه البقعة قد استشهد فوقها رجل من أبناء الصاعقة مضحيا بحياته ليفتدى بها حياة رجل آخر يبنى رءوس الكبارى التى ستعبر فوقها قواتنا لتحرير أرضنا الحبيبة » .

— ونقف قليلا عند هذه النقطة لنعرف كيف ولماذا كان يلقى هؤلاء الرجال بأنفسهم بأحزمتهم الناسفة فى طريق الدبابات .. لقد كانت العملية عملية انتحارية ضرورية ولا مفر منها .. ولكن الأمر كان يحتاج لقدر غير عادى من الإيمان والتضحية بالنفس .. لأن هذا الجندى الذى يضع الحزام الناسف حول جسده ويلقى بنفسه أمام الدبابة كان يعرف أنه يضع حياته كلها ثمنا لنسف هذه الدبابة ومنعها من التقدم .. المسألة لم تكن اندفاعا لا شعوريا فى ملحمة بطولية فحسب .. بل كانت استجابة لضرورة حتمية لا مفر منها .. ومن هنا تكتسب العملية عظمتها .. لأن الإنسان هنا يضحى بحياته مختارا وواعيا كل الوعى لما يفعل .. فقد كانت التعليمات التى

تلقاها كل منهم هو الا يسمح بمرور الدبابات المعادية مهما كان الثمن .. لأن مرور دبابة واحـــدة فى تلك اللحظات التى كان المهندســـون يبنون رءوس الجسور كان معناه نسفهم ونسف عملهم وإعاقة تنفيذ خطة العبور كلها مما يحدث ارتباكا فى الجبهة ونتائج لا يمكن تداركها .. كان عليهـــم الا يدعوا دبابات العدو ولو على أجسادهم .. وحملوا المهمة بأمانة وشرف .. وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .. وما بدلوا تبديلا ..

موقف أعظم من كل الكلمات :

إنهم أبناء مصر العظماء .. الذين لم يبخلوا بالحياة فى أحرج لحظة من لحظات التاريخ .. حملوا أرواحهم على أكفهم وتقدموا .. والكلام هنا لم يعد كلام إنشاء ولا شعارات .. لقد أعطوا لهذه الكلمات الشعرية معناها الحقيقى .. بل وكانوا أقوى وأعظم من كل الكلمات ، يربط الواحد منهـــم باختياره ووعيه الحزام الناسف حول جسده ثم يندفع ليلقى بنفسه فى طريق الدبابة كى ينسفها وينسف معها جسده الغض الصغير وهو فى احلى سنى عمره .. لو أن مصر لم تعط غير هذا المثل وحده فى حربها الشريفة العادلة تلك لاستحقت احترام وتقدير العالم .. ولاستحقت إجلال التاريخ وتقديسه .. لقد مات هؤلاء الأبناء الأحبة العظام .. ولكنهم منحوا الحيـــاة لأعظم القيم وأخلد المعانى .. أعادوا الحياة لروح مصر .. وبعثوا فيها كرامتها المجهضة وشرفها الجريح ..

***

خامسا : إقامة الجسور ودور سلاح المهندسين

لا شىء مستحيل .. ذلك هو المبدأ الذى آمنت به قواتنا المسلحة وهى تخطط لحرب أكتوبر .. لقد رأينا كيف تغلبت القيادة على مشكلة عبور المشاة ومشكلة تحصينات خط بارليف وتسلق الساتر الترابى .. كانت هناك بعد ذلك أعقد المشاكل واصعبها واهمها جميعا .. عملية بناء الجسور والمعابر التى لابد من إقامتها لتعبر عليها الدبابات والعربات المدرعة وسائر الأسلحة الثقيلة الأخرى من مدفعية وصواريخ ، وكلها لازمة للسيطرة على الأرض وقهر العدو ، إذ بدونها تصبح العملية كلها مجرد عملية انتحارية تنتهى بإنزال بعض الخسائر بالعدو ثم تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه .

فتح الثغرات فى الساتر الترابى :

ـــ كان إنشاء الجسور يستلزم اولا فتح ثغرات ضخمة فى الســـاتر



الطريق الى سيناء ..

أحد الجسور العملاقة التى أقامها سلاح المهندسين فى ست ساعات .. وتتضح الثغرة التي شقتها مدافع المياه في الساتر الترابي الضخم ..

الترابى المواجه لضفة القناة الأخرى حتى يمكن مد الجسور وفتح طريق لعمق سيناء أمام الدبابات والعربات التى سوف تعبر ، لأن وجود الساتر الترابى كان يعوق حركتها ويعرضها لمخاطر كثيرة فضلا عن استحالة عبور السيارات حاملة الجنود والتموين وسيارات الإسعاف دون أن يكون هناك طريق ممهد بمساواة الأرض ..

— ولقد جربت قواتنا قبل المعركة طرقا كثيرة لفتح هذه الطرق عبر الساتر الترابى .. استعملت المدفعية فلم تؤثر فى التراب .. كانت قنابل المدفعية تغوص فى الرمل ولا تنفجر أو تنفجر محدثة ثغرة لا تصلح لشىء .. وجربوا طريقة التفجير بوضع المواد الناسفة فى قلب الساتر الترابى وتفجيرها على طريقة تفجير الصخور والموانع الجبلية .. ولكن ثبت أيضا عدم جدوى هذه الطريقة ، لأن التراب كان يعود إلى التراكم ثانية فى نفس الموقع بعد تفجيره ..

— كانت مشكلة .. ولكى ندرك عمق المشكلة علينا أن نعلم أن فتح ثغرة واحدة بعرض سبعة أمتار كان يستلزم إزالة ١٥٠٠ مترا مكعبا من الأتربة وذلك من الساتر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية .. فإذا علمنا أننا أقمنا أيضا ساترا ترابيا مشابها على الضفة الغربية لحماية أرضنا من خطر هجوم العدو ولتغطية مواقعنا وتحركاتنا فى الغرب .. أصبح علينا أن ندرك صعوبة المشكلة ، لأنه كان علينا أن نفتح ستين ثغرة أخرى فى الساتر الترابى الذى أقمناه نحن أيضا فى نفس الوقت .. كل هذا كان المفروض أن يتم فى الساعات الأولى لبدء الحرب والمعركة محتدمة على أشدها .. ثم كان المفروض أن يتم بعد ذلك إقامة الجسور خلال ساعات قليلة من عبور المشاة حتى لا يتعرضوا لخطر الإبادة فى عمق خطوط العدو وهم عارون من قوتهم المدرعة .

ابتكار مدافع المياه :

.. ولقد قام سلاح المهندسين بالجهد البطولى الأعظم فى هذه العملية ، وكان لابتكار أبنائه وأفكارهم فى حل المشاكل أعظم الأثر فى نجاح العملية .. فقد اقترح أحد المهندسين الشبان استعمال طريقة التجريف فى إزالة الساتر الترابى .. وهذه الطريقة معناها استعمال مدافع المياه الضخمة لتدفع المياه بقوة ضغط هائلة نحو الساتر الترابى فتزيله بسرعة وتمنع تراكمه ثانية فى نفس الموقع .. وقامت قواتنا بإجراء تجارب على هذه الطريقة وثبت نجاحها وسرعة فاعليتها مائة فى المائة .. فقد أقمنا ساترا ترابيا على أحد فروع النيل بنفس عمق وارتفاع الساتر المقام على ضفة القناة وأتينا بمدافع المياه

هذه التى قام مهندسونا أيضا بتصميمها وصنعها .. ثم جربناها فأتت بنتيجة حاسمة .. وحفظنا سر هذا الاكتشاف العظيم حتى جاء اليوم الذى فوجىء فيه العدو بآلاف المدافع الضخمة تجرف المياه من قناة السويس لتصبها بقوة رهيبة على الساتر الذى أقامه من تراب كى يحميه ويمنع عنه العبور .. فإذا بهذا الساتر ينهار ويتلاشى فى سرعة البرق ، وإذا بالطريق يفتح وتنكشف أمامنا أعماق سيناء الحبيبة ويصبح الطريق ممهدا لإقامة الجسور وعبور قواتنا المدرعة ..

بناء الجسور :

— وبعد أن تمت إزالة الساتر الترابى وفتح الثغرات المطلوبة قام المهندسون ببناء الجسور التى كانوا قد أعدوها من قبل والتى كان قد تم تصنيع نصف لوازمها فى مصر .. ولقد قام المهندسون بهذا العمل الصعب تحت ظروف غاية فى الصعوبة .. وتحملوا ببطولة فائقة كل محاولات العدو وهجماته المضادة لمنعهم من إتمام هذا العمل الضرورى ..

بطولات المهندسين :

فقد قام العدو بغارات يائسة بالطائرات ومحاولات مستميتة بالدبابات وبالمدفعية القريبة المنطلقة من بعض مواقع خط بارليف التى لم تسقط فى الساعات الأولى فى أيدى قواتنا .. قام العدو بمحاولات يائسة للضرب على أيدى المهندسين أثناء عملية بناء الجسور .. ولكنهم استمروا .. كان يسقط منهم من يسقط .. قتيلا أو مصابا .. ولكن الآخرين كانوا يستمرون .. كل منهم يأخذ مكان زميله الشهيد أو المصاب .. ولعل من أروع أمثلة البطولة والفداء أن كبار الضباط فى هذا السلاح كانوا يشاركون صغار الضباط والجنود فى العمل ، حتى أن نائب مدير السلاح اللواء مهندس أحمد حمدى استشهد أثناء إقامة أحد الجسور فى القطاع الجنوبى .. لقد كانت معركة تحدى .. كانت تحديا للخطر وتحديا للزمن .. كانت سباقا مع الموت ومع الوقت أيضا .. فقد كان المفروض الانتهاء من بناء الجسور خلال اثنتى عشرة ساعة .. رغم أن المتعارف عليه دوليا أن إقامة هذه الجسور فى مثل هذه الظروف يحتاج لأربع وعشرين ساعة على الأقل .. ولكن قيادتنا طلبت اختصار الزمن بأى ثمن .. وقبل الرجال التحدى .. وكم كان مذهلا حينما تم بناء بعض الجسور خلال خمس ساعات فقط .. وبعضها خلال ست ساعات ..

***

سادسا : هجمات العدو المضادة والتصدى لها

طبعا لم يقف العدو مكتوف اليدين .. بل حاول محاولات مستميتة ولكن محاولاته كلها كانت تتسم بالتخبط والارتجال وتدل على أن المفاجأة قد أصابته بالارتباك وجعلته يتصرف بلا عقل ..

حاول العدو عن طريق تحصيناته فى خط بارليف .. وقد رأينا أن رجالنا الأبطال من جنود الصاعقة والمشـــاة قد أسكتوا معظم مواقع هـــذا الخط واستولوا عليها خلال الساعات الأولى لبدء الهجوم ..

جرت محاولات العدو بعد ذلك على محورين ..

المحور الأول : هجمات مضادة بالدبابات لوقف تقدم القوات ومنعها من إنشاء أو حماية رءوس الجسور ..

المحور الثانى : هجمات مضادة بالطيران لمنع تدفق القوات عبر القناة وتدمير الجسور التى كان العمل ما زال جاريا فى بنائها ..

الهجوم بالدبابات :

دفع العدو بموجات متلاحقـــة من دباباته كى تقضى على قوات المشاة التى عبرت وتسترد مواقع خط بارليف التى سقطت وتمنع إنشـــاء رءوس الجسور أو حمايتها .. كان العدو يتصور أن المهمة سهلة وعاجلة .. وأن المصريين قد أصيبوا بجنون — كما قالت جولدا مائير — لأنهم تجرءوا على عبور القناة وهم يعرفون قوة إسرائيل ..

تصورات القيادة الإسرائيلية :

— تقدمت الدبابات الإسرائيلية وهى تتصور أنها فى رحلة سياحية أو شىء من هذا القبيل .. فقد قالت لهم القيادة إنكم لن تواجهوا قوات مدرعة .. مجرد أفراد من المشاة يهاجمون بأسلحتهم الخفيفة .. وحتى لو كانوا يحملون أسلحة مضادة للدبابات .. فإن الدبابة مهما كانت أقوى .. الدبابة فيهـــا مدفعية ودروع .. قلعة متحركة لا يمكن قهرها بسهولة .. قالت لهم القيادة تقدموا بسرعة دون تردد فسوف تثيرون الخوف فى نفوس المشاة فيتراجعون بسرعة وتسقط أسلحتهم من أيديهم من الفزع .. إنهم لن يقدروا حتى على استعمال الســـلاح الذى معهم .. ظهور الدبابة سوف يجعلهم ينهـــارون ويولون الأدبار ، لأنهم لايجيدون لغة الحرب ، وليست لديهم الشجاعة ولاروح الفـــداء .. بل إن قيادتهم سوف تصـــدر لهم الأمر بالانسحاب فور ظهور الدبابات .. هكذا تصور الإسرائيليون الموقف .. وهذا هو ما جعل جولدا

مائير تصـــرح بأن المصريين أصيبوا بالجنون .. وهو نفس ما جعل وزير دفاعهم ديان يصرح أيضا وفى نفس الليلة بأن جيشه سوف يقضى على هذا الهجوم المصرى خلال يوم واحد ثم يزحف إلى القاهرة لكى يلقن مصر درسا لا تنساه أبدا ولا تعود بعده تتجرأ على مهاجمة إسرائيل .

فماذا حدث ..؟

المشاة وحدهم يصدون الدبابات :

لقد كان المشاة وحدهم فى انتظار الدبابات الإسرائيلية .. كانوا يحملون الصواريخ المضـــادة للدبابات والعربات المدرعة .. واصـــطدمت الدبابات الإسرائيلية بالمشاة والقوات الخاصة التى تصدت لها فى بطولة نادرة لن ينساها التاريخ ..

أمثلة من البطولات :

— مجموعة من المشاة — كما يقول مراسل الأهرام الحربى — لاحظوا أن مجموعة من دبابات العدو تتقدم .. كان الانقضاض عليها أمرا ضروريا قبل أن تصل إليهم .. قائد المجموعة الشاب اقترح أن يتسللوا إليهـــا على شكل طابور .. يتقدم منهم ثلاثة لمواجهتها والبقية تسرع لتطويقها من الخلف وضربها بالقنابل .. كانت المشكلة أمام القائد هى كيف يوفق بين رغبـــات جنوده فى أن يكون كل واحد منهم أحد هؤلاء الثلاثة على الرغم من معرفتهم جميعا بأن استشهادهم أمر يشبه التـــأكيد .. وفى لحظة اندفع ثلاثة من الأبطـــال وواجهوا دبابات العدو .. والبقيـــة اندفعت من الخلف تدمرهم بقنابلها .. وفى لحظات كانت سبع دبابات منها محترقة بمن فيها من أفراد العدو .

— أحد المقاتلين رأى مجموعة من دبابات العدو تقترب من مجموعته فى إحدى الحفر المكشوفة .. ألقى بنفسه .. ومرت عليه الدبابات .. وظل يلاحقها حتى تأكد من مرورها ، وعلى الفور قفز من حفرته وبمجرد أن دمر الأولى كانت البقية فى مصيدة زملائه ..

— بطل آخر ألقى بنفسه أيضا فى إحدى الحفر .. وبمقدرة فائقـــة استغل لحظة مرور الدبابة فوقه ووضع شحنة من المتفجرات بين جنزيرها .. وتم تدميرها ..

— وهكذا .. المشاة وحدهم استطاعوا مواجهة ووقف كل موجات الهجوم الإسرائيلى المضـــاد بالدبابات .. الرجال قهروا الدبابات ..

هل هى حبوب الشجاعة ؟

لقد أصيب الإسرائيليون بذهول ولم يصدقوا .. كيف يمكن لفرد المشاة أن يقهر دبابة .. لابد أن هناك شيئا غير عادى .. غير طبيعى .. فهذا الذى حدث يعتبر شيئا خارقا للطبيعة من وجهة نظرهم .. راح الإسرائيليون يبحثون عن السر ويقلبون كل الاحتمالات .. حتى وقع فى يدهم أسير .. شاب مصرى مرح يحب الضحك ولم يأبه لرهبة موقف الأسر الذى وقع فيه سألوه عن هذا السر .. لماذا لا تخافون .. لماذا تتصدون بأجسادكم للمدافع والألغام والدبابات .. كيف يقبل الواحد منكم أن يلقى بنفسه إلى الموت هكذا بلا خوف ولا تردد ؟.. ماذا فعلوا بكم ؟.. وضحك الشاب المرح ساخرا من هذه الأسئلة وقال لهم : « أصلهم بيدونا حبوب اسمها حبوب الشجاعة !.» وانتقل الخبر بسرعة إلى قيادتهم .. لقد اكتشفنا السر .. إنها حبوب الشجاعة .. وجاءت أفواج المحققين يلتفون حول الشاب المرح الذى كان يقول نكتة .. ما هى حكاية هذه الحبوب ؟. ومم تصنع ؟.. وماذا تفعل فيكم بالضبط ؟ وذهل الشاب .. وتساءل بذهول .. هل صدقتم ؟.. وتصوروا أنه سيتراجع عن أقواله ويضللهم ويخفى عنهم سره .. فهددوه بالتعذيب .. وأثناء تعذيبه سقطت من جيوبه بعض الحبوب .. وصرخوا .. هذه هى .. وقاموا بتحليلها واكتشفوا أنها حبوب السهر لا حبوب الشجاعة .. وأن شجاعة الجندى المصرى لم تكن بالحبوب .. بل كانت نابعة من أسباب أخرى غير الحبوب .. أسباب يعرفها الذين يعرفون أصالة الإنسان المصرى وعظمته ..

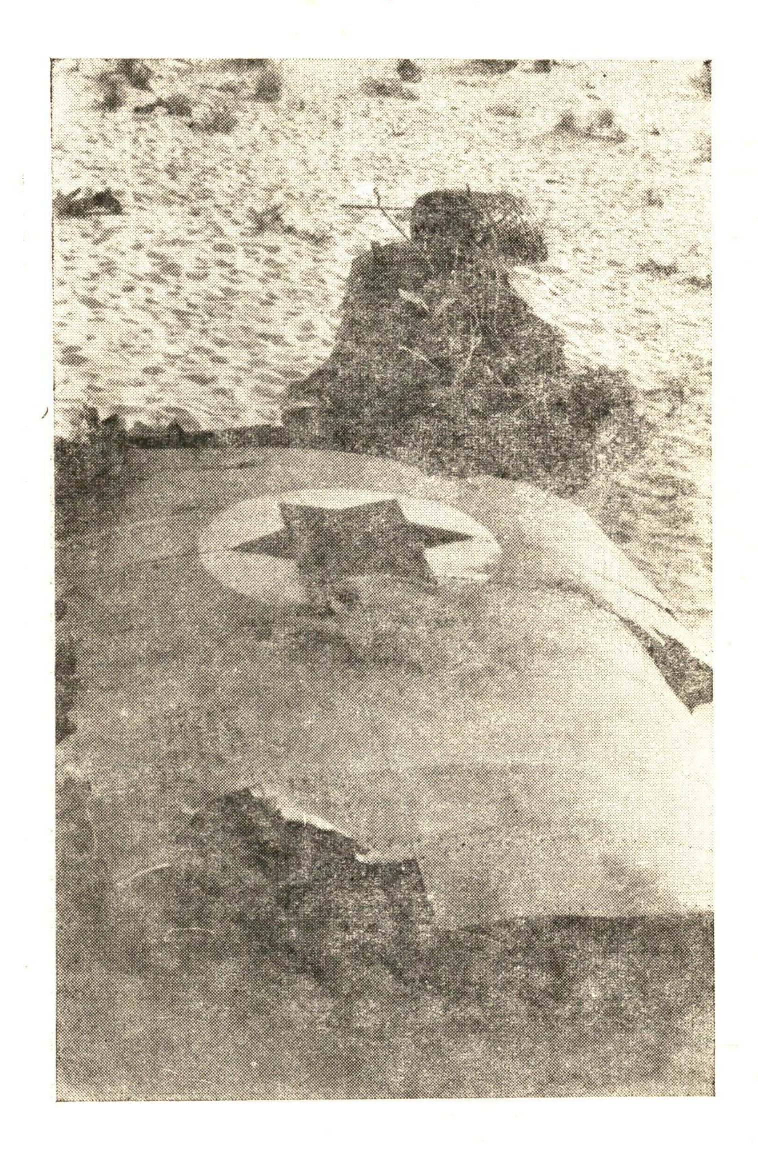
***

سابعا : تدخل طيران العدو ودور الدفاع الجوى

بعد أربعين دقيقة من بدء الهجوم المصرى بدأ طيران العدو يظهر فى سماء المعركة .. ولم يستطع أن يفعل شيئا أو يمنع استمرار تدفق القوات واستمرار إقامة الجسور ورءوس الجسور ..

— كان جيش الدفاع الإسرائيلى يعتمد أساسا فى استراتيجيته على سلاح الطيران .. وقد استطاعت إسرائيل فعلا بمساعدة أمريكا أن تبنى قوة جوية غير عادية وخاصة بعد أن أمدتها أمريكا بطائرات الفانتوم البعيدة المدى ..

— وكان لابد أن يكون تفكيرنا الأول فى التخطيط للمعركة يتجه نحو هذا الخطر .. قوة السلاح الجوى الإسرائيلى .. كيف نواجهه ؟ وكيف نحطمه ؟ أو على الأقل نشل فاعليته ..



نجمة اسرائيل على التراب ..

— ومن هنا بدأت قصة الدفاع الجوى المصرى الذى يعتبر — كما يرى كل خبراء الاستراتيجية فى العالم — أقوى دفاع جوى فى منطقة الشرق الأوسط ..

بناء شبكة الدفاع الجوى :

فقد قررت القيادة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ أن تقوم ببناء شبكة دفاع جوى تغطى أرض الجمهورية كلها .. وتكون مجهزة بأحدث المعدات والأجهزة والصواريخ الموجهة التى تكفى لصد وردع العدو إذا سولت له نفسه العدوان على أراضينا ..

— وعندما بدأ إنشاء شبكة الصواريخ بمساعدة الاتحاد السوفيتى استطاع العمال المصريون أن يقيموا قواعد للصواريخ بالأسمنت المسلح تكلفت حوالى أربعين مليونا من الجنيهات ، وتم بناؤها خلال أربعين يوما فقط.. أى أن حجم العمل اليومى كان مليونا من الجنيهات ، وهو رقم ضخم يكشف عن ضخامة الجهد الذى بذل فى إتمامه .. وقد تم تغطية الجمهورية كلها بهذه الشبكة الضخمة من الصواريخ حتى أن الإسرائيليين علقوا عليها بقولهم : إن الذى ينظر إلى أرض مصر من الجو يراها كما لو كانت مزروعة بالصواريخ . ولقد حاولت إسرائيل المستحيل لضرب هذه القواعد ، ولكن كل ضرباتها باءت بالفشل وخسرت خلال هذه المحاولات عددا ضخما من طائراتها حتى ان أبا إيبان وزير خارجيتها صرح أيامها فى الكنيست بقوله : « لقد بدأ الطيران الإسرائيلى يتآكل » .. فقد أصيبت لهم خلال الفترة اللاحقة على إتمام بناء شبكة الصواريخ وحتى صدور قرار وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ .. أى خلال الفترة من ٣٠ يونيو ١٩٧٠ حتى ٨ أغسطس ١٩٧٠ أصيبت لهم إحدى وخمسون طائرة طبقا للأرقام التى قدرتها مجلة « أفييشن ويك » الأمريكية بعددها الصادر يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ .. وكانت الإصابات الطفيفة التى تتمكن الطائرات الإسرائيلية المغيرة من إحداثها فى قواعد الصواريخ هذه يتم إصلاحها بسرعة فائقة حتى أن جولدا مائير علقت على ذلك بكل الغيظ قائلة : « إن كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب المشئوم ، كلما دمرنا إحداها نبتت بدلها أخرى » .

— فلما نشبت المعركة يوم السادس من أكتوبر وجاءت الطائرات الإسرائيلية بعد أربعين دقيقة كانت هذه الشبكة الصاروخية تنتظرها لتدمرها وتدمر كل أحلامها فى أن تفعل شيئا .. بل لقد فوجئت الطائرات الإسرائيلية بصاروخ من نوع جديد لم تكن تعرفه ولم تكن تتوقعه ..

سام ٦ ، سام ٧ :

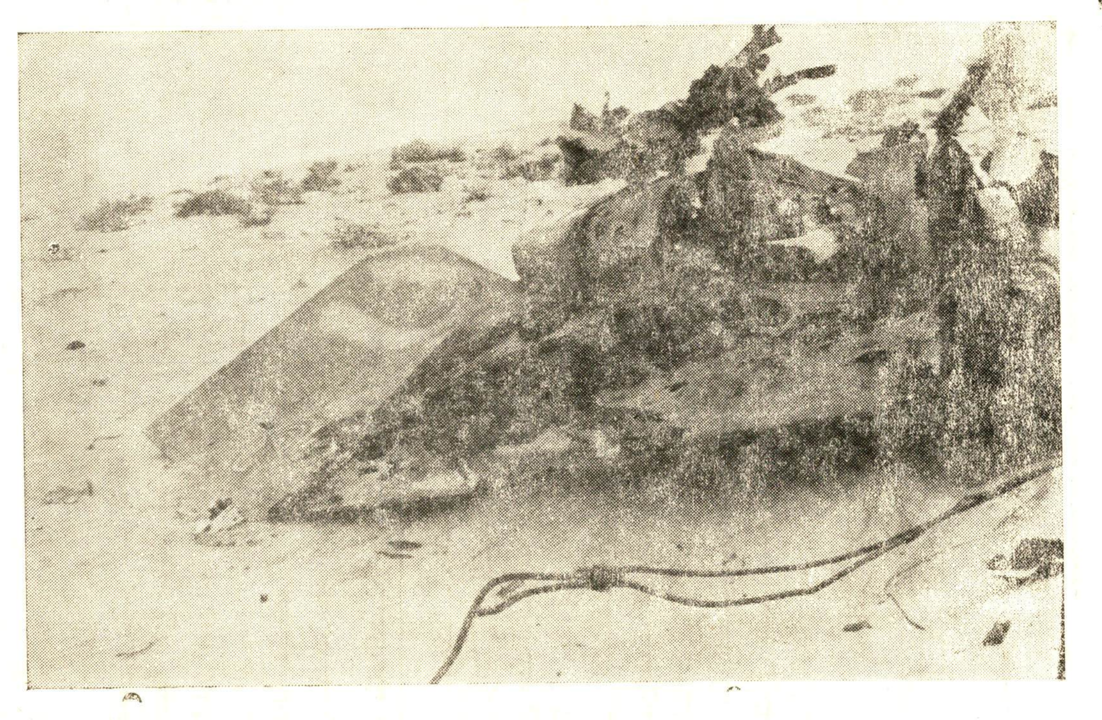
ذلك هو الصاروخ سام ٦ ثم الصاروخ سام ٧ .. الأول يطلق من قاعدة متحركة على سيارة ، ويتم توجيهه الكترونيا إلى الطائرة بحيث يتتبعها حتى يسقطها .. والصاروخ الثانى يطلق من قاعدة إطلاق محمولة على الكتف .. مثل المدفع الصغير .. يحمله الجندى ويطلقه حيثما يكون ليسقط الطائرة .. حتى لقد قيل إن هذه الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات قد أعادت العصر الذى استرد فيه الإنسان قيمته وأصبح أقوى من الطائرة والدبابة .. فهذه الصواريخ يحملها أفراد ويواجهون بها أخطر وأعقد الأسلحة .. فلا تصيبهم هذه الأسلحة ويصيبون هم تلك الأسلحة ويدمرونها .. وبذلك يتحقق قول القائد العام : «إن السلاح بالإنسان وليس الإنسان بالسلاح .. إن هذه الصواريخ إذا كانت فى يد إنسان جبان أو ضعيف أو مهزوز فإنها تصبح قطعة من الحديد لا قيمة لها .. إن السلاح لا يحقق فاعليته إلا إذا كان الإنسان الذى يحمله مؤمنا بنفسه .. مؤمنا بهدفه .. مستعدا للتضحية والعطاء من أجل الهدف الذى يحارب فى سبيله » ..

شهادة العالم كله :

وهذه الحقائق شهد بها العالم كله .. فقد كتب الخبير العسكرى الأمريكى « درو ميدلتون » يقول : « يتفق الخبراء فى شئون الطيران على أن القتال فى جبهة سيناء قد أظهر قدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البرية .. وقد تم ذلك اعتمادا على صواريخ أرض جو وإمدادات وفيرة من المدفعية المضادة للطائرات رباعية المواسير ، علاوة على شبكة رادار عالية الكفاءة » .

— وفى موقع آخر يقول نفس الكاتب : « إن التفوق الجوى الإسرائيلى الذى كانت الولايات المتحدة والسلطات العسكرية الغربية تأخذه كأمر مسلم به عند بداية حرب الشرق الأوسط قد انخفض بصورة خطيرة ، فيما يبدو من النتائج ذات المغزى التى تتضح مع سير القتال .. ويضع الخبراء الغربيون ثلاثة عوامل باعتبارها مسئولة عن حرب جدية يسير فيها القتال فى ظروف أكثر تكافؤا مما كان متوقعا ، هذه العوامل هى :

١ — أن مصر وسوريا تستخدمان المخزون لديهما من الصواريخ أرض جو بمهارة ضد قوة جوية إسرائيلية تفتقر — فيما يبدو — إلى أحدث المعدات الألكترونية المضادة التى تم إنتاجها فى الولايات المتحدة .



حطام طائراتهم على رمال سيناء ...

٢ — أن القوات الجوية العربية قد ظهرت على مستوى عال بصورة لم تكن متوقعة ، حيث أظهر الطيارون أنهم لا يفتقرون إلى الجسارة بينما أظهرت الأطقم الأرضية — فيما يبدو — أنها قادرة على تشغيل طائرات معقدة مثل الميج ٢١ تحت ظروف القتال » .

— وتحمل وكالات الأنباء من موسكو تحليلا على لسان اللفتينانت جنرال ميخائيل تومينكو أحد القادة العسكريين السوفييت يقول فيه : « إن الخسائر الفادحة التى أصيب بها الطيران الإسرائيلى ترجع إلى الروح القتالية العالية للعاملين على الصواريخ المضادة للطائرات ، والروح القتالية العالية للطيارين على المقاتلات وما وصلوا إليه من مستوى فى التدريب وثقتهم فى قواتهم إيمانا بعدالة قضيتهم ، والتنظيم الجديد لأجهزة الدفاع الجوى والتعاون الوثيق بين مختلف هذه الأجهزة » .

وتم بناء الجسور فى حماية الدفاع الجوى :

وهكذا .. استطاع الدفاع الجوى المصرى أن يصد هجمات الطيران الإسرائيلى فى الساعات الأولى للمعركة .. وخلال الساعات الثلاث الأولى كان عدد الطائرات الإسرائيلية التى أسقطت فى خطوطنا وحدها خمس عشرة طائرة .. وعجزت باقى الطائرات عن أن تعوق عملية بناء الجسور أو تعوق عبور المشاة ثم عبور المدرعات بعد ذلك .. كانت هناك بعض الإصابات .. ولكن تحت كل الظروف استمر العمل .. المهندسون يبنون الجسور .. والقوات تعبر .. والدفاع الجوى يصد هجوم الطائرات الإسرائيلية .. حتى تم بناء الجسور وتم عبور قواتنا المدرعة إلى سيناء لتبدأ المعركة الكبرى بعد ذلك فى قلب الصحراء .. معركة المدرعات الكبرى التى سنتكلم عنها فى فصل لاحق ..

— ولكن قبل ذلك .. ونحن ما زلنا فى المعركة الأولى — معركة العبور — تعالوا ننظر ماذا فعله سلاح آخر عظيم من أسلحة قواتنا المسلحة .. السلاح البحرى .. تعالوا نلق نظرة على معارك البحرية .

***

ثامنا : معارك البحرية ودورها فى معركة العبور

استعدت البحرية لبدء المعركة على نفس مستوى استعداد باقى القوات المسلحة .. وقبل بدء العمليات بفترة كان لابد من تحريك بعض الوحدات البحرية إلى مواقع معينة فى البحرين الأبيض والأحمر .. ولكيلا

يشعر العــدو ويستنتج شيئا أعلنت القيادة أن تحركاتها هــذه كانت لتنفيذ المناورة السنوية للقوات البحرية ..

ـــ وانا انقل هنـــا ما قاله الفريق فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية فى محاضرته عن أسرار المعركة .. يقول سيادته : « وفى وقت مناسب تم شحن الصواريخ وإعداد الألغام كأحد إجراءات التدريب الفعلى دون أن يدرى احد أنها للعمليات » .. ويشرح القائد مسرح العمليات فيقول : « إن قوات العدو البحرية تتمركز فى موانى أشدود وحيفا بالبحر الأبيض .. اما فى البحر الأحمر فيتمركز العدو فى ميناء إيلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس ورأس سدر وأبو رديس .. أما قواتنا البحرية فتتمركز فى موانى بور سعيد والإسكندرية ومطروح بالبحر الأبيض .. وبالغردقة وسفاجة بالبحر الأحمر .. وتتفوق قواتنا البحرية على قوات العدو فى المدمرات والغواصات ووحدات بثوكسح الألغام .. بينما يتفوق العدو علينا فى لنشات الصواريخ وإمكانياته الجوية وطائرات الهليكوبتر » ..

الضربة البحرية الأولى :

ـــ فى اليوم الأول للعمليات اشتركت القوات البحرية بجميع تشكيلاتها من مدمرات وغواصات ومدفعية ساحلية ولنشات طوربيد ولنشات صواريخ وقوات الصاعقة البحرية وقوات الضفادع البشـــرية ، فقـــامت لنشـــات الصواريخ والمدفعية بتوجيه قصفات بالصواريخ إلى مناطق شرق بورفؤاد ورمانة ورأس بريم ، كما قامت المدفعية الساحلية بمعاونة قوات وقطـــاع بور سعيد أثناء معركة العبور ..

ـــ اما فى البحر الأحمر فقـــد تم قصف شرم الشيخ بجميـــع انواع الصواريخ .. وفى خليج السويس قامت الصاعقة البحرية بمهاجمة منطقة أبو دربة على الساحل الشرقى لخليج الســـويس .. وهاجمت مجموعات الضفادع البشرية منطقة البترول فى بلاعيم ودمرت حفارا ضخما ، كما قصفت منطقة رأس سدر بالصواريخ واشتركت بالمدفعية الساحلية أثناء التمهيـــد بالنيران لعبور قوات الجيش الثالث .

ـــ اشتركت فى هذه المعارك كلها حوالى خمسين وحدة بحرية بخلاف وحدات تأمين القواعد البحرية .. ولم تصادف قواتنا البحرية أية مقاومة بحرية من العدو .. ولكنه حاول التدخل بالطائرات غير أنه لم ينجح فى إصابة اى هدف .. واستمرت قواتنا البحرية فى عملياتها هذه مما دفع العدو إلى القيام بمحاولة يائسة خلال يومى ٨ و ٩ أكتوبر ..

اكبر معركة بحرية بلنشات الصواريخ :

دفع العدو بثمانية من لنشات الصواريخ تحميها من الجو وتدعمها طائرات الهليكوبتر ، فقابلتها أربعة من لنشات الصواريخ المصرية بالقرب من ساحل دمياط والبرلس ، حيث قامت معركة بحرية ضارية تعتبر أول معركة بحرية فى التاريخ تجرى بين لنشات الصواريخ .. وكانت لنشاتنا المشتركة فيها من نفس نوع اللنشات التى أغرقت المدمرة إيلات .. وقد استمرت هذه المعركة الكبرى على مدى ليلتى ٨ و ٩ أكتوبر .. ورغم تفوق عدد اللنشات الإسرائيلية وقيام الطائرات الهليكوبتر بدعمها من الجو بالصواريخ ، إلا أن لنشاتنا استطاعت أن تغرق خمسة من لنشات العدو وذلك بفضل الروح الفدائية العالية التى سيطرت على رجالنا وتصميمهم على تدمير العدو مهما كانت قوته ..

— ولقد تلقى العدو بهذه الضربة درسا قاسيا جعله لا يجرؤ على محاولة العودة مرة ثانية .. وظلت بحريتنا تقوم بواجبها الخطير فى حماية السواحل المصرية وخاصة ميناء الإسكندرية الذى استمر العمل به منتظما طوال فترة الحرب ..

غواصاتنا تغرق سفينتين للعدو :

— وفى نفس الوقت قامت غواصاتنا بحصار السواحل الإسرائيلية والتصدى لسفنها وأغرقت سفينتين إسرائيليتين .. وقد حاولت البحرية الإسرائيلية بعد ذلك التعرض للسفن المصرية وغيرها واختراق المياه المصرية عند الإسكندرية ، ولكن قواتنا تصدت لكل هذه المحاولات ودمرتها ولم تمكن العدو من تحقيق أى هدف من أهدافه ..

— أما فى البحر الأحمر فقد قامت غواصاتنا ببث الألغام فى الأيام الأولى للحرب حتى تمنع العدو من نقل البترول من حقول سيناء .. وقد أغرقت هذه الألغام ناقلتين من ناقلات البترول ، الأولى حمولتها ٤٦ الف طن انفجر فيها لغم فأغرقها وغرق معها لنش إنقاذ انفجر فيه لغم آخر أثناء محاولته إنقاذ الناقلة .. أما الناقلة الثانية فكانت حمولتها ألفى طن انفجر فيها لغم ثالث ..

إغلاق باب المندب :

كما قامت القوات البحرية بالاشتراك مع بعض الوحدات البحرية من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بإغلاق مضيق باب المندب عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، ومنعت دخول وخروج السفن المتجهة او القادمة إلى

ومن ميناء إيلات الإسرائيلى .. وبذلك عطلت الحياة تماما فى هــذا الميناء وشلت التجارة الإسرائيلية مع إفريقيا وآسيا تماما .. والأهم من ذلك كله حرمت إسرائيل من الحصول على البترول الإيرانى وكانت تقوم بنقل ١٨ مليون طن بترول كل سنة عبر خط الأنابيب الذى أنشأته بين إيلات وأشدود.. وبإغلاق باب المندب أبطلنا حجة إسرائيل التى تدعى أن احتلالها لشــرم الشيخ ضرورى لحماية سفنها المــارة بالبحر الأحمر .. لأن شرم الشيخ ليس هو المكان الوحيد الذى يتحكم فى مداخل البحر الأحمر .. إنه يتحكم فى مدخل خليج العقبة وحده .. لكن هناك مضايق أخرى يمكن أن تغلق البحر كله فى وجه الملاحة الإسرائيلية .. والبحر الأحمر جميعه من أقصى الجنوب لأقصى الشمال تتحكم فيه وفى كل مضايقه الدول العربية ، وتستطيع دائما إذا أرادت أن تمنع الملاحة الإسرائيلية طالما أن إسرائيل تريد جعل ســلاح القوة والإرهاب هو الذى يحكم علاقاتها بالعالم العربى .

* * *

انتهاء معركة العبور بالسيطرة الكاملة على خط بارليف وتحرير مدينة القنطرة شرق :

— فى اليوم الثــالث للقتال أعلن المتحدث العســكرى باسم الجيش الإسرائيلى أن القوات الإسرائيلية قد انسحبت من مواقعها الحصينة على طول القناة إلى خط دفاع جديد تم إعداده فى مواجهة ثلاثة من رءوس الجسور المصرية الرئيسية .

— وقبل إذاعة هذا البيان كانت تصريحات القادة الإسرائيليين تمهد الشعب لأنباء هزيمتهم هذه وهزيمة كل مخططاتهم .. فقد قال ديان بطلهم الأسطورى : « هذه حرب صعبة .. معارك المدرعات قاسية .. ومعارك الجو فيها مريرة ، إنها حرب ثقيلة بأيامها .. ثقيلة بدمائها .. ». وقال الجنرال جونين قائد الجبهة الجنوبية الإسرائيلى : « إن المعارك فى شرق القنــاة قاسية جدا بسبب حشود المدفعيــة المصرية الضخمة بالقرب من منطقــة المواجهة » .. ثم قال إن جنوده يحاربون ٢٤ ساعة فى ظروف فقدوا فيهــا القدرة على استغلال المبادأة والانقضاض .

— فى نفس هذا اليوم أصدرت القيادة المصرية البيانين التاليين :

البيان رقم ١٤ يعلن إتمام السيطرة على كل مواقع خط بارليف :

وجاء فى هذا البيان : « تستمر قواتنــا المسلحة فى التدفق إلى سيناء عبر الجسور القوية فوق القناة ، ولقد أصبحت الضفة الشرقية للقنــاة فى

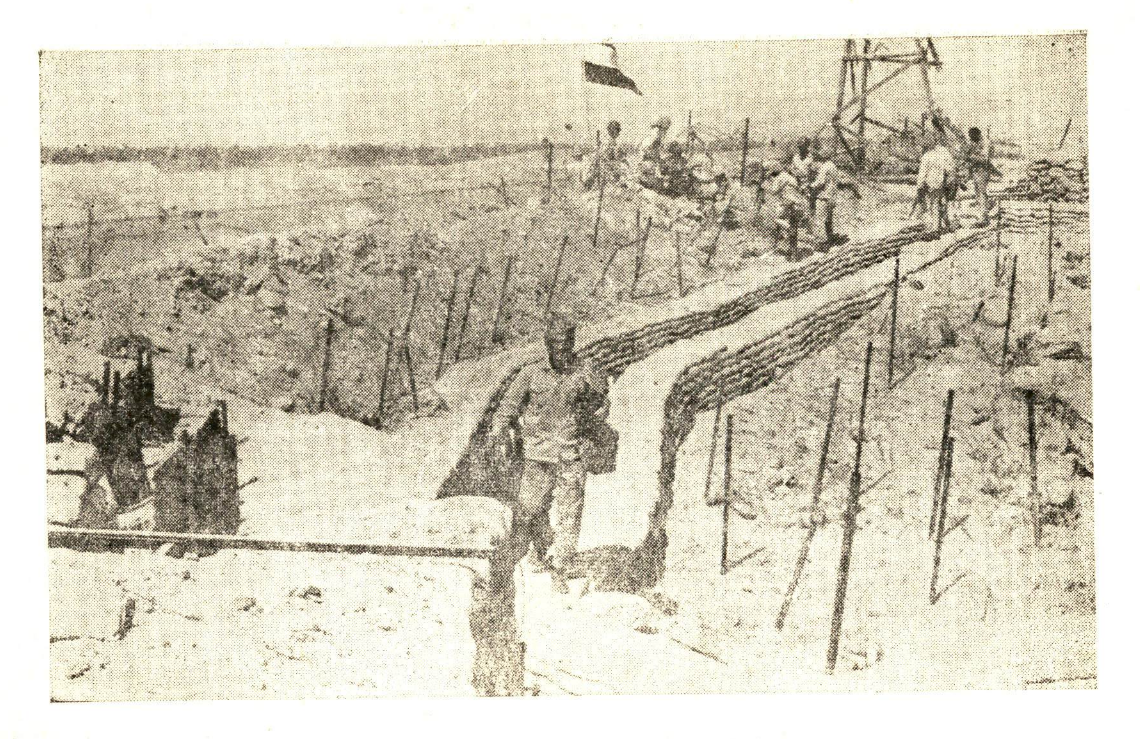
ايدى قواتنا المسلحة تماما ، واستسلم ما كان فيها من نقط العدو القوية ، واستعادت قواتنا مناطق لسان بور توفيق والشط وجنوب البحيرات والاسماعيلية شرق والبلاح وجميع المنطقة جنوب بورفؤاد ، كما تم أسر أعداد كبيرة من أفراد العدو ومعداته ، ووصلت قواتنا من المدرعات والمشاة الميكانيكية إلى مسافة متقدمة داخل سيناء » .

البيان رقم ١٦ يعلن تحرير مدينة القنطرة شرق :

ثم صدر البيان رقم ١٦ فى نفس اليوم ، وبعد ثمانى ساعات فقط من البيان رقم ١٤ .. كان ذلك فى تمام الساعة التاسعة و٣٥ دقيقة من مساء يوم ٨ أكتوبر .. وجاء به ما يلى : « عاد العلم المصرى إلى مكانه العزيز فوق المدينة الثانية فى سيناء كلها وهى القنطرة شرق ، وذلك بعد أن تم تحريرها بواسطة قواتنا المسلحة ، وكانت أهمية عملية تحرير المدينة راجعة إلى أن القوات المصرية كانت تراعى اعتبارين فى نفس الوقت ، وهما : تدمير قوات العدو فيها والمحافظة على أرواح المواطنين المصريين الذين بقوا فيها يعانون ظروف الاحتلال . ولتحقيق هذا الغرض تم حصار المدينة داخليا وخارجيا ، ثم جرى اقتحام مشارفها ودار قتال مع جنود العدو فى الشوارع والمبانى حتى انهارت قوات العدو واستسلمت . وقد استولت القوات المصرية على كميات كبيرة من سلاح العدو وعتاده بينها عدد من دبابات سنتوريون وإكس إيه إم وأسر ثلاثين فردا للعدو أحياء وهم من بقى فى المدينة . وكانت فرحة المواطنين المصريين داخل المدينة بعد تمام تحريرها فرحة كبرى حيث اندفعوا إلى الحفاوة بإخوانهم المقاتلين المصريين من أجل شرف الوطن وعزته . وتعبر القيادة العامة للقوات المسلحة عن اعتزازها باشتراك هؤلاء المواطنين عمليا فى مساعدة قواتهم المسلحة . وكان جهدهم معها وعونهم لها رمزا للتلاحم بين قوى الشعب وقوات جيش الشعب . وينتظر أن تنتقل محافظة سيناء لمباشرة عملها من المدينة المحررة فى أسرع وقت » .

— وهكذا ..

انتهت المعركة الأولى الحاسمة .. معركة العبور التى تعتبر — كما قال الرئيس السادات — معجزة على أى مقياس عسكرى .. وأن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا أمام هذه العملية .



العلم المصرى فوق حصون خط بارليف ..



لحظة استسلام اسرائيلى ....

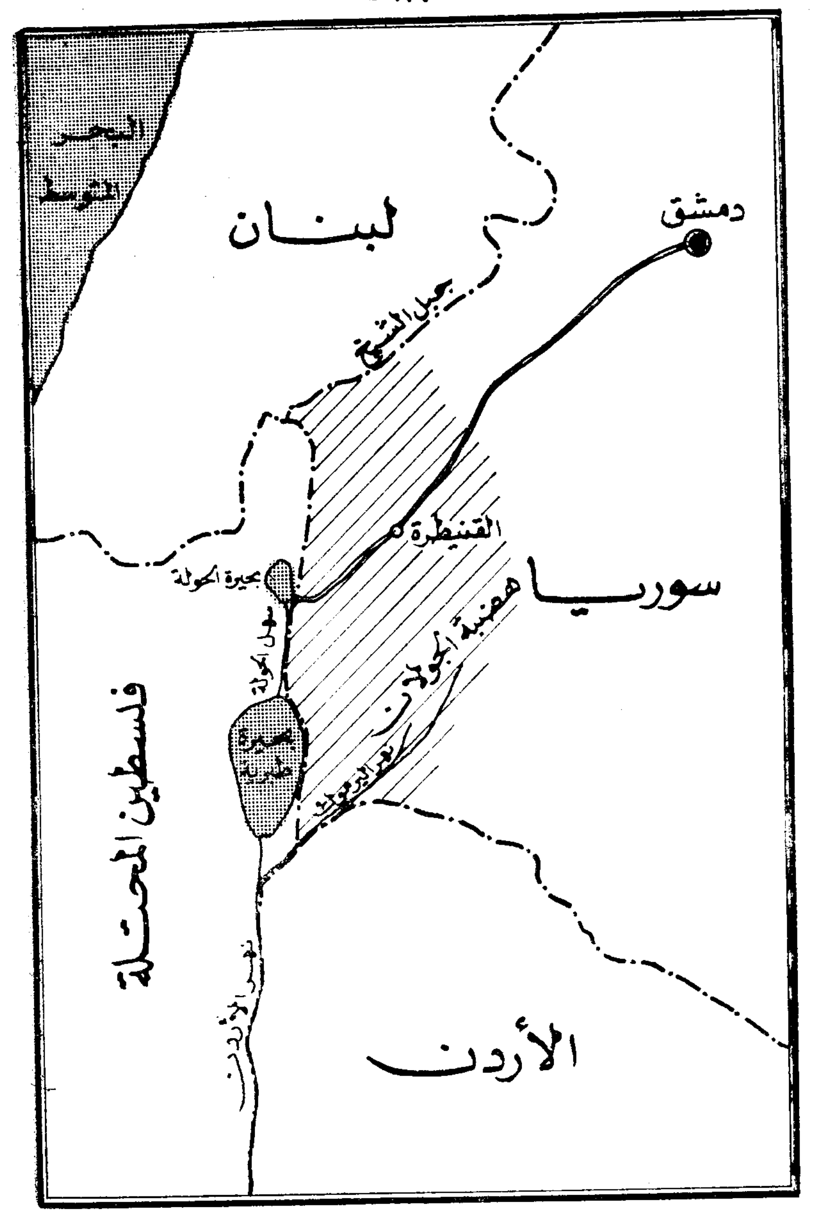
ضابطان اسرائيليان يرفعان اليد بالتحية للضباط المصريين .. بينما ضابط اسرائيلي ثالث يتقدم لتسليم علم اسرائيل رمزا لاستسلامهم ..

الفصل الرابع

المعركة فى الجولان وسيناء
وملحمة السويس المجيدة

هذه حرب صعبة ..
معارك المدرعات قاسية ..
ومعارك الجو فيها مريرة ..
إنها حرب ثقيلة بأيامها ..
ثقيلة بدمائها ..

موشى ديان



خريطة تبين موقع هضبة الجولان بالنسبة للعاصمة دمشق والدول العربية الثلاث المحيطة بها سوريا والأردن ولبنان

لم تكن المعركة الأولى الحاسمة تجرى على جبهة قناة السويس فقط .. بل كانت هناك جبهة أخرى بدأت عليها المعركة فى نفس الساعة واللحظة بتنسيق وترتيب محكم بينها وبين الجبهة المصــرية .. تلك هى الجبهـــة السورية فى الشمال .. على أرض الجولان الحبيبة التى احتلتها إسرائيل فى عام ١٩٦٧ .. ولكى تكون الصورة كاملة لابد أن نتكلم عن معركة الجولان أيضا .. ثم ننتقل بعد ذلك لمتابعة تطورات الحرب فى سيناء ابتداء من معارك المدرعات الكبرى حتى الهجوم الإسرائيلى المضاد غرب القناة .. ونختتم هذا الفصل بالكلام عن معركة السويس المجيدة ..

فهذا الفصل إذن سيشمل النقط التالية :

أولا : معركة الجولان ..

ثانيا : حرب الدبابات فى سيناء ..

ثالثا : الهجوم الإسرائيلى المضاد وحكاية الثغرة .

رابعا : وقف إطلاق النار ..

خامسا : معركة السويس ..

***

أولا : معركة الجولان

موقع هضبة الجولان :

تقع هضبة الجولان فى الجنوب الغربى من سوريا ، وتعتبر نقطة التقاء بين حدود سوريا وإسرائيل وجنوب لبنان وشمال الأردن .. وهى منطقة صخرية وعرة تتخللها المرتفعات والوديان ويحدها من الشمال سهول جبل الشيخ ومن الجنوب منابع نهر اليرموك بطول ٧٦ كيلومترا وأقصى عرض لها ١٢ كيلو مترا .. وتقع بها هضبة بانياس التى ينبع منهـــا نهر الأردن أيضا .. **ويتراوح ارتفاع هضبة الجولان بين ٥٠٠ متر فوق سطح البحر إلى ١٥٠٠ متر ، كما يصـــل عمق بعض وديانها إلى ١٥٤ مترا تحت سطح** البحر وذلك فى وادى اليرموك ..

أهمية هضبة الجولان :

— وترجع الأهمية الاقتصادية لهضبة الجولان إلى أنها منبع نهرين من أهم أنهار المنطقة هما نهر الأردن واليرموك ..

— أما أهميتها الاستراتيجية (العسكرية) فترجع إلى أنهــا تتحكم فى ثلاثة محاور رئيسية ، وتعتبر مركزا دفاعيا هاما بالنسبة لسوريا والأردن ولبنان ضد أى عدوان إسرائيلى .. فهى ضرورية لأمن هذه الدول الثلاث.. وإذا كانت إسرائيل تتكلم عن الأمن وضرورة الجولان لأمنها ، فأولى بها أن تدرك أن حاجة الدول العربية الثلاث التى تطل عليها هضبة الجولان للأمن أكثر من حاجتها هى للأمن ، لأن هذه الدول لم تبدأ أبدا بالعدوان وكانت دائما هى المعتدى عليها .. ثم إن هضبة الجولان أرض سورية وأولى بأصحابها أن يحتفظوا بها للدفاع عن أنفسهم لا أن تغتصبها إسرائيل بالقوة وتحتفظ بها بالقوة أيضا بحجة ضرورتها لأمنها ..

— إن أهمية الجولان لأمن الدول العربية الثلاث ترجع إلى :

١ — خط الدفاع الأول عن دمشق :

أنها خط الدفاع الأول عن دمشــق .. فالمســـافة بين الجـولان ودمشق لا تتعدى أربعين كيلومترا وأى هجوم إسرائيلى على سوريا يمكن التصدى له فى الجولان بالذات لأنها أرض صعبة لا يسهل تخطيها دون خسائر فادحة .. بينما الطريق إلى دمشق بعد الجولان طريق ممهد سهل يصعب الدفاع عنه أمام أى هجوم كاسح .. ولقد ثبتت أهمية الجولان بالنســبة لسوريا خلال حرب أكتوبر بالذات حيث حاولت القوات الإســرائيلية بكل قوتها أن تكسر الهجوم السورى وتقوم بهجوم مضاد لاحتلال مدينة دمشق عاصمة سوريا .. وكان موشى ديان يذيع أن قواته على الطريق إلى دمشق.. وأن المســافة بينها وبين دمشق اثنا عشــر كيلومترا .. حاولت القوات الإسرائيلية المستحيل .. وتكسرت كل هجماتها على صخرة المقاومة البطولية المذهلة للجيش السورى التى تصدت للهجوم فى هضبة الجولان ، وساعدتها فى هذا التصدى الطبيعـــة الوعرة للهضبة والخنادق الطبيعية والصــناعية والمرتفعات الصخرية التى استطاعت القوات السورية أن تتخذ منها نقط دفاع حصينة ترد منها الهجمات المتكررة للقوات الإسرائيلية ، مما أعجزها عن التقدم نحو دمشق وتحقيق الحلم الإسرائيلى الإجرامى فى احتلال العاصمة السورية التى تعتبر قطعة من قلب كل عربى ..

٢ ـ خط الدفاع الأول عن جنوب لبنان :

ترجع الأهمية الاستراتيجية العربية لهضبة الجولان أيضا إلى أنها تعتبر خط الدفاع الأول عن جنوب لبنان .. لأن مرتفعات الجولان تطل على سهول لبنان الجنوبية ، وتستطيع القوات العربية منها حماية هذه المنطقة والتصدى لأى هجوم إسرائيلى على الجنوب اللبنانى .. بل وحماية بيروت ذاتها لأن المسافة بين حدود لبنان الجنوبية ومدينة بيروت لا تتجاوز مسيرة ساعات لأية قوات مدرعة مهاجمة .

٣ ـ نقطة دفاع هامة بالنسبة للأردن :

المحور الثالث لأهمية الجولان أنها نقطة الدفاع الحصينة عن ميمنة الجيش الأردنى وتأمينها ضد العدوان الإسرائيلى المتكرر .. وقد قامت إسرائيل بعد احتلال الجولان بنصب مدافع ضخمة فى منطقة هضبة عز الدين جنوب الجولان .. وكانت هذه المدافع هى التى تضرب منطقة إربد وأم قيس شمال الأردن وتجعل ميمنة الجيش الأردنى مكشوفة وتحت السيطرة الخطيرة للمدافع الإسرائيلية المتحكمة فيها من أعلى .

***

جبل الشيخ :

ـ وفى شمال الجولان يقع جبل الشيخ الذى يعتبر أهم موقع استراتيجى فى الهضبة بعد مدينة القنيطرة ..

ـ فجبل الشيخ يرتفع عن الهضبة ذاتها ، ويمكن منه رصد معظم الهضبة والحدود اللبنانية ومنطقة الجليل الأعلى فى فلسطين المحتلة ..

مدينة القنيطرة :

ـ أما مدينة القنيطرة فهى أكبر مدينة فى الجولان .. أو بمعنى أصح هى المدينة الوحيدة بالهضبة ، وباقى المناطق السكانية بها عبارة عن قرى صغيرة .. وكانت هضبة الجولان كلها تسمى محافظة القنيطرة نسبة إلى مدينة القنيطرة .. وأهمية هذه المدينة أنها تتحكم فى جميع الطرق والمحاور الرئيسية فى الهضبة ..

***

بدء المعركة ـ احتلال جبل الشيخ واختراق المواقع الإسرائيلية :

لم تكن إسرائيل تتصور أن القوات السورية سوف تقدر فى يوم من

الأيام على اختراق خط وقف إطلاق النار فى هضبة الجولان .. فقد أقامت إسرائيل خط دفاعها فى هذه المنطقة على محورين ..

المحور الأول :

جبل الشيخ وهو جبل يبلغ ارتفاعه ٨٧٢٤ قدما فوق سطح البحر ويتحكم فى المنطقة الشمالية من الهضبة كما بينا .. ويستحيل احتلاله بأية قوات أرضية ولابد من عمليات إنزال جوى .. وقد أقامت إسرائيل فوق هذا الجبل مرصدا مكونا من ثلاثة طوابق شديدة التحصين غير قابلة للتدمير وتقع داخل صخور الجبل وبعمق أربعين مترا لكى تكون فى موقع يستحيل اختراقه أو الوصول إليه بأية قوة .. وكانت إسرائيل من هذا المرصد ترى كل تحركات الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية فى جنوب لبنان وتعتبر هذا الموقع نقطة مراقبة استراتيجية هامة جدا توفر الحماية السريعة لقواتها فوق جبل الشيخ وفوق هضبة الجولان عموما ..

المحور الثانى :

ثم حفرت على طول خط وقف إطلاق النار بينها وبين القوات السورية خنادق عميقة لتكون حائلا دون أى اختراق مفاجىء لخطوطها .. وملأت هذه الخنادق بخزانات النابالم لإشعالها عند أى هجوم .. تماما كما فعلت عند خط بارليف فى جبهة قناة السويس ..

— وكما حدث فى الجبهة المصرية تماما .. فقد استطاع الجيش السورى طبقا لخطة عسكرية محكمة أن يحتل جبل الشيخ .. ويخترق الموانع الخندقية التى حفرتها إسرائيل .. ويجتاح خط وقف إطلاق النار خلال ساعات قليلة من بدء الهجوم ..

احتلال جبل الشيخ :

فى الساعات الأولى لبدء المعركة كانت الطائرات السورية الهليكوبتر تهبط على قمة جبل الشيخ وهى تحمل قوات الكوماندوز السوريين إلى الأماكن المحددة لها .. ومن هذه الأماكن تحركت كل مجموعة إلى أهدافها .. تحركت بعض المجموعات إلى قواعد المدفعية والصواريخ لتستولى عليها وتسكتها .. والبعض الآخر تحرك نحو مراكز القيادة والتوجيه ..

الاستيلاء على مرصد جبل الشيخ :

وأهم مجموعة اتجهت إلى المرصد الحصين فوق أعلى موقع فى الجبل



•مرصد جبل الشيخ الحصين الذى استولت عليه القوات السورية فى بدء القتال ..

وفى عمقه .. وكانت لحظة مفاجأة للقوات الإسرائيلية جميعها التى فوجئت بالكوماندوز السوريين ينقضون عليهم بالقنابل والمدافع الرشاشة والسلاح الأبيض .. ودارت معارك شرسة حارب فيهـا أبطال سوريا حربا نضالية عنيفة كلها تصميم على النصر .. كانوا قد خرجوا من قمقم المرارة وأعمق أعماق الألم الذى حبستهم فيه نكسة يونيو ١٩٦٧ .. كانوا ينتظرون هذه اللحظة بكل فوران دمائهم وغضبة نفوسهم .. وثورة الكرامة فى أرواحهم .. فلما جاءت اللحظة واندفعوا للتحرير لم تقف أمامهم حوائل .. وانقضوا على عدوهم بكل النقمة والغضب .. فلم يلبث هذا العدو أن تهاوى أمام ضرباتهم الموجعة .. فسقط منه كثير من القتلى والجرحى .. والباقون رفعوا رايات التسليم .. ولم تكد تمضى ثلاث ساعات حتى كانت كل المواقع الإسرائيلية فى جبل الشيخ قد انهارت ، وتم للقوات السورية الباسلة الاستيلاء عليها وأهمها المرصد الحصين الذى حاولت القوة المتمركزة فيه أول الأمر أن تتحصن داخله وتقاوم .. إلا أن الأبطال السوريين لم يبخلوا بالدم والتضحيات ، وألقى بعضهم بجسده ليفجر حصون المرصد ويفتح أبوابه ويرغم القوات الإسرائيلية بداخله على الخروج والتسليم ..

اختراق المواقع الإسرائيلية :

— فى نفس الوقت الذى كانت القوات السورية الخاصة (الكوماندوز) مشتبكة مع القوات الإسرائيلية فوق جبل الشيخ كانت القـوات السورية المدرعة قد بدأت هجومها الأرضى باختراق المواقع الإسرائيلية عند خط وقف إطلاق النار .. وذلك بعد أن أمنت نفسها ضد المدفعية الإسرائيلية المنصوبة فوق جبل الشيخ والتى أصبحت مشلولة عن العمل نتيجـة للهجوم الأول على الجبل ..

— عبرت المدرعات السـورية فوق الموانع التى أقامتها إسـرائيل بواسطة كبارى هيدروليكية.. تحملها شاسيهات أشبه بشاسيهات الدبابات، وذلك بعد أن دمرت كل التجهيزات الهندسية الأخرى التى كان الإسرائيليون قد أقاموها عند هذه الموانع .. كما دمروا واستولوا على كل المواقع الحصينة الأماميـة والحواجز الهندسية من دشم ونقط حراسـة ومراكز دفاع .. وواصلت القوات السورية المدرعة والمشاة الميكانيكية زحفها داخل المرتفعات السورية وتمكنت من تحرير عدد من المواقع والقرى فى هضبة الجولان ، كما أسرت عددا كبيرا من قوات العدو ..

— وبذلك انهار خط الدفاع الإسرائيلى الأول فى هضبة الجولان خلال الساعات الأولى للحرب ..

تطور المعركة فى الجولان حتى وقف إطلاق النار :

كانت معركة الجولان من أقسى المعارك فى تاريخ الحروب الحديثة .. ولقد سجلت فيها القوات السورية أمجادا وبطولات سوف يكتبها التاريخ بحروف من نور .. لقد دافعت القوات السورية عن أرضها دفاعا مجيدا يفوق كل وصف وكل تصور .. وقاومت بكل التصميم والإصرار والبطولة الهجمات المضادة الشرسة التى شنها العدو الإسرائيلى ضدها بكل ما تحت يده من سلاح يفوق كل تقدير .. ولقد حاولت إسرائيل تحطيم الجبهة السورية بكل ما أوتيت من قوة ..

ضرب المدنيين والأهداف الاقتصادية :

ولم تتورع إسرائيل عن ضرب الأحياء المدنية فى دمشق وقتل المدنيين الأبرياء والدبلوماسيين الأجانب ، وذلك بقصد تحطيم الروح المعنوية للشعب السورى .. كما شنت غارات جوية وبحرية كثيفة وعديدة على موانى سوريا على البحر الأبيض .. وخاصة ميناء اللاذقية .. ومعامل تكرير البترول فى طرطوس وبانياس والمواقع الصناعية فى حمص وحماة .. وهذه الضربات الإجرامية كلها كانت تستهدف تحطيم الاقتصاد السورى حتى تتراجع سوريا أو تنهار مقاومتها .. ولكن هذه الضربات لم تنل شيئا من تصميم سوريا وقدرتها على القتال ..

أكبر المعارك الجوية وتساقط طائرات إسرائيل :

— وقد دفعت إسرائيل فى هذه المعركة بكل قوتها الجوية والمدرعة فى نفس الوقت ، فى محاولة يائسة مستميتة لوقف الهجوم السورى الكاسح .. وقد تصدت قوات الدفاع الجوى السورى للهجمات الجوية الإسرائيلية الضارية بكل الشجاعة والكفاءة والثبات وأسقطت مئات الطائرات الإسرائيلية، حتى أن المعلقين قالوا إن الطائرات الإسرائيلية كانت تتساقط فوق الأراضى السورية كالذباب .. وكان الشعب السورى يقف فى الشوارع وفوق أسطح المنازل يتابع المعارك الجوية ويعد الطائرات الإسرائيلية التى تسقط .. ولم يكن الدفاع الجوى وحده وسلاح الصواريخ هو الذى صد الهجمات الجوية الإسرائيلية وأسقط طائرات إسرائيل كالذباب .. بل لقد دفعت سوريا بطائراتها المقاتلة الاعتراضية لتشتبك مع الطائرات الإسرائيلية فى أكبر المعارك الجوية التى جرت خلال الحرب .. وكان الطيارون السوريون خلالها يظهرون كفاءة مذهلة وشجاعة لا حدود لها .. حتى أن الطيارين

الإسرائيليين كانوا يتجنبون الاشتباك معهم ويسارعون بالهرب أو القفز من الطائرات بالمظلة ويفضلون أن يؤسروا على أن تسقطهم صواريخ المقاتلات السورية .

إسرائيل تستعين بالمرتزقة :

وهذا دعا إسرائيل إلى الاستعانة بالطيارين المرتزقة المأجورين وربطهم إلى مقاعدهم بالجنزير حتى لا يتمكنوا من القفز بالمظلة .. ولقد أسقطت المقاتلات السورية عددا من الطائرات الإسرائيلية ووجد طياروها قتلى بداخلها وأجسادهم مربوطة إلى المقاعد بالجنزير ، ونقلت وكالات الأنباء العالمية صورهم لتكشف للعالم كله عن حقيقة هؤلاء الطيارين المرتزقة الذين كانت تستأجرهم إسرائيل وتشترط عليهم عدم القفز بالمظلة ، فكانوا يقبلون وهم يظنون أنها رحلة سياحية فوق الأرض العربية التى قيل لهم إنها أرض مكشوفة ، وان العرب قوم متأخرون لا يجيدون استعمال السلاح .. ثم تكون المفاجأة فى انتظارهم حينما تتصدى لهم المقاتلات السورية ويكتشفون أنهم أمام محاربين من طراز ممتاز يتصفون بالشجاعة والكفاءة والتصميم ..

أكبر معارك الدبابات فى التاريخ :

— وكانت معارك الدبابات فوق هضبة الجولان من أكبر معارك الدبابات فى التاريخ .. وقيل أنها لا تقل — إن لم تكن تزيد — على معارك روميل ومونتجمرى فى العلمين .. وقد شهدت الجبهة المصرية فى سيناء معارك مثلها وأشرس منها فى الأيام التالية كما سنرى .. وقد تصدت القوات السورية للهجوم الإسرائيلى المضاد بإصرار يفوق التصور .

إنها ليست ١٩٦٧ :

وقد علق أحد كبار الضباط الإسرائيليين على حرب السوريين خلال هذه المعارك بقوله : « هذه حرب حقيقية ، إنهم يحاولون وقف تقدم دباباتنا ويطلقون مئات من القذائف على قوافل التموين والمستعمرات وكل شىء » . وأضاف الضابط وهو ينظر إلى قصف المدفعية السورية حوله : « إنها ليست حرب ١٩٦٧ ، إنها حرب شاقة وطويلة » .

مراسل رويتر يصف المعركة :

ويصف مراسل وكالة رويتر « بيرنارد إيدنجر » المعركة بقوله : « على مسافة ميل إلى الوراء من منطقة الأهداف كان رجال المرور الإسرائيليون يعملون محمومين فى إخلاء الطرق لسيارات الإمدادات والوقود والمياه .

ولسيارات نقل الجنود التى كانت عائدة من الجبهة تحمل أفرادا قد احمرت عيونهم وطالت لحاهم ، وبدا الإرهاق والوجوم على ملامحهم .. وقد انتشر ستار كثيف من الدخان على مسافة أميال فوق سلسلة الجبال البارزة بفعل المدفعية السورية التى يصل مداها إلى ٣١ كيلومترا ، وتحمل كل قذيفة من قذائفها ٤٥ كيلوجراما من المتفجرات ذات الكفاءة العالية .. وفى الخطوط الخلفية للجبهة كانت الطرق تغص بالقوات والسيارات الإسرائيلية ، وكانت عربات نقل الجنود والسيارات المغطاة بالفلين تبتعد عن الجبهة ، بينما كانت سيارات الإسعاف تسرع عائدة إلى المواقع الخلفية وصفاراتها تدوى » ..

سائح أمريكى فى المعركة دون إرادته :

— ومما يدل على أن إسرائيل خلال هذه الفترة أصيبت بحالة هستيريا محمومة من جراء المعارك أن سائحا أمريكيا شابا روى بعد أن عاد إلى بلاده أنه كان يمشى فى أحد الشوارع بعد اندلاع الحرب وفوجىء بإحدى سيارات نقل الجنود تحمله عنوة دون أن يفهم السبب لأن أحدا لم يكن على استعداد لمناقشته أو إيضاح شىء .. واندفعت به السيارة دون أن يدرى إلى أين .. وقد غلب عليه النعاس من شدة التعب فنام فى السيارة وهى مندفعة ، ولما استيقظ من النوم فوجىء بأنه فى جبهة القتال فوق الجولان ، وأنهم أخذوه ليحارب .. فكشف لهم عن شخصيته فكانت مفاجأة غير سارة لهم .. لكنهم قالوا له إنك لن تستطيع العودة الآن .. فكل السيارات تأتى حاملة الجنود الاحتياط الذين تجمعهم من الشوارع وتعود وهى حاملة الجنود الجرحى وجثث القتلى .. ولا يسمح لأحد بالعودة من الجبهة الآن .. فاضطر للبقاء فى الجبهة بين الجنود ، وكان يقوم بعملية نقل الجرحى إلى سيارات الإسعاف، وقال أنه عاش أياما رهيبة من فعل عنف القصف السورى ، وأن اثنين من زملائه الذين كانوا يعملون معه قتلا بجواره ، ورغم ذلك فقد كان مرغما على الاستمرار فى العمل حتى وقف إطلاق النار .. وبعدها سمح له بالخروج من الجحيم فأخذ أول طائرة وعاد إلى بلده ..

إنها واحدة من أكبر معارك العرب :

— وقصص كثيرة تروى .. ولكن معركة الجيش السورى لا يكفيها هذه الكلمات ولا تلك الصفحات ولا تحدد ملامحها هذه القصص والأقوال .. إنها من أكبر معارك العرب فى التاريخ .. وتحتاج حقا لمجلدات كاملة تروى كل تفاصيلها وأبعادها .. ولكن المهم فيها أنها لقنت إسرائيل درسا لن تنساه أبدا .. إنها ليست حرب ١٩٦٧ كما قال الضابط الإسرائيلى الكبير ..

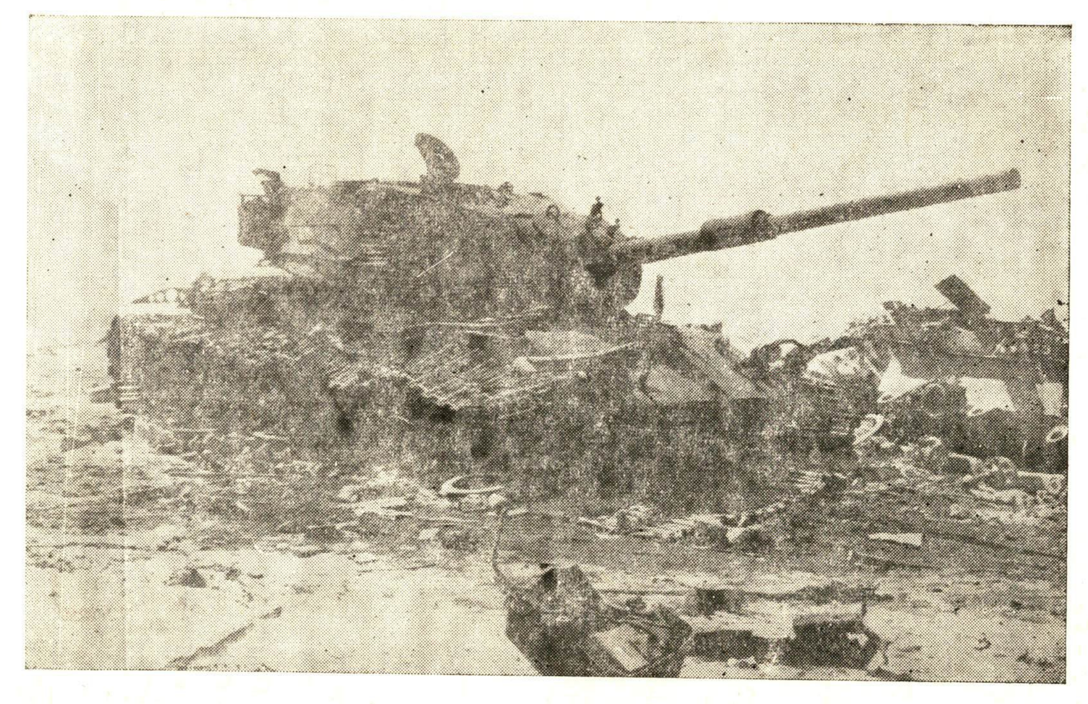
ــ ولقد استمرت معركة الجولان ثلاثة أسابيع خسرت فيها إسرائيل ما لا يقل عن مائتى طائرة وستمائة دبابة وما لا يقل عن ثلاثة آلاف قتيل وعشرة آلاف جريـــح غير الأسرى الذين تحتفظ بهـــم ســـوريا حتى الآن وتعجز إسرائيل عن أن تفعل شيئا لإنقاذهم .. ولقد خرج الجيش السورى البطل من هذه المعركة وهو أشد تماسكا وأقوى عودا .. بينما كان الجيش الإسرائيلى محطما ممزقا من طول المعارك وشراستها التى بلغت حدا لم يكن الجندى الإسرائيلى يتخيله على أية صورة من الصور ، ولم يكن قد أعد نفسه لمواجهته فى يوم من الأيام .. ولقد كان الجيش السورى قادرا على إنزال هزيمة ساحقة بإسرائيل بعد الأسبوع الثالث للحرب لولا قرار وقف إطلاق النار الذى أنقذ إسرائيل من دمار محقق ..

***

ثانيا : معارك الدبابات الكبرى فى سيناء

لم تكن المعركة فى سيناء منفصلة عن المعـــركة فى الجولان .. كانت معركة واحدة تجرى على جبهتين .. وكان الجندى المصرى فى سيناء يسأل دائما عما يجرى فى الجولان ويفتح الراديو على إذاعة دمشق ليعرف ماذا يجرى هناك أولا بأول .. كما كان الجندى السورى فى الجولان يتقدم فى الجولان وقلبه مع الجندى المصرى فى سيناء .. إن أى نصر كان يتحقق هنا كان يعطى شحنة دافعـــة قوية هناك ويرفـــع الروح المعنوية إلى مزيد من التضحيات ومزيد من البطولات .. وكمـــا فعل أبطـــال مصر الذين ألقوا بأجسادهم وسط حقول الألغام ليفتحوا الطريق لفرق الاقتحام .. فعل أيضا نفس الشىء أبطال سوريا .. كانت روح القتال والتضحية والبطولة واحدة .. كانت روحا عامة تسرى فى الجسد العربى الواحد سواء فى الشمال أو الجنوب ..

ولقد كانت معارك الدبابات الكبرى فى سيناء مكملة لمعـــارك الدبابات الكبرى فى الجولان .. ولقد بدأت مصر هجومها الشامل بالدبابات فى وقت مبكر لكى تخفف الضغط على الجبهة السورية .. واستمرت معارك الدبابات بعد ذلك على الجبهتين فى وقت واحد ، ومن الصعب أن نصف هذه المعارك أو أن نشرح خط سيرها لأنها لم تكن تجرى حول مواقع محددة أو مدن مثلا وإنما كانت تجرى على أرض مكشوفة فى صحراء سيناء وهضبة الجولان ..



الدبابات الاسرائيلية حطام على أرض سيناء بعد أكبر معارك الدبابات فى التاريخ ..

وكانت القوات العربية تستهدف من ورائها التقدم لتحرير مزيد من الأرض بينما كانت القوات الإسرائيلية تحاول ردها ووقف تقدمها بكل شراسة وعناد ..

ماذا قال المراسلون الأجانب ؟ :

ولكى ندرك عنف هذه المعارك وقسوتها تعالوا نقرأ هذا الوصف الذى كتبه المراسل العسكرى لوكالة اليونايتدبرس فى لندن « ك. تانر » .. يقول تانر : « **إن معارك الدبابات التى تدور رحاها فى الشرق الأوسط الآن قد** وصلت وتجاوزت فى بعض الحالات أكبر معارك المصفحات على الإطلاق التى وقعت فى الصحراء وفى ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ، إن خبراء الدفاع يبدون دهشتهم إزاء كمية المدرعات التى تم حشدها فى هذه المعارك وخاصة على الجانب المصرى ، ففى معركة العلمين الصحراوية سنة ١٩٤٢ التى اشتبكت فيها القوات البريطانية مع قوات روميل كان للبريطانيين نحو ١٤٠٠ دبابة ضد قوة دبابات ألمانية إيطالية تتكون من نحو ٥٥٠ دبابة ، وفى معركة ستالينجراد التى كانت من أعنف معارك الحرب العالمية الثانية حشد السوفييت نحو ٩٠٠ دبابة ضد نحو ٧٠٠ دبابة ألمانية .. وفى القتال الذى يدور فى الشرق الأوسط الآن قالت الأنباء إن سوريا هاجمت بنحو ١٤٠٠ دبابة وأن المصريين نقلوا إلى ضفة قناة السويس الشرقية أكثر من ٥٠٠ دبابة تشتبك منذ نقلها فى معارك مع الدبابات الإسرائيلية ، وقدر مجموع مالدى الإسرائيليين من دبابات عند بدء القتال بنحو ١٧٠٠ دبابة هناك ، فضلا عن ذلك احتياطى كبير من الدبابات لدى سوريا لابد من وضعه فى الاعتبار ، **كما أن لدى المصريين احتياطيا يقدر بمئات الدبابات على الضفة الغربية** للقناة ، ولدى العراق أكثر من ألف دبابة .. ويقول خبراء الدفاع أن استخدام هذا العدد الكبير من المدرعات على جبهات صغيرة نسبيا ومن جانب دول صغيرة نسبيا يعتبر فى الواقع حدثا لم يسبق له مثيل فى التاريخ العسكرى بما فى ذلك القتال الذى خاضته الدول العسكرية الكبيرة وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وبريطانيا وألمانيا فى الحرب العالمية الثانية » .

والمراسلون المصريون :

— وقد وصف المحرر العسكرى للأهرام معارك الدبابات فى اليوم السابع للقتال بقوله : « إن المعركة الدائرة الآن فى القطاع الأوسط من جبهة القناة أصابت العدو بضربات قوية فى المدرعات لم يكن يتوقعها ، وأن نتائج هذه المعركة سوف تكون مؤثرة فى سير القتال » .

استمرار المعارك وتطورها :

ولقد استمرت معارك سيناء بنفس الضراوة والعنف .. واستطاعت القوات المصرية تحطيم كل الهجمات المضادة التى شنها العدو وتدمير ألوية كاملة كاللواء المدرع ١٩٠ الذى تم تدميره عن آخره وأسر معظم أفراده وعلى رأسهم قائده العقيد « عساف ياجورى » .

— وبالرغم من كل هذه النتائج الباهرة فإن القوات المسلحة المصرية لم تكن تضع فى حسابها التقدم السريع وكسب الأرض كمهمة أولى .. كان هدفها المحدد — كما أعلن رئيس الأركان فى ذلك الوقت — إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالقوات الإسرائيلية ثم التقدم بخطوات محسوبة وطبقا لخطة موضوعة بحرص شديد وحذر .

ولكن لماذا لم نتقدم ؟ :

والواقع أن عدم تقدم القوات المصرية فى سيناء بالسرعة التى كانت تتيحها لها الظروف كان موضع تساؤل .. فقد كانت المقاومة الإسرائيلية ضعيفة .. وكانت القوات المصرية تستطيع بسهولة التقدم واسترداد معظم سيناء بل واجتياز الممرات والوصول إلى خطوط ١٩٦٧ ولكنها لم تستغل الفرصة وتتقدم .. لماذا ؟

— عن هذا السؤال أجاب المشير أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المصرية المسلحة فى حديث له نشر بجريدة الأهرام : « إن الموضوع بالنسبة لى لم يكن مسألة فرص ، وإنما كان مسألة حسابات ، ومهما وجدت من فرص تبدو متاحة أمامنا ، فقد كان على الا أغامر .. إننا بدأنا العملية فى حماية شبكة الصواريخ الشهيرة ، وإذا كان على أن أتقدم بعدها ، فقد كان لابد — سواء كانت هناك فرص يراها غيرى أو حتى أراها بنفسى — أن أنتظر حتى أتأكد أن قواتى وراءها الحماية الكافية .. كان لابد أن أعطى الفرصة لمدرعاتى بالدخول .. وكان لابد أن أعطى الفرصة لصواريخى المتحركة المضادة للطائرات بالدخول .. إن قواتنا الجوية قامت بعمل بطولى .. ولكن لو أنى دفعت بقواتى وراء الفرصة المتاحة التى يتحدثون عنها ، ولم تكن دفاعاتى ضد تفوق العدو الجوى جاهزة ، لكان معنى ذلك أننى ألقى العبء كله على الطيران ، وأحمله ما لا يطيق ، فى وقت أعرف فيه أن الساعات الصعبة ما زالت أمامنا » .

— الواضح من كلام القائد العام أن القوات المصرية لم تتقدم بسرعة

لأنها كانت تحسب لكل خطوة حسابها .. وكانت تريد تدعيم مواقعها ودفاعاتها فى المناطق التى استولت عليها قبل أن تتقدم خطوة جديدة ..

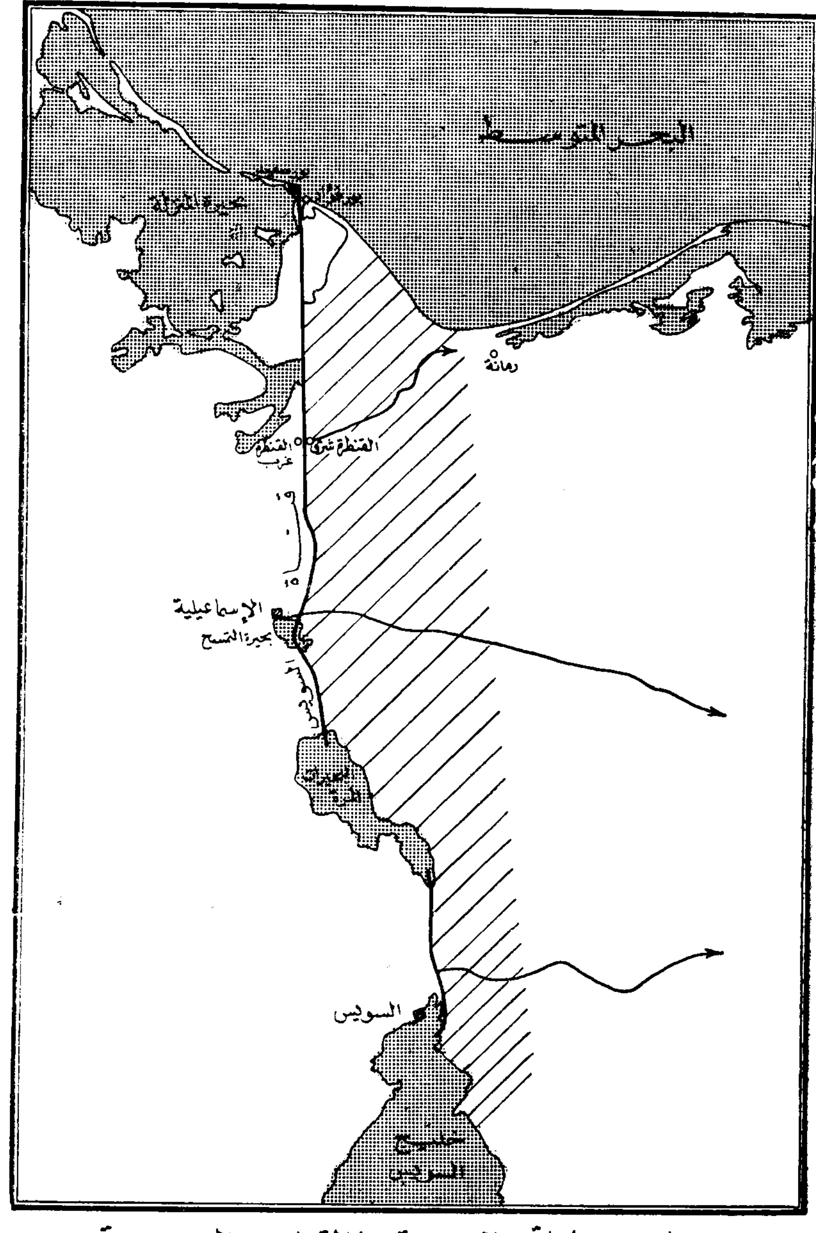
تحليل المعلقين الأجانب :

وهذا هو نفس ما استنتجه المعلقون والمراقبون الغربيون .. فقد كتبت جريدة « الأوبزرفر » البريطانية تحليلا للموقف أشارت فيه إلى هذه النقطة بالذات بقولها : « لم تكن الحرب فى سيناء كما توقع الإسرائيليون ، ولم تنجح خطة إيقاف المصريين ، فقد استطاع المصريون — بعد أن نقلوا ٤٠٠ دبابة عبر الجسور العائمة والزوارق — أن يربطوا بين رءوس الجسور فى خط مستمر يقع ما بين أربعة وتسعة أميال فى عمق — وعلى طول — الضفة الشرقية ، ثم لم يلبثوا أن اجتاحوا خط بارليف نفسه .. لكن لماذا لم يوسعوا منطقة العمليات منذ ذلك الحين ؟

هذا سؤال ينتظر إجابات مستفيضة ، وثمة تفسير محتمل . ليس لأنهم أوقفوا من جانب الإسرائيليين الذين منيت قواتهم الأولية بخسائر جسيمة ، بل لأنهم رفضوا بعد تحقيق المرحلة الأولى من خطتهم ، أن يجرى استدراجهم إلى فخ — ذلك أنه لم يكن خافيا على المصريين أن الخطة المقبلة لإسرائيل بعد انهيار خط بارليف ستكون إغراء المصريين على التقدم صوب مواقعهم المحصنة حول ممرى متلا والجدى ، وكلاهما خارج المدى الذى تغطيه صواريخ سام — ثم مهاجمتهم من الجو عن طريق الأجنحة — كان المصريون يدركون هذا الخطر .. ولم يكونوا ليغامروا بالإفراط فى التقدم دون وضع كل هذه الاعتبارات فى حسابهم » .

سبعة عشر كيلومترا شرق القناة :

— هذا هو السبب الذى من أجله لم تتقدم قواتنا لمسافة تزيد على سبعة عشر كيلومترا إلى الشرق من قناة السويس .. ليس لأن القوات الإسرائيلية تصدت لها ومنعتها ، ولكن لأنها كانت تتقدم طبقا لخطة مرسومة وحسابات دقيقة .. وكان المفروض بعد أن تدعم خط دفاعها الجديد أن تبدأ فى التقدم واجتياح خط الدفاع الإسرائيلى الثانى عند الممرات .. لكن جاء قرار وقف إطلاق النار ليوقف الهجوم عند هذا المدى انتظارا لمحاولات الحل السلمى الذى تعهدت الدولتان الكبريان بتحقيقه كما سيجىء شرحه فيما بعد .. لكن قبل وقف إطلاق النار بأيام قليلة كانت قد جرت على الجبهة المصرية عملية اختراق من جانب القوات الإسرائيلية سميت بعملية الثغرة عند الدفرسوار .. وهو الأمر الذى نتناوله فى النقطة التالية ..



خريطة تبين المواقع التى حررتها القوات المصرية والتى احتفظت بها بعد اتفاق الفصل بين القوات

ثالثا : الهجوم الإسرائيلى المضاد وحكاية الثغرة

مما لا شك فيه أن عملية الدفرسوار كانت بقعة معتمة حطت على وجه نصرنا العظيم الذى حققناه بكثير من التضحيات والبطولات وكثير من الدم والعرق والاخلاص والشرف .. وكنت أتمنى ويتمنى معى كل مواطن فى مصر والعالم العربى لو لم تحدث هذه البقعة وأن يظل انتصارنا العظيم صورة وضاءة متوهجة لا خدوش فيها ولا بقع .. ومع ذلك فإن أحدا من شعبنا لم يجزع أو يهتز .. لأن النصر الذى حققناه يستوعب فى قيمته الكلية كل الخسائر والتضحيات . وتلك هى الحرب .. أخذ وعطاء.. والذين يتصورون الحرب انتصارات مستمرة متواصلة يخدعون انفسهم مع الوهم .. لأن الحرب ليست صراعا مع الأمانى .. إنما هى صراع مع قوى حقيقية تواجهنا فى الجانب الآخر .. ولابد أن نفترض دائما أن عدونا سوف يفعل شيئا .. وأنه قادر على الفعل .. لأنه عدو لا يستهان به .. تقف وراءه أقوى دولة فى العالم .. وتمده بأقوى الأسلحة وأعتى المعدات .. وتضع كل ثقلها وراءه ..

الدعم الأمريكى المذهل لإسرائيل :

ولقد شهدنا وشهد العالم كله كيف أن أمريكا سارعت بنجدة إسرائيل وفتحت لها ترسانة سلاحها ومخازنها فى أوربا وأمريكا ، حتى أن السلاح المخزون لديها قد نقص وأصيب بعجز شديد نتيجة الكميات الهائلة التى تدفقت على إسرائيل فى الأيام الأولى للحرب .. لقد أقامت الولايات المتحدة الأمريكية جسرا جويا بينها وبين إسرائيل ، وكانت الطائرات الأمريكية الضخمة من طراز « جلاسكو » تنقل لإسرائيل كل يوم ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ طن من الأسلحة ، بل إن طائرات النقل الحربى الأمريكية لم تكف فاستعانت وزارة الدفاع الأمريكية بالشركات التجارية الأمريكية للطيران للقيام بحوالى خمسين رحلة لحساب « البنتاجون » بجانب طائرات النقل التابعة للسلاح الجوى الأمريكى .. هذا كله بخلاف الطائرات المقاتلة من طراز فانتوم وسكاى هوك التى أرسلتها أمريكا إلى إسرائيل بمعدل عشرين طائرة يوميا ، وكانت هذه الطائرات تطير مباشرة إلى إسرائيل بواسطة طيارين أمريكيين وتقوم بالتزود بالوقود أثناء الرحلة بواسطة طائرات وقواعد الأسطول الأمريكى السادس .. وكانت هذه الطائرات بطياريها الأمريكيين تدخل المعركة مباشرة دون انتظار حتى تغيير إشارتها ..

نيكسون يطلب ٢٢٠٠ مليون دولار لدعم إسرائيل :

— وكلنا يذكر الطلب الذى تقـدم به الرئيس الأمريكى نيكسون إلى الكونجرس بعد ثلاثة عشر يوما من بدء القتال للموافقة على اعتماد مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار لتغطية برنامج الإمدادات العسكرية العاجلة لإسرائيل .. وقال نيكسون فى رسالته هذه إن نفقات تعويض إسرائيل عن خسائرها فى السلاح والعتاد «عالية جدا» ، وأن الحكومة الأمريكية تكلفت ماقيمته ٨٢٥ مليون دولار من الأسلحة والعتاد لإسرائيل خلال الاثنى عشر يوما الأولى فقط من بدء القتال .. وأضاف نيكسون أن شحنات العتاد الأمريكى لإسرائيل تضمنت كميات كبيرة من الذخيرة وصواريخ أرض جو و جو جو ، ومدفعية ثقيلة واجهزة حربية للطائرات المقاتلة ، كما تتضمن إمدادات لتعويض خسائر إسرائيل من الدبابات والطائرات والأجهزة اللاسلكية وغيرها من العتـاد الحربى الذى فقدته إسرائيل فى معاركها الأخيرة .. وأضاف نيكسون أن اتساع الصراع خلق احتياجات تتجاوز قدرة إسرائيل .. ومن هنا أصبح ضروريا تزويدها بالمعدات العسكرية بالمجان .. ويبلغ حجم هذه الإمدادات وحدها ضعف ما حصلت عليه إسرائيل من أمريكا خلال تاريخها كله فى ربع قرن .. أى أن أمريكا أعطت سلاحا لإسرائيل فى حرب اكتوبر وحدها يوازى ضعف ما أعطته لها من سلاح خلال خمس وعشرين سنة كاملة .. بل إن وزير الدفاع الأمريكى جيمس شليزينجر صرح بأن أمريكا لن تقف عند هذا الحد .. بل إن الإمدادات الأمريكية من الأسلحة والذخيرة لإسرائيل يمكن أن تتزايد إلى أى مستوى يتطلبه منع وقوع اختلال خطير فى توازن القوى بالمنطقة ..

أحدث أنواع الأسلحة الأمريكية فى المعركة :

— ولم تكن إمدادات السلاح الأمريكية لإسرائيل من نوع الأسلحة المعروفة والتى بدأت بها الحرب وحدها .. بل تضمنت أنواعا حديثة جدا لم تعطها أمريكا حتى لحلفائها فى أوربا الغربية ، ولم يسبق استعمالها فى أى حرب أخرى فى التاريخ .. من ذلك القنبلة التليفزيونية وقنابل سمارت .. والصواريخ الموجهة بأشعة الليزر .. وانواع مدمرة أخرى من السلاح لم يكن العقل البشرى يتصور أن عصابة الدمار فى العالم التى تقودها أمريكا سوف تنتجها أو تسمح لنفسها باستعمالها لقتل كل عود أخضر ينمو على ارض شعب لم يحارب إلا من أجل حقه ودفاعا عن وجوده ومستقبله ..

سقطت إسرائيل وبدأنا نحارب أمريكا :

— ومن هنا كان واضحا أننا لم نعد نحارب إسرائيل .. لقد سقطت إسرائيل بكل ما أوتيت من قوة ودعـــم أمريكى طوال عمرها الإجرامى .. سقطت خلال الساعات الست الأولى للحرب .. وكانت خلال العشرة أيام التالية تلفظ آخر أنفاسها .. ولقد اعترف وزير دفاعها المغرور موشى ديان بأن إسرائيل كانت لن تجد طلقة واحدة فى مخازن ذخيرتها بعد الأسبوع الثانى للحرب .. كما أعلن وزير خارجيتها أبا إيبان بأنه لولا تدخل أمريكا العاجل بإنقاذ إسرائيل لكانت إسرائيل انتهت .. وهذا كله يفسر معنى كلام الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى يوم الأربعاء أول نوفمبر ١٩٧٣ أنه بعد الأيام العشرة الأولى اتضح أننا لم نعد نحارب إسرائيل وحدها ، لأن أمريكا كانت قد دخلت الحرب بكل ثقلها .. وأننا فى الواقع لسنا على اســـتعداد لمحاربة أمريكا ..

بدء الهجوم الأمريكى المضاد :

— فى هذا الوقت .. بعد العشرة أيام الأولى للحرب بدأ الهجـــوم الأمريكى المضاد (وأقول الأمريكى لأن إسرائيل كانت قد انتهت وكانت أمريكا فعلا هى التى تحاربنا بمفردها بأسلحتها وجنود إسرائيل طبعا ..) وقد استهدف هذا الهجوم شق القوات المصرية وفتح ثغرة بين الجيشين الثانى والثالث والعبور إلى الضفة الغربية للقناة بهدف تمزيق الجبهة المصـــرية وإجبار مصر على سحب قواتها من الضفة الشرقية للدفاع عن الجبهـــة الغربية .. ولتحقيق هذا الهدف تم حشد كل القوة المدرعة لدى إسرائيل ، من احتياطيها الاستراتيجى الذى تدعم بالأسلحة الأمريكية المتدفقة عليها من أحدث الأنواع ، حتى أنهم استطاعوا دفع مايزيد على الألف دبابة لتشتبك مع القوات المصرية فى القطاع الأوسط فى أعنف معارك للدبابات شهدها التاريخ العسكرى كله، وذلك بقصد شغل الجبهة المصرية بهذه المعركة الضارية بينما تقوم قوات متسللة صغيرة بالتسلل إلى غرب القناة والقيام بعمليات تدمير وإزعاج للقوات المصرية فى الغرب وقواعد الصواريخ والمدفعية .. الخ .

— ورغم ضراوة هذا الهجوم وكثافته إلا أنه لم يتمكن من إحداث أى اختراق للجبهة المصرية أو تأثير على تماسكها .. ولكنه نجح فى توفير إمكانية التسلل للقوات التى بدأت تتسلل وتتكاثر حتى تمكنت من إقامة رأس جسر عبر البحيرات المرة وإلى عمق سبعة كيلومترات غرب القناة .. ولقد واجهت القوات المصرية غرب القناة هذا التسلل بكل عنف وتدمير .. ولكن خطـــة

الهجوم كانت هى الاستمرار فى هذه العملية بأى ثمن .. فبدأت تدفع بقوات أكبر .. وكانت خسائرها تتزايد بشكل غير عادى ولكنهم كانوا على استعداد لتحمل أى قدر من الخسائر للاستمرار فى هذه العملية اليائسة .. ولقد بلغت خسائر إسرائيل فعلا فى هذه العملية حدا فاق كل خسائرها فى أية معركة أخرى ، لدرجة أن القيادة العليا للعدو كانت ستضطر لإلغاء العملية كلها والعدول عنها لو لم يجىء قرار وقف إطلاق النار فى اللحظة المحسوبة فعلا والتى كانت الخطة قد وضعتها فى حسابها من الأصل .. وكان تخطيط العملية يستميت من أجل أن يأتى قرار وقف إطلاق النار فى لحظة تكون القوات الإسرائيلية ما زالت موجودة فى رأس الجسر غرب القناة ثم تكمل مؤامرتها بعد ذلك خلال فترة وقف إطلاق النار .. وفعلا .. حينما صدر قرار وقف إطلاق النار كانت القوة الإسرائيلية غرب القناة لا تتجاوز لواء مدرعا واحدا .. ولم يكن تواجدها يزيد على مساحة سبعين كيلومترا مربعا فى منطقة محصورة عند الدفرسوار .. وكان تواجدها هذا لا يشكل أى خطورة عسكرية على القوات المصرية لا فى الشرق ولا فى الغرب .. بل كان تواجدا خطرا على القوات الإسرائيلية ذاتها لأنها تضع نفسها بذلك بين شقى الرحى دون أن تحقق أى هدف استراتيجى .. ولكن .. ما إن بدأ تنفيذ قرار وقف إطلاق النار حتى دفعت إسرائيل بقوات هائلة عبر رأس الجسر لتنتشر على طول الجزء الجنوبى للضفة الغربية من البحيرات المرة شمالا حتى ميناء الأدبية جنوبا .. مستخدمة فى ذلك كل أنواع الأسلحة الرهيبة التى زودتها بها أمريكا أخيرا من طائرات مزودة بأحدث وأعقد الأجهزة الألكترونية المعاكسة للصواريخ .. ومستخدمة قنابل سمارت .. والقنابل التليفزيونية .. والصواريخ الموجهة بأشعة الليزر .. كل هذا فى هجوم كاسح بدأته بعد وقف إطلاق النار .. وفى وقت كانت كل الجبهات قد توقفت عن الحرب .. وخلا لها الجو لتقوم بعمليتها الإجرامية هذه غرب القناة ..

— ولكن ..

— لقد تحولت هذه الثغرة مع الوقت إلى نكبة بالنسبة لإسرائيل .. فقد أحاطت القوات المصرية إحاطة كاملة بالقوات الإسرائيلية غرب القناة ، وبدأت تخوض ضدها حرب استنزاف تدفع فيها إسرائيل ثمنا غاليا من الدم والضحايا .. حتى اضطرت تحت وطأة خسائرها البالغة هذه أن تقبل اتفاق الفصل بين القوات وتسحب كل قواتها من غرب القناة مسجلة بذلك فشل العملية كلها فشلا كاملا كما سنرى فيما بعد ..

***

رابعا : وقف إطلاق النار وخطاب الرئيس فى ١٦/١٠/١٩٧٣

فى ١٦/١٠/١٩٧٣ وبينما المعركة على أشدها والقوات المصرية والسورية تحرز انتصارات عظيمة على جميع الميادين ألقى الرئيس السادات بيانه الشهير فى مجلس الشعب الذى عرض فيه مبادرة السلام ، وكان ذلك من مركز قوة وبعد أن أعلن للعالم أجمع أن « العدو المتغطرس قد فقد توازنه إلى هذه اللحظة .. وأن هذه الأمة الجريحة قد استعادت شرفها .. وأن هذا الوطن يستطيع أن يطمئن بعد خوف أنه قد أصبح له درع وسيف .. » ثم ألمح الرئيس بعد ذلك إلى التدخل الأمريكى فى المعركة بقوله : « لم يكف الولايات المتحدة أن سلاحها هو الذى مكن إسرائيل من تعطيل كل محاولات الحل السلمى فى أزمة الشرق الأوسط ، فإذا هى بينما نحن نقاتل العدوان ونحاول إزاحة كابوسه عن أراضينا المحتلة ، تسارع إلى العدوان تعوضه عما خسر ، وتزوده بما لم يكن لديه » .. ثم تحدث الرئيس عن الجسر الجوى والبحرى الذى أقامته أمريكا بينها وبين إسرائيل لمدها بالأسلحة فقال: « إن الولايات المتحدة تقيم جسرا جويا وبحريا تتدفق منه على إسرائيل دبابات جديدة وطائرات جديدة ومدافع جديدة وصواريخ جديدة والكترونيات جديدة » .. ثم قال الرئيس : « لقد فكرت أن أبعث إلى الرئيس نيكسون بخطاب نحدد فيه موقفنا بوضوح ، ولكنى ترددت خشية إساءة التفكير ، ولذلك فإننى قررت أن أستعيض عن ذلك بتوجيه كلمة مفتوحة إليه من هنا .. رسالة لا يمليها الخوف ولكن تمليها الثقة .. رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية فى صون السلام ودعم الوفاق .. » ثم عرض الرئيس شروطه لوقف القتال فى قوله : « إننا على استعداد لقبول وقف إطلاق النار على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا .. وتحت إشراف دولى إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ .. وأننا على استعداد فور إتمام الانسحاب من كل هذه الأراضى أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة لوضع قواعد وضوابط لسلام فى المنطقة ، يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة » .

ـــ والواقع أن الرئيس أنور السادات بهذا العرض قد أراد أن يضع حدا للتدخل الأمريكى ، وأن يفتح طريقا أمام المجتمع الدولى لإنهاء الصراع على أساس تحقيق الهدف الذى من أجله حاربنا .. لأننا كما قال الرئيس : « لسنا مغامرى حرب وإنما نحن طلاب سلام » .

ـــ ولقد تمت اتصالات دولية بعد هذا العرض الذى تقدم به الرئيس

وسافر وزير خارجية الولايات المتحدة إلى الاتحاد السوفييتى ، وتم الاتفاق بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا بعد أخذ رأى الأطراف المعنية على مشروع قرار تقدمت به الدولتان المذكورتان إلى مجلس الأمن ..

***

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ :

ووافق مجلس الأمن فعلا على القرار المذكور بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ وأعطى رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ وقد تضمن ثلاثة بنود نصها :

١ — يدعو كل الأطراف فى القتال الحالى فى الشرق الأوسط لوقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكرى فورا فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة منذ لحظة الموافقة على هذا القرار ، وفى المواقع التى يحتلونها الآن .

٢ — يدعو الأطراف المعنية لأن تبدأ فورا بعد وقف إطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل بنوده .

٣ — يقرر أن تبدأ فورا وفى نفس الوقت مع وقف إطلاق النار المحادثات بين الأطراف المعنية تحت « الإشراف المناسب » بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط » .

— وهذا القرار يتفق كثيرا مع ما عرضه الرئيس ، لأنه نص على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها فى عام ٦٧ لعدم شرعية احتلال الأراضى بالقوة .. كما نص على عقد مؤتمر السلام تحت الإشراف الدولى .. والخلاف الوحيد بين القرار وبين مبادرة الرئيس أن القرار قد نص على أن المؤتمر ينعقد فى نفس الوقت مع وقف إطلاق النار دون أن يشترط انسحاب إسرائيل أولا كما كان الرئيس يطلب .. وعلى أى حال فهذه مسألة إجراءات لأن الانسحاب فى النهاية لابد أن يتحقق كشرط أساسى لكى يمكن الاتفاق على إقامة السلام المنشود .

الأسباب الحقيقية لقبولنا وقف إطلاق النار :

— ولقد شرح الرئيس السادات الأسباب الحقيقية التى دعته لقبول وقف إطلاق النار فى المؤتمر الصحفى الذى عقده صباح الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ لممثلى الصحافة العالميين بقوله : « فى الأيام الثلاثة الأولى وبعد العمل العسكرى الفذ الذى عبرت به قواتنا أخطر مانع مائى فى التاريخ واجتاحت خط بارليف ، خسر الإسرائيليون — باعترافهم — على الجبهة المصرية ٥٠٠ دبابة وعددا كبيرا من الطائرات .. واستمر القتال أعنف ما يكون على

الجبهتين المصرية والسورية حتى يوم ١٧ أكتوبر ، وفى ذلك اليوم بدأت أمريكا تتدخل علانية لإمداد إسرائيل بالذخائر والسلاح » (الحقيقة أن تدخل أمريكا بدأ منذ الأيام الأولى للحرب باعتراف الرئيس نيكسون الذى قال فى رسالته للكونجرس يوم ٢٠ أكتوبر أن الإمدادات التى أرسلها فعلا لإسرائيل خلال الثلاثة عشر يوما الأولى للحرب بلغت قيمتها ٨٢٥ مليون دولار .. وباعتراف وزير الدفاع الأمريكى جيمس شليزينجر الذى أعلن أن إمدادات أمريكا من السلاح لإسرائيل قد كانت من الكثرة لدرجة أنها أحدثت عجزا خطيرا فى المخزون لديها من بعض أنواع الأسلحة) . ويستطرد الرئيس السادات قائلا : « وقد أعلن وزير الدفاع الإسرائيلى فى البرلمان أنه فى ذلك اليوم لم تكن لديه ذخائر تكفى لاستمرار القتال ، وقد كانت تقديراتنا من البداية — وثبتت صحتها — أن لدى إسرائيل ما يكفى لاستمرار القتال ١٤ يوما فقط ، وقد تدخلت أمريكا قبل ثلاثة أيام من نفاد قدرتهم على استمرار الحرب ، وفوجئنا بأعداد كبيرة من الدبابات تدخل المعركة وبأسلحة جديدة لم يستخدمها الجيش الأمريكى بعد ، مثل القنبلة التليفزيونية والقنابل المضادة للدروع ، ولكن واجهنا كل الهجمات المضادة ورددناها .. وعندئذ طرحت الدولتان الكبيرتان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة مشروعا لوقف إطلاق النار وقبلته مصر لسببين :

الأول : أن المشروع بضمانة الدولتين العظميين ويحدد وقف إطلاق النار على خطوط ٢٢ أكتوبر ، ويبدأ بعد ذلك على الفور تنفيذ القرار رقم ٢٤٢

والثانى : بعد تدخل أمريكا بتسليح إسرائيل بهذا المستوى فإن مصر لاتحارب أمريكا » .. وأعلن الرئيس أنه اتخذ قراره بقبول وقف إطلاق النار رغم ردود الفعل داخل القوات المصرية المسلحة وبين الشعب المصرى وفى الأمة العربية .

ردود فعل عكسية لقرار وقف إطلاق النار :

— والواقع أن قرار وقف إطلاق النار قد أثار ردود فعل عكسية شديدة فى الداخل والخارج ، وكانت ليبيا والعراق بالذات من أكثر الدول العربية غضبا للموافقة على وقف إطلاق النار .. ولكن الحقائق التى تكشفت بعد ذلك أكدت أن الرئيس السادات اتخذ قراره فى لحظة كان التدخل الأمريكى قد بلغ حدا لا يمكن تجاهله ، وأن رفض الموافقة على وقف إطلاق النار رغم ذلك كان يعنى أننا سنضع أنفسنا وجها لوجه أمام القوة الأمريكية المجنونة ، مما كان يمكن أن يؤدى إلى تحول الحرب إلى صدام دولى يضع العالم كله على شفا حرب عالمية مدمرة .

وعلى أى حال فإن الأمة العربية لن تنسى ولا ينبغى أن تنسى لأمريكا هذا الموقف أبدا .. لقد تدخلت فى لحظة كان يمكن أن تنتهى فيها المأساة كلها ، وأن يتم وضع حد لهذا الصراع الطويل المرير الذى مزق منطقتنا وعالمنا وهدد حياتنا وأمتنا بسبب أطماع مجرمة لمجموعة من العسكريين الصهيونيين .. ولقد أثبتت بتدخلها هذا أن الصراع فى حقيقته ليس صراعا بيننا وبين إسرائيل فحسب .. بل هو صراع مع القوى الاستعمارية والصهيونية المتعاونة والمتآمرة على منطقتنا التى تبغى استمرار السيطرة والاستنزاف لخيرات المنطقة وثرواتها .. ولم يكن تدخل أمريكا — كما قال وزير خارجيتها هنرى كيسنجر — لمنع انتصار السلاح السوفييتى على السلاح الأمريكى .. وإنما كان الهدف قبل أى شىء آخر هو إنقاذ إسرائيل وحمايتها حتى تستمر فى القيام بنفس الدور الاستعمارى الذى تلعبه فى منطقتنا ..

***

ولكن إسرائيل لم تحترم القرار ..

محاولة غزو مدينة السويس ..

ولكن .. رغم أن القرار قد صدر بناء على اتفاق الدولتين العظميين ورغم أن إسرائيل أعلنت موافقتها عليه قبل أن يصدر فعلا إلا أنها — كعادتها — لم تحترمه ، ويبدو أنها كانت قد رتبت خطتها على أساس أن تستمر فى عدوانها بعد توقف القتال ، وتحاول تحقيق أى كسب رخيص على حساب التزامنا بشرف الكلمة واحترامنا للاتفاقات الدولية .. ومن هنا بدأت معركة السويس .. أو ملحمة السويس التى عرفت تفاصيلها الكاملة بعد اتفاق الفصل بين القوات وانسحاب آخر جندى إسرائيلى من حول السويس وفتح الطريق إلى المدينة يوم ٢٩ يناير ١٩٧٤ ، وكانت قصة كفاح السويس وصمودها هو الفصل الأخير المشرف أيضا فى قصة حرب أكتوبر التى كانت كل صفحة فيها تنطوى على إضافة عظيمة لتاريخ نضالنا وأصالة الإنسان على أرضنا ..

***

خامسا : ملحمة السويس المجيدة

بدأت الملحمة يوم ٢١ أكتوبر .. قبل وقف إطلاق النار بيوم واحد .. الطيران الإسرائيلى المزود بأحدث الطائرات والمعدات الالكترونية التى وصلت من أمريكا بعد يوم ١٦ أكتوبر .. بدأ يهاجم مدينة السويس بشراسة .. كانت القوات الإسرائيلية المتسللة غرب القناة قد استطاعت

نسف معظم قواعد الصواريخ التى كانت تحمى سماء المنطقة .. تمكن الطيران الإسرائيلى بذلك من الإغارة على المنطقة بلا قوة مضادة رادعة .. ركز غاراته بالذات على مدينة السويس والمناطق المحيطة بها كميناء الأدبية .. لم يتصور أبناء السويس فى ذلك الوقت أن الأمر يحمل نذيرا لهم .. لقد كانت القوات الإسرائيلية المتسللة تتمركز عند منطقة محدودة حول الدفرسوار ، وتلقى مقاومة عنيدة وعمليات إبادة مستمرة من قواتنا هناك .. ولذلك مر اليوم الصعب كما مرت أيام كثيرة صعبة من قبل شهدت فيها السويس غارات وغارات .. منذ كارثة ١٩٦٧

أحداث يوم ٢٢ أكتوبر :

— يوم ٢٢ أكتوبر استمرت الغارات .. وزادت عنفا .. وكانت تستهدف المرافق الحيوية فى المدينة لتحطيمها وبث روح اليأس فى النفوس .. ضربوا وابور المياه ومحطة توليد الكهرباء .. وضربوا مصانع الأسمدة ومعامل تكرير البترول .. كما كانوا يضربون المناطق السكنية وخاصة المناطق التى تقع عند مشارف المدينة .. كان الضرب شديدا ومركزا .. والدمار يشمل كل شبر فى المدينة .. والحرائق مشتعلة فى كل مكان .. وسط هذا الدمار كله كانت المدينة تشتعل بالحركة والحيوية والحماس .. لم يشعر الناس بالجزع أو الانهيار .

صوت مؤمن ينادى بالمقاومة :

وارتفع بينهم صوت رجل مؤمن أخذ ينادى بينهم «حى على الكفاح».. تجمع أبناء المدينة من المدنيين ومعهم رجال الشرطة والجيش فى مسجد الشهداء خلف المحافظة .. وقال لهم إمام المسجد الشيخ حافظ سلامه : «إذا كان الإسرائيليون بهذا الضرب كله يمهدون لاحتلال السويس فيجب علينا أن نقاوم حتى آخر رجل وآخر رمق » .. وارتفعت صيحاتهم تردد : نحن فداء السويس .. وبدءوا ينظمون صفوفهم .. جمعوا أسلحة الجنود الجرحى فى المستشفى الأميرى ووزعوها على الأهالى العزل من السلاح .. وتولى الجنود تدريبهم على استعمالها .. كما نظمت صفوف الجنود ، وكان من بينهم عدد كبير من الجنود الوافدين من بعض المناطق التى احتلها الإسرائيليون غرب القناة .. التحم الجميع وكونوا جيشا شعبيا مركز قيادته مسجد الشهداء .. وشاركت ممرضات مستشفى السويس الأميرى فى الإعداد للمعركة بصنع قنابل مولوتوف فى زجاجات الجلوكوز وتوزيعها على

الرجال ، وحتى الأطفال ومنهم الطفل البطل محمد عبد الرازق الذى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، والذى سوف يبرز دوره فيما بعد ..

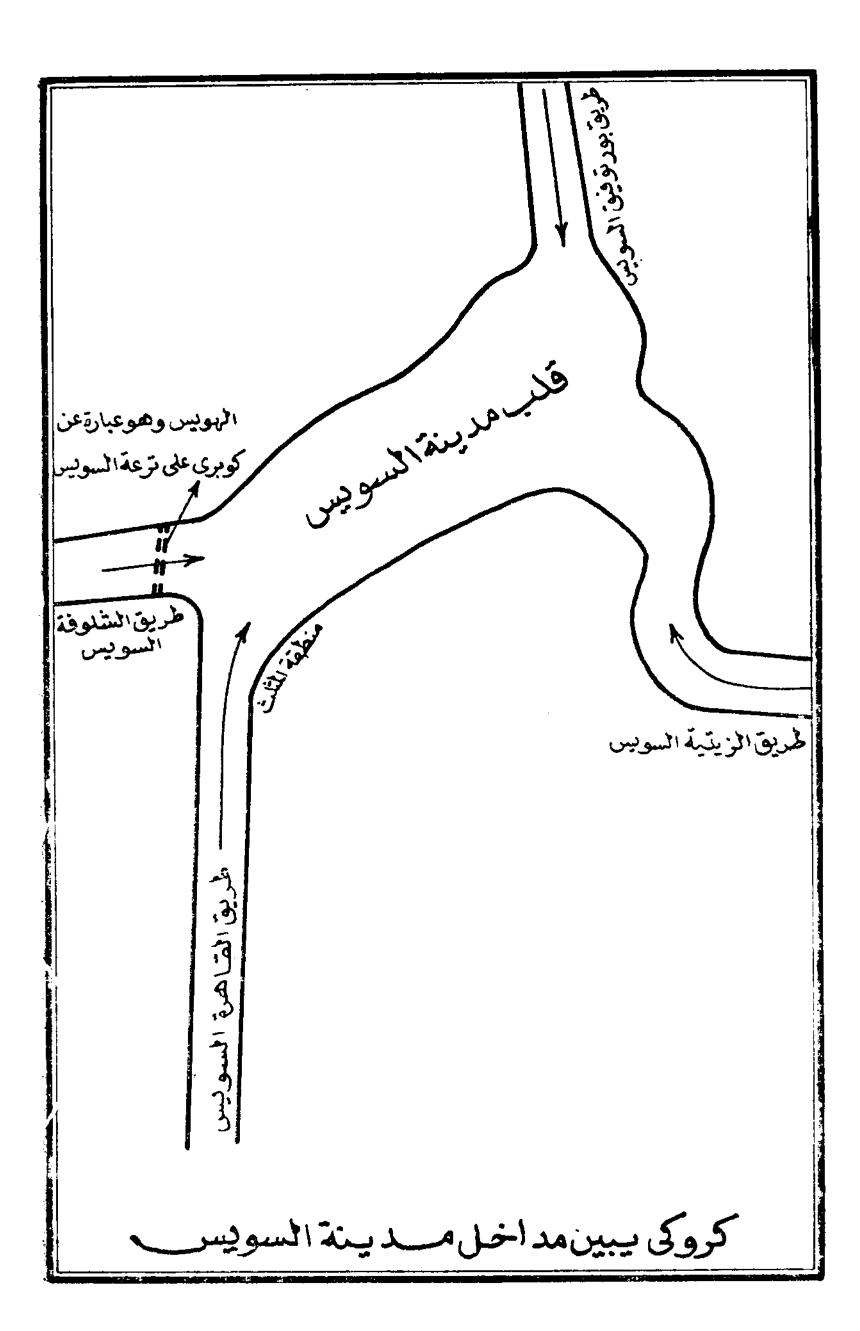
— وانقضى يوم ٢٢ أكتوبر .. ورغم أن قرار وقف إطلاق النار كان من المفروض تنفيذه فى الساعة السادسة والدقيقة الثامنة والخمسين من مساء ذلك اليوم إلا أن العدو لم يلتزم بذلك واستمرت غاراته على المدينة فى تلك الليلة حتى الحادية عشرة مساء ..

أحداث ٢٣ أكتوبر :

— مع فجر يوم ٢٣ أكتوبر والمفروض أن قرار وقف إطلاق النار دخل يومه الثانى .. فوجئت المدينة بالغارات الكثيفة الشرسة تعود من جديد .. ومع الساعات الأولى من الصباح وصلت الأنباء لأبناء المدينة المجتمعين فى مسجد الشهداء بأن الإسرائيليين بدءوا يطوقون السويس ويتجهون نحو الأدبية ويقطعون طريق القاهرة — السويس .. وتأكد الجميع أن الخطوة التالية هى الهجوم على السويس .. ومن هنا تقرر توزيع قوات المقاومة لحماية المدينة وصد أى هجوم .. كانت الأماكن المحتمل الهجوم منها ثلاثة .. هى مداخل السويس الثلاثة .. طريق السويس القاهرة ويقع فى غرب المدينة وبدايته عند منطقة المثلث .. وطريق السويس الشلوفة ويقع فى شمال المدينة وبدايته عند منطقة الهويس .. وطريق السويس الزيتية والأدبية ويقع فى جنوب السويس وبدايته عند الزيتية اى معامل التكرير .. أما طريق السويس بور توفيق فى الشرق فهو بعيد عن متناول العدو لأن قوات الجيش الثالث كانت متمركزة فى مواقعها المحررة شرق القناة أى شرق بور توفيق ..

— ووزعت قوات المقاومة عند المداخل الثلاثة .. قوات تحمل الصواريخ المضادة للدبابات (الأر بى جى) .. وبعضها يحمل القنابل اليدوية .. والبعض الآخر يحمل المدافع الرشاشة .. وآخرون للمساعدة وحمل الذخيرة .. كما انتشرت قوات أخرى فى الأماكن الحيوية بداخل المدينة وقلبها لحمايتها من أى تسلل قد ينجح فى اختراق الدفاعات المقامة عند المداخل الثلاث ..

— ولكن مضى يوم ٢٣ أكتوبر دون أن يحاول العدو الهجوم على المدينة .. كان يعزز مواقعه التى استولى عليها فى الأدبية وعلى طريق القاهرة السويس وطريق الزيتية وطريق الشلوفة .. كان يريد إحكام الحصار حول المدينة أولا قبل الهجوم عليها ..



كروكي يبين مداخل مدينة السويس

معركة السويس المجيدة يوم ٢٤ أكتوبر :

بدأت المعركة فى الساعة السادسة من صباح يوم ٢٤ أكتوبر .. طائرات العدو تشن غارات مروعة على المدينة .. كل تركيزها فى هذا اليوم على المدينة .. ضرب وحشى لم يسبق له مثيل بقصد تحطيم معنوية النـــاس وانهيارهم من الداخل .. ولكن الذى حدث كان عكس ذلك تماما .. فقـــد اجتاح الجميع روح فدائية عالية ارتفعت بهم عن كل مشاعر الخوف وأنزل الله السكينة على قلوبهم ، فكانت صيحاتهم تتردد فى كل مكان ومع كل انفجار: «الله أكبر .. الله أكبر من المعتدين .. الله أكبر من الغادرين المجرمين».. وأخذ الرجال يجوبون الشوارع بمكبرات الصوت (الأبواق) ينـــادون فى الناس أن يصمدوا ويستبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم مهما كان الثمن .. ولعب الشيخ سلامه دورا عظيما فى إلهاب حماس الجماهير وبث روح المقاومة والإصرار على الصمود فى الجميع .. كان يذكرهم ببطولات الرسول عليه الصلاة والسلام .. ويقول لهم إنها إحدى الحسنيين .. إما الشهادة وإما النصر .. وأحس الجميع أنهم فى لحظات تاريخية .. لا حساب فيها للجسد ولا قيمة للحياة .. الكل قد نسى نفسه وأصبح متصلا بربه .. روح ربانية شملت الجميع .. كانوا يتحركون والقنابل تتساقط عليهم كالمطر ولايشعرون معها بأى خوف أو جزع ..

لقد تجلت فى معركة السويس يوم ٢٤ أكتوبر روح بدر بحق وصدق ، وكان كل شعب السويس فى ذلك اليوم مثل جنود بدر يحاربون عدوا يتفوق عليهم عشرات المرات بسلاحه وعدده .. وهم فى ظروف صعبة .. محاصرين بعيدا عن قواتهم الأصلية .. وليس لهم من مدد أو عون سوى قوتهم الذاتية المحدودة وقوة إيمانهم التى لا حدود لها .. فصنعوا المعجزات وقهـــروا العدوان ..

معركة الأربعين :

بعد تمهيد الطيران وغاراته الكثيفة التى استـــمرت أكثر من ثلاثة ساعات .. بدأ الهجوم بالدبابات من طريق القاهرة السويس .. اشتبكت معها قوات الكمين الموجود عند منطقة المثلث بقيـــادة المقاتل على منصور الذى أطلقوا عليـــه اسم « على آر بى جى » .. واستطاع هـــذا المقاتل ومجموعته تدمير معظم دبابات القول المهـــاجم وأصـــابوا خمس دبابات كانت ما تكاد القذيفـــة تصيبها حتى يسارع أفرادها بالخروج منهـــا للهرب فتلحقهم القنابل اليدوية تنهال عليهم فى برج الدبابة فتدمرهم فى أماكنهم قبل

أن يتمكنوا من الفرار .. البعض الذى استطاع الخروج كانت تلاحقه المدافع الرشاشة فتحاصره وتقضى عليه ..

— بعض الدبابات استطاعت التقدم فى سـرعة مذعورة نحو قلب المدينة .. وصلت إلى مركز شرطة الأربعين .. وهناك اصطدمت بكمين آخر بقيادة المناضل البطل إبراهيم سليمان ، وهو من أبناء السويس وكان متطوعا فى منظمة سيناء وخاض معارك كثيرة من قبل فى قلب خطوط العدو .. استطاع إبراهيم سليمان أن يصيب الدبابة الأولى المتقـدمة ويدمرها .. وعلى الأثر ارتفعت صيحات الجماهير تدوى الله أكبر .. الله أكبر .. وأصاب الذعر والهلع الجنود الإسرائيليين الموجودين بداخل الدبابات الباقية فخرجوا منها مسرعين دون أية مقاومة .. وحاولوا اللجوء إلى مركز الشرطة للاحتماء به فلاحقتهم قوات الشرطة والأهالى وحاصروهم وقضوا عليهم حتى أبادوهم عن آخرهم .. وبرزت فى هذه المعركة بطولة الطفل الصغير محمد عبد الرازق الذى فجر إحدى الدبابات بقنبلة يدوية وكان يساعد فى حمـل الذخيرة إلى المناضلين .. كما برزت بطولة الشهيد أحمد أبو هاشم الذى استشهد فى هذه المعركة مع زميله البطل إبراهيم سليمان الذى استشـهد هو الآخر بعد أن أوقف زحف الدبابات وأصابته رصاصة من طلقات جنود العدو الذين كانوا يطلقون النار فى كل اتجاه وهم يحاولون اللجوء إلى مبنى قسم الشرطة .. كما برزت بطولة ضباط الجيش والشرطة وعلى رأسهم العقيد فتحى عباس والمناضلين محمود عواد وغريب محمد عزب .. كمـا برزت بطولة أبناء السويس من الأهالى المدنيين نذكر منهم صبحى السيد وسعيد عبد الحميد والأسطى حسين الحلاق وأحمد داود والشيخ عبد الله رضا وعلاء الخولى وعادل الحداد وصابر جاد ومحمد نصر وعلى الدين أحمد عوض ومحمد عبد الحليم وزهير عبد الواحد وفتحى عطا الله وذهنى منصور وغيرهم من أفراد الشعب الذين شاركوا فى المعركة ودمروا العدو ودباباته ..

— وانتهى اليوم المجيد بمشاهده البطولية المذهلة .. العدو خارج المدينة ينتظر الإشارة من قواته المهاجمة للاقتحام .. ولكن هذه الإشارة لم تصله أبدا .. لأن كل قواته المهاجمة دمرت ولم يبق منها شىء .. ولم يعد منها فرد واحد .. تأكد العدو أن كل آماله تحطمت وأنه فقد كل قواته التى هاجمت .. وصدرت البلاغات تقول إن العدو فقد فى هذه المعركة ثلاثة عشر دبابة .. غير عدد قتلاه الذين بلغوا مع قتلى اليوم التالى سبعين قتيلا ..

***

معارك ٢٥ أكتوبر ...

والإنذار بالتسليم :

صباح يوم ٢٥ أكتوبر .. اتصل القائد الإسرائيلى المتمركز بقواته فى منطقة الزيتية على مشارف السويس .. اتصل بمحافظ السويس ووجه إليه إنذارا بتسليم المدينة خلال نصف ساعة وإلا قامت القوات الإسرائيلية بتدميرها .. وقبل أن تنقضى المهلة وصل الرد إلى القائد الإسرائيلى عن طريق مكبرات الصوت المنطلقة من جامع الشهداء تحمل صوت الشيخ حافظ سلامه تدعو الناس للاستعداد لمعركة أخرى وتعلن رفض الإنذار ، وأن السويس لن تسلم أبدا حتى ولو هدموها عن آخرها .. وارتفعت فى الناس روح الإصرار والصمود .. كانت انتصارات الأمس كفيلة بأن تعطيهم الثقة كل الثقة فى أنفسهم .. ورغم أنهم توقعوا أن يكون هجوم العدو فى ذلك اليوم أكثر شراسة وعنفا كى ينتقم من هزيمة الأمس .. إلا أنهم صمموا على الاستمرار فى المقاومة والصمود .. وكان شعار الجميع أن السويس لن تسلم أبدا ..

— وفعلا بدأ العدو يهاجم بدباباته عند الظهر .. كان هجومه هذه المرة من ناحية الزيتية — وهى أضعف نقطة — لأن الطريق المؤدى إلى السويس منها ليس محصورا بين المبانى الكثيفة كباقى الطرق .. ولكنه طريق مفتوح يحده البحر وبعض المبانى العامة المحدودة كمبنى قصر الثقافة والمدرسة الثانوية .. ومع ذلك تصدى الرجال للهجوم .. ودمروا إحدى عشرة دبابة وقضوا على كل من كان فيها .. وبرز فى هذه المعركة كل من المقاتلين رضا وعواد من رجال الجيش الثالث ..

المحاولة الثالثة من الهويس :

عاود العدو إنذاره عند الرابعة بعد الظهر .. وكان مصير هذا الإنذار الرفض كسابقه ، ومن ثم بدأت محاولة العدو الثالثة لاقتحام المدينة .. وكانت هى المحاولة الأخيرة اليائسة .. هاجم هذه المرة من ناحية الهويس .. وتصدى له رجال الجيش الثالث من مواقعهم غرب القنال وهى قريبة من منطقة الهويس .. أمطروا دباباته المهاجمة بوابل كثيف من نيران المدفعية ، كما تصدى له المقاتلون والأهالى من كمائنهم مما اضطره التراجع .. ولكن بعد أن خسر ثمان دبابات أخرى .. وبذلك بلغت دباباته التى خسرها فى محاولاته الثلاث الفاشلة اثنتين وثلاثين دبابة غير سبعين قتيلا ..

معركة الصمود ومواجهة الحصار :

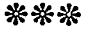
لم يحاول العـــدو دخول الســـويس بعد يوم ٢٥ أكتوبر .. اكتفى بحصارها وضـــربها من الخارج على أمل أن تتحطم مقاومتهـــا وتستسلم بلا هجوم .. زادت الغارات الشرسة يوم ٢٦ أكتوبر وأصابت القنـــابل مخازن الدقيق وكان بهـــا ٢٤٠٠ جوال هى أغلى ما تملـــكه المدينة فى تلك اللحظات الصعبة ورفض أبناء المدينة الأبطال أن يتركوا غذاءهم نهبا للنيران فاندفعوا وسط النار ينقذون ما يمكن إنقاذه حتى تمكنوا من إنقاذ ١٤٠٠ جوالا نقلوها لمسجد الشهداء مع باقى المواد التموينية التى كانت موجودة فى مخازن الجمعية التعاونية وغيرها ، وتعاون الجميع فى نقل وحماية مواد التموين حتى أن كبار الضباط كانوا يحملون الجوالات والصناديق جنبا إلى جنب مع الأهالى .. لقد سادت الجميع فى هذه الفترة الصعبة روح الأسرة الواحدة فساد الحب بينهم والتآخى والتآلف .. ولم يكن هنـــاك تزاحم للحصول على مواد التموين .. بل كان كل منهم يؤثر أخاه .. وكان الجميع يؤثرون الجنود .. وبدأت عمليات توزيع المواد التموينية بنظام مثالى على جميع الأفراد بنفس القدر والنسبة .. المدنيين والعسكريين .. كان هناك مخبز كبير يعمل بكل طاقته ويصنع الخبز للجميع بما يكفى رغيفين فى اليوم لكل فرد .. وكان الفرد يحصل بالإضـــافة إلى الخبز على ثلاثة علب من الطعام المحفوظ كل أسبوعين ويحصل على خمسة جنيهات شهريا لشراء باقى لوازمه من المحلات التجارية التى استمرت تعمل خلال فترة الحصار وكانت تبيع السجائر والحلوى وبعض أنواع المأكولات من الكميات التى كانت مختزنة بها قبل العدوان .. أما المحلات التى كان أصحابها غائبين عنهـــا فقد فتحت بمعرفة لجان من المحافظة قامت بجرد محتوياتها وبيعها للجمهور وحفظ ثمنها كأمانة بصندوق المحافظة لتسليمها لأصحابها عند فتح الطريق .

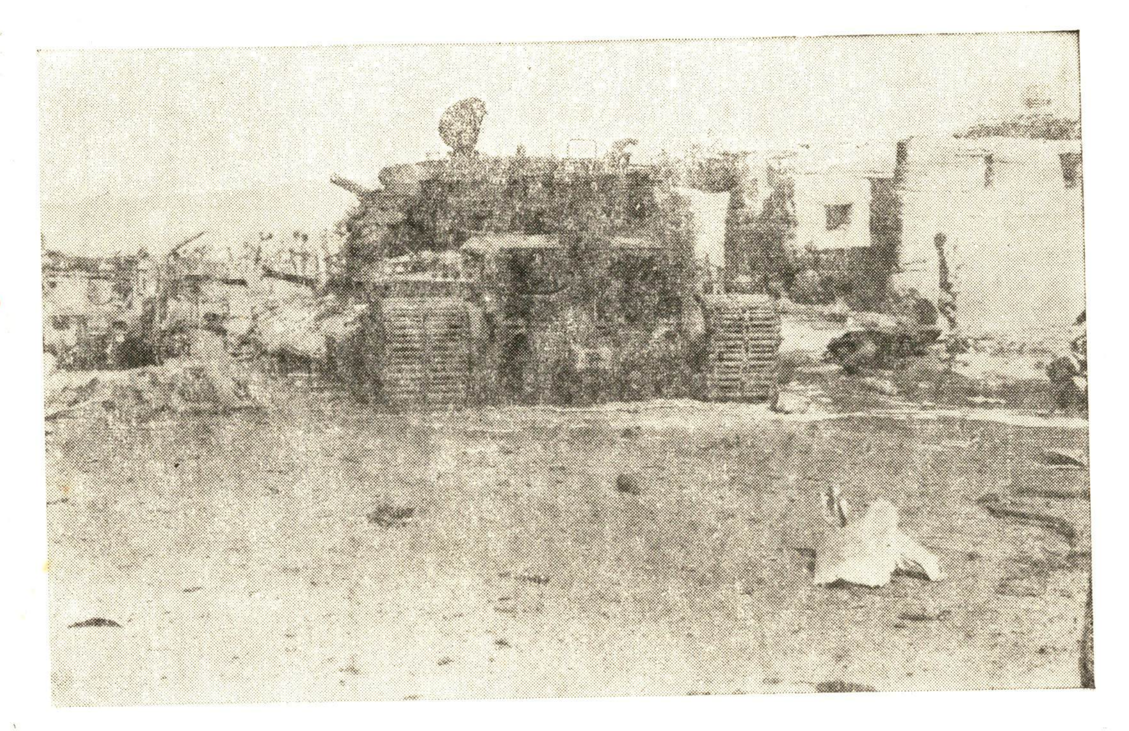
عين المياه بمنطقة الغريب :

ـــ أما مشكلة المياه فقد عانت المدينة منها فى الأيام الأولى لأن الإسرائيليين سدوا الترعة التى تمد المدينة بالمياه العذبة وضربوا وابور المياه .. ولكن شاء الله الا يموت أبطال السويس عطشا ، إذ فجر لهم عينا عذبة كانت مهجورة منذ ثمانين عاما .. وكانت قد أنشئت فى مكانها عمارة سكنية حديثة وفوقها تماما كان يوجد محل « إسكافى » .. تلك هى عين المياه التى تفجرت بجوار مسجد الغريب .. حيث فوجىء بعض المارة يومها بالمياه تسيل من تحت باب الدكان .. ودهشوا لهذا الماء المنساب وهم يعلمون أن كل مواسير المياه

جافة ولا يوجد بها ماء .. واعتقدوا أنها من طفح المجارى .. وأبلغوا الأمر للمسئولين الذين فتحوا باب الدكان ليفاجئوا بالميـــاه تفيض من العين .. تذوقوا المياه فوجدوها مياها عذبة طيبة .. وهلل الناس وكبروا .. وانتشر الخبر بسرعة البرق وجاء الأهالى من كل صوب يشهدون المعجزة .. إن الله لن ينساهم .. ولقد شرب أهالى السويس من هـــذه البئر طوال فترة الحصار .. بل شرب منها رجال الجيش الثالث .. وكان توزيع المياه يتم بنظام شديد حيث كانت تعبأ فى صفائح وتوزع بواقع لترين لكل فرد يوميا ..

— واستمر الحال على هذا الوضع حتى بدأت قوافل التموين تدخل المدينة ابتداء من يوم ١٦ نوفمبر.. وقد تم رفع الحصار نهائيا عنها بعد اتفاق الفصل بين القوات ، وكان ذلك يوم ٢٩ يناير ١٩٧٤ وبعد أن شهدت المنطقة معارك ضارية أخرى استمرت طوال فترة الحصار حيث لم يتوقف أبطـــال السويس عن مناوشة العدو والإغارة على مواقعه ، وقد سجلوا صفحات بطولية مجيدة خلال هذه المرحلة تحتاج لكتاب آخر عن بطولات أكتوبر ..





حطام الدبابات الاسرائيلية فى مدينة السويس ..

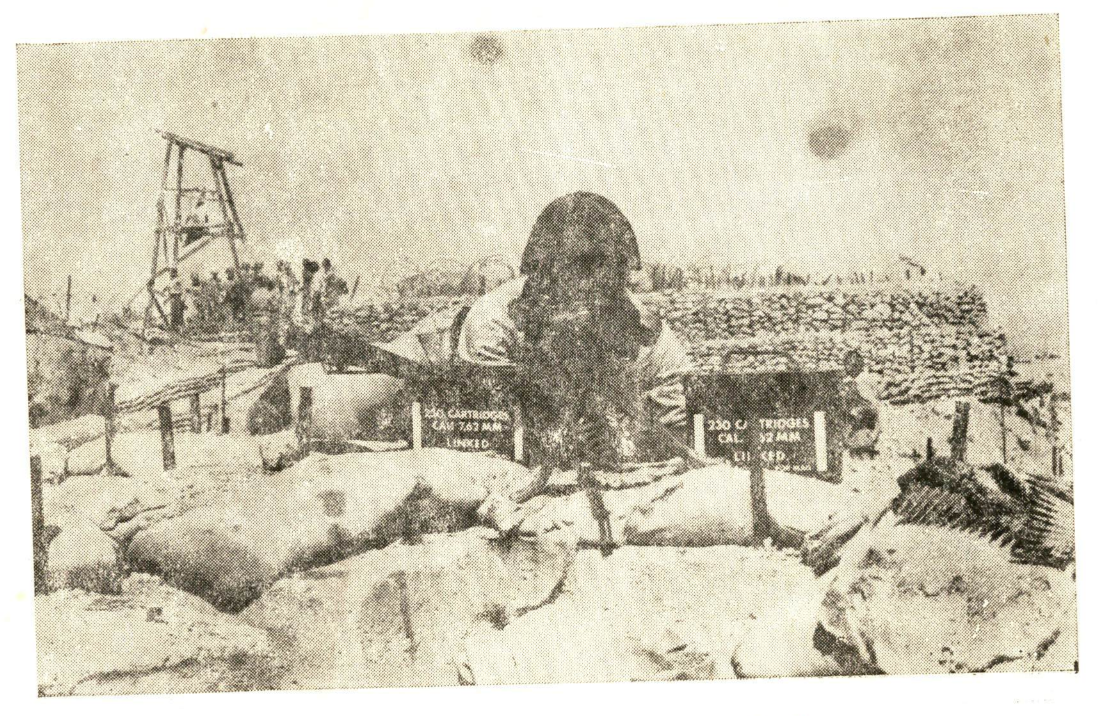
الفصل الخامس

نتائج الحرب

« لقد اقتنعت تماما — بعد حرب أكتوبر — بأن انتهاج إسرائيل لأية سياسة تنزع إلى الحرب سيكون من شأنه القضاء على إسرائيل ، وإنى أتمنى أن يتخذ الإسرائيليون موقفا متبصرا يمكنهم انطلاقا منه أن يضمنوا بقاءهم فى الشرق الأوسط » .

الجنرال أندريه بوفر

مدير معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسى



بالمرصاد .. لن يستطيع العدو أن يمر ثاية من هنا ..

بدانا هذا الكتاب بالكلام عن أسباب وأهداف حرب أكتوبر .. ثم تكلمنا عن الحرب ذاتها والمعارك التى خاضتها قواتنا المسلحة فى مصر وسوريا حتى قرار وقف إطلاق النار ..

ـــ والآن نتكلم عن نتائج الحرب ..

ـــ الواقع أن النتائج النهائية لحرب أكتوبر لا يمكن تحديدها الآن .. فما زال الموقف الساخن الذى أشعلته الحرب قائمـــا .. وما زالت آثارها وأصداؤها تتتابع وتتردد .. وما زال العدو فى دوامة الصدمة لم يفق بعـــد لكى يرى الحقيقة ــ كل الحقيقة ــ ويحدد موقفه .. وما زال العـــالم كله يعيد حساباته ويجرى تقديراته لكى يحدد المواقف النهائية .. وأخيرا ما زال مؤتمر جنيف الذى تمخضت عنه الحرب فى بدايته لم يفعل شيئا ..

ـــ ولكن مما لا شك فيه أن هناك مجموعة حقائق واضحة ومحددة أبرزتها الحرب وشكلتها ويمكن على ضوئها تحديد احتمالات المستقبل والتنبؤ بالنتائج النهائية المتوقعة للحرب ..

ـــ هذه الحقائق الواضحة التى سوف تؤثر وتحدد النتائج النهائية للحرب هى :

أولا : ظهور القوة العسكرية العربية كقوة مؤثرة وحاسمة فى الصراع العربى الإسرائيلى وتحطم أكذوبة أن الجندى العربى جندى متخلف أو غير كفء أو غير شجاع .. تلك الأكذوبة التى روجت لها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ حتى صدقها العالم .. ثم كانت مفاجأته الكبرى ماأظهره الجندى العربى من كفاءة وبطولة خارقة فى حرب أكتوبر ، الأمر الذى سيحدث أثره الأقوى فى معنوية الإنسان العربى عموما واسترداده كرامته وثقته بنفسه .

ثانيا : انتهاء أسطورة جيش إسرائيل الذى لا يقهر وانكســـار نظرية الأمن الإسرائيلية القائمة على الردع والذراع الطولى .. وتلك هى أهم وأخطر نتائج حرب أكتوبر على المستوى المحلى والدولى كما سنرى ..

ثالثا : بروز العالم العربى كقوة واحدة خطيرة أمام العالم وإمكانية استعمال العرب لأسلحتهم الاقتصادية المؤثرة كسلاح البترول وذلك لأول

مرة فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ، واتفاق العرب على استراتيجية عربية واحدة للمدى الطويل من خلال مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الجزائر فى نوفمبر سنة ١٩٧٣

رابعا : تغير الموقف الدولى كله إزاء إسرائيل . إما لإنكشاف موقفها كعميلة للاستعمار الجديد وعدوة أصيلة لحركات التحرر العالمية ، وإما لانتهاء دورها كحامية للمصالح الغربية فى المنطقة وصاحبة القوة التى تستطيع أن تردع وأن تمنع .. والدول التى غيرت موقفها من إسرائيل بسبب العامل الأول هى الدول الإفريقية .. أما الدول التى غيرت موقفها من إسرائيل بسبب العامل الثانى فهى أوربا الغربية واليابان كما سنرى ..

خامسا : بدء تفكك العلاقة العضوية التى تربط بين إسرائيل وأمريكا .. وأقول بدء .. لأن هذه العلاقة لا يسهل تفككها بين يوم وليلة ، ذلك أن الدولتين يربطهما اتفاق مصالح واحدة كما بينا من قبل وسوف تصارعان طويلا ومعا من أجل تفكيك آثار حرب أكتوبر عليهما معا .. لأن حرب أكتوبر لم تكن ضربة لإسرائيل وحدها بل كانت ضربة لاستراتيجية أمريكا أيضا .. ولكن .. من الممكن أن تغير أمريكا استراتيجيتها التى كانت تعتمد اعتمادا كليا على إسرائيل فى السيطرة على المنطقة وخاصة بعد ١٩٦٧ وتفكر جديا فى بدء عصر وفاق مع العرب بدلا من عصر الردع والتخويف بإسرائيل ، خاصة وأن مصالح أمريكا الحقيقية لدى العرب وليست لدى إسرائيل ، فضلا عن أن استمرار ارتباط أمريكا بإسرائيل سوف يضر بعلاقتها العضوية الأهم مع أوربا الغربية واليابان التى غيرت موقفها فعلا من إسرائيل .

سادسا : ازدياد توثق علاقات الصداقة والتعاون بين العرب والدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى وكذلك دول عدم الانحياز وعلى رأسها يوغوسلافيا والهند . وبداية عصر الصداقة القائمة على الثقة المتبادلة والمستندة إلى أرض صلبة صنعتها انتصارات الجندى العربى بالسلاح السوفييتى ..

— ونلخص هذه النتائج كلها فى رءوس موضوعات أربعة ثم نشرح كل موضوع على حدة بتفصيل أكثر ..

١ — أثر الحرب على الجبهة الداخلية .

٢ — أثر الحرب على إسرائيل ..

٣ — العالم العربى قوة واحدة .

٤ — العالم يغير موقفه من إسرائيل .. إفريقيا .. أوربا .. أمريكا .. الاتحاد السوفييتى .

— وفى النهاية نتكلم عن مؤتمر السلام فى جنيف .. واتفاق الفصل بين القوات على الجبهة المصرية .

***

أولا : أثر الحرب على الجبهة الداخلية

تعالوا ننظر أولا إلى مشاعرنا وأحوالنا خلال الأيام والشهور والسنين السابقة على حرب أكتوبر .. ثم ننظر الآن — وبعد هذه الحرب — إلى أعماقنا ومشاعرنا ومدى إحساسنا بالمستقبل .. ثم نقارن بين الصورتين .. ومن خلال هذه المقارنة سوف نكتشف الشىء الذى غيرته فينا هذه الحرب ..

سوف نكتشف أن هناك حقيقة مؤكدة زرعتها هذه الحرب فينا الآن .. هى الثقة بالنفس والاطمئنان إلى المستقبل .. وانتهاء عصر التمزق والانطواء على المرارة والحسرة وتعذيب النفس ..

***

حرب أكتوبر غيرت هذا كله ..

— ولم يكن الذى حدث على أرض المعركة مصادفة أو حادثة عابرة .. بل كان محصلة آلاف السنين التى عشناها على هذه الأرض فارتبطنا بها وأحببناها بكل دمائنا ومشاعرنا، ومن ثم كانت وطنيتنا وفداؤنا من أجلها عطاء صادقا أصيلا اندفعنا له بكل حب وصدق حين نادتنا فى وقت المحنة ..

— ثم الذين قالوا إن كفاءة الجندى المصرى كانت مفاجأة حرب أكتوبر .. هذا القول لا يعبر عن حقيقة الواقع بقدر ما يعبر عن جهل الذين قالوه بحقيقة الجندى المصرى .. لماذا كانت كفاءة الجندى المصرى أو العربى عموما مفاجأة لهم ..؟ ومنذ متى كان الجندى العربى غير كفء ..؟ لن نعود بعيدا إلى الوراء .. لن نعود لعصور التاريخ البعيدة .. عصر قدماء المصريين ومعاركهم

ضد الهكسوس .. ولا لعصور التاريخ المتوسطة ومعارك العرب ضد أقوى دولتين فى ذلك الوقت الفرس والروم .. ولا لعصور التاريخ الحديثة وحروب العرب ضد التتار والصليبيين .. ولكن فى عصرنا الحديث .. لماذا نسوا حرب الجزائر وما فعله عرب الجزائر وكيف أنهم فتحوا أمام كل شعوب العالم المغلولة طريقها نحو التحرر وأثبتوا إمكانية انتصار الشعوب الصغيرة على أقوى قوى الأرض .. كيف أنهم أثبتوا إمكانية انتصار الإنسان على السلاح وليس عرب الجزائر وحدهم .. قبلهم خاض الليبيون كفاحا ضاريا بطوليا ضد الإيطاليين .. وخاض المصريون كفاحا بطوليا طويلا ضد الإنجليز .. وخاض السوريون واللبنانيون والعراقيون كفاحا طويلا بطوليا ضد الفرنسيين والإنجليز أيضا .. وبعد الجزائريين كانت ملحمة الثورة اليمنية فى اليمن الجنوبية وفى إمارة عمان ..

— ثم يدهشنى الذين تكلموا كثيرا عن مفاجأة قدرة الجندى العربى على الاستعمال الكفء للأسلحة الحديثة والمعقدة .. هذا القول أيضا لا يكشف عن حقيقة جديدة بالنسبة للعرب بقدر ما يكشف عن جهل القائلين به .. لأن العرب ليسوا قوما متخلفين كما قيل وكما روجت إسرائيل طويلا ، وهى التى تعلم مثل غيرها بل وقبل غيرها أن العرب هم أساتذة العالم فى العلوم الحديثة .. هم الذين علموا العالم الطب والكيمياء والطبيعة والرياضيات .. وهم الذين كانوا همزة الوصل بين الحضارة اليونانية القديمة والحضارة الأوربية الحديثة .. وما زال أبناؤنا فى الخارج هم منارة كل معاهد الأبحاث ومعامل التجريب وأصحاب النظريات والآراء التى فتحت وتفتح الطريق أمام العلم الحديث كله ..

***

سقطت الأكذوبة وبانت الحقيقة إذن على أرض المعركة .. لسنا متخلفين ..

ولا تنقصنا الشجاعة ..

ولا تنقصنا الروح القتالية ..

وارتباطنا بأهدافنا واستعدادنا للتضحية حقيقة متأصلة فينا ..

وأخيرا لسنا أقل قدرة على استعمال وتشغيل أحدث الأسلحة وأعقدها ..



الصورة الجديدة للجندى المصري

ومن هذا كله تبرز حقيقة القوة العسكرية العربية كحقيقة واقعة وعنصر مؤثر فى خط الصراع كله ..

— ولا شك أن القوة العسكرية العربية التى ظهرت فى حرب أكتوبر كانت هى البداية .. وأن هذه القوة سوف تستمر فى النمو والتزايد بمعدل لا تقدر إسرائيل على مواجهته مهما فعلت لعجزها البشرى قبل أى شىء آخر عن مواجهة محيط عربى من البشر لا ينفد ولا ينضب أبدا ..

— هذه الحقيقة التى ظهرت على أرض المعركة فى أكتوبر ما يهمنى منها هنا هو تأثيرها على نفسية الإنسان العربى وجبهته الداخلية .. ولست فى حاجة إلى أن أطيل الكلام فى أن ما حدث قد رد الاعتبار إلينا جميعا وخلصنا من عقدة الخوف والتردد والتمزق .. ومحا عنا عار الهزيمة .. وأعاد إلينا الثقة فى النفس والاطمئنان إلى المستقبل .. وهذه هى كلها أهم العناصر الضرورية لتغيير الواقع .. فالواقع كما قلت لا تغيره قوة السلاح وحدها ، ولكن تغيره قوة الإنسان الذى يحمل السلاح .. والأرض الضائعة لا تعود أيضا بالسلاح وحده ولكن بقيمة وأصالة أصحابها واستعدادهم للتضحية من أجلها ، وبمدى احترام العالم وتقديره لهم .. وقد كان الرئيس السادات على حق حين قال : « إننى أفضل احترام العالم بغير عطف على عطف العالم بغير احترام .. » .

***

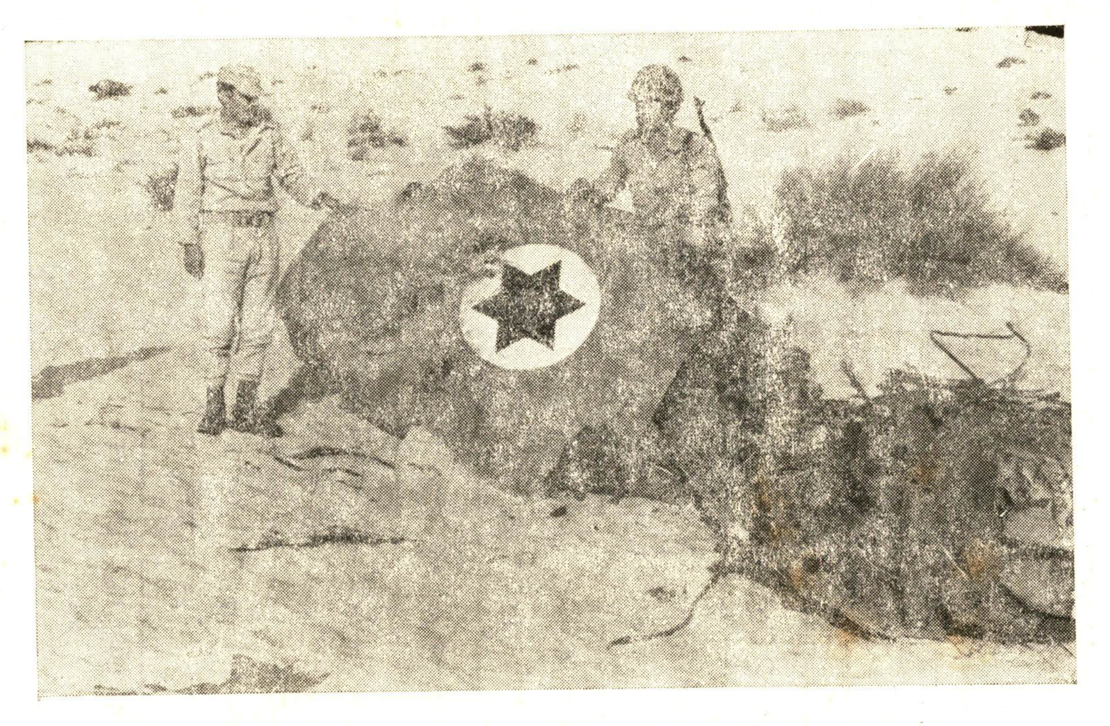
ثانيا : أثر الحرب على إسرائيل

وجهت حرب أكتوبر لإسرائيل أكبر ضربة عسكرية ونفسية نزلت بها منذ نشأتها فى عام ١٩٤٨ .. ولولا التدخل الأمريكى لكانت إسرائيل الآن شيئا آخر تماما عما كانت عليه طوال حياتها القصيرة .. ولقد اعترف قادة إسرائيل أنفسهم بأن أمريكا هى التى أنقذت إسرائيل من الدمار ، وأن إسرائيل كانت قد فقدت كل سلاحها وكل ما كان لديها من ذخيرة خلال الأسبوعين الأولين ، وأنها لم تكن تملك ما تحارب به فى الأسبوع الثالث الذى كان يمكن أن تسقط فيه سقوطا نهائيا لولا التدخل الأمريكى .. حدث ذلك رغم ان إسرائيل هذه ملأت الدنيا بالحديث عن قوتها التى لا تقهر ، وأنها تستطيع بقوتها الأسطورية هذه احتلال العالم العربى كله فى أسبوع واحد حتى صدقت نفسها وصدقها العالم أيضا ..

— وإذا كان التدخل الأمريكى قد غير النتيجة النهائية للحرب إلا انه لم يغير الحقيقة التى شهدها العالم كله على أرض المعركة .. وهى أن إسرائيل لم تكن قوة لا تقهر ، وأنها على العكس كانت عاجزة عن الدفاع عن نفسها وحدها دون التدخل لا أن تحتل العالم العربى كله فى أسبوع ..

سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية :

— ومن هنا سقطت نظرية الأمن الإسرائيلية القائمة على الردع والقوة .. ذلك أن إسرائيل أقامت حياتها وبنت مستقبلها فى المنطقة على أساس القوه .. بمعنى أنها قادرة بقوتها على مواجهة أى تحد عربى ضدها، وقادرة على الدفاع عن وجودها وتوسعها بقوة السلاح .. بل إنهـا قادرة بقوة هذا السلاح على التوسع المستمر وتحقيق حلم اليهود فى دولة تمتد من النيل إلى الفرات .. سقط كل هذا وأصبح الواضح الآن أن إسرائيل مهما حشدت من قوة فإن هـذا لن يغير من طبيعـة الأمور وحقـائق الوجود التى تقـول أن دولة صغيرة من مليـونين أو ثلاثة ملايين ليست قادرة على قهر دولة تبلغ أكثر من عشرة أضعافها وتتفوق عليهـا فى الإمكانيات والموارد وحضارة التاريخ وأصالة الإنسان الذى يعيش على أرضـها .. وذلك كله فضلا عن إمكانيات العالم العربى كله وما يساويه .. إن الضمان الوحيد لحياة اليهود فى هذه المنطقة هو تخليهم عن استراتيجية القوة والردع وقبولهم رد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى الذى اغتصبت أرضـه وسلبت حقوقه .. وذلك بإنشاء دولة جديدة فى فلسطين تتعايش فى ظلهـا كل الأديان والقوميات دون تفرقة بسبب العنصر أو الدين ..يعيش فيها الشعب الفلسطينى صاحب الأرض الأصلى مع الشعب اليهودى الوافد فى سـلام لا يستهدف سوى البناء والتعمير ورفع مستوى الدولة حتى تتسع لكل الذين يريدون الحياة على أرضها سواء أصحابها الأصليون أم أولئك المهـاجرون الوافدون إليها .. وبدون هذا لن يستطيع الشعب اليهودى أن يجد له مكانا للحياة على هذه الأرض .. خاصة بعد أن ثبت عدم جدوى نظرية القـوة والردع التى أقامت إسرائيل حياتها عليها .. وإذا كانت أمريكا قد سارعت بإنقاذ إسرائيل هذه المرة فمن يدرى ماذا يكون الموقف فى جولة خامسة أو سادسة .. خاصة وأن ارتباط أمريكا بإسـرائيل يقوم أساسا على نظرية الردع والقوة هذه .. فإذا سقطت هذه النظرية واكتشفت أمريكا أن وفاقها واتفاقها مع العـالم العربى أبقى لها وأنفع فإنهـا لاشك سوف تتخلى عن إسرائيل ، ولايبقى لها بعد ذلك من سند تعتمد عليه إلا قوتها الذاتية وهى قوة



علم اسرائيل .. حطام على أرض سيناء ..

محكوم عليها ومحدودة بحدود إمكانيات المكان والطبيعة والبشر ، وهذه كلها لا تساوى شيئا أمام التدفق اللامحدود لإمكانيات العالم العربى ..

إنها البداية فقط :

— لكن هذا كله لن يظهر أثره الآن .. إن حرب أكتوبر لم تحدث فى إسرائيل كل هذا الأثر .. وإنما هى بداية فقط لما يمكن أن يكون عليه المستقبل .. هى مؤشر ونذير فقط يمكن أن يجعل الإسرائيليين يفيقون ويرون الحقيقة .. ويمكن على العكس أن يجعلهم أكثر عنادا فيسيروا فى اتجاه مضاد للتاريخ ويطالبوا بمزيد من القوة ومزيد من سياسة الردع ومزيد من العنف والعدوان ..

انقسام المجتمع الإسرائيلى على نفسه :

وهذا هو ما حدث فعلا .. فقد انقسم المجتمع الإسرائيلى بعد الحرب إلى فئتين : فئة ترى الحقيقة وتستشعر خطورة الاستمرار فى سياسة القوة ، وفئة ترى الوضع الظاهر فقط وتغالط نفسها قائلة إن العرب لميهزمونا لأننا صمدنا أمام هجومهم واستطعنا أن نضم أرضا جديدة ، وإذا كانت الحرب قد كلفتنا الكثير وأصابتنا بخسائر ضخمة فإن ذلك كان راجعا إلى إهمال القيادة.. وعلينا أن نكون أكثر حذرا فىالمستقبل ، وأن نزيد قوتنا ، وأن نعمل على أن ننزل بالعرب ضربة قاصمة لا تقوم لهم قائمة بعدها ..

تعليق الجنرال بوفر :

— وهذا ماجعل الجنرال بوفر ، وهو واحد من أكبر القواد العسكريين فى العالم والرئيس السابق لمعهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسى يقول : « إن الانتخابات الإسرائيلية أثبتت أن الحمائم لم يفوزوا بالفعل ، وأن عملية شارون غرب القناة حجبت الحقيقة العسكرية عن الرأى العام الإسرائيلى ، فالإسرائيليون العسكريون ما زالوا يعتقدون بأن بقاء إسرائيل يعتمد على قوة جيشها ، وأن هذه القوة ما زالت كبيرة ، غير أن تطور العالم العربى من شأنه أن يخلق لإسرائيل موقفا متزايد الاضطراب .. ذلك أن العرب ماضون فى طريق تفوق غير منازع فيه ، وهو أمر يعتبر ولا شك احتمالا سيئا جدا بالنسبة لإسرائيل » ..

— لكن هناك قطاعا كبيرا من الرأى العام الإسرائيلى يرى الصورة الحقيقية على غير ما يراها هؤلاء العسكريون والمغامرون ومن يشايعونهم ويندفعون وراءهم فى « ماسادا » أخرى ..

ماذا يقول الإسرائيليون أنفسهم ؟ :

ـ فهذا هو وزير خارجيتهم أبا إيبان يصرح يوم ١٩٧٣/١٢/٢٣ فى حديث نشرته له مجلة « لوبوان » الفرنسية بقوله : « إن كل شىء قد تغير بالنسبة لإسرائيل بعد حرب أكتوبر .. فقد تمكن العرب من أن يقنعوا العالم كله بقدرتهم على حمل السلاح وتمكنوا من استعادة كرامتهم » .. ثم قال : « إن نتائج حرب يونيو ٦٧ كانت قد خلقت اقتناعا فكريا خطيرا بأن إسرائيل لاتقهر، ولقد جعلنا ذلك مغالين أكثر من اللازم، كما أننا أدلينا فى أحيان كثيرة بخطب رنانة تفتقر إلى التروى .. » .

منهكو الحرب فى إسرائيل :

— ويقول المعلق الإسرائيلى ا. ب. يهو شواع فى جريدة هاآرتس الإسرائيلية يوم ١٩٧٣/١١/٢ : « لقد أوجدت حرب يوم الغفران مفهوما جديدا يبدو أننا لم نعرفه من قبل .. منهكو حرب .. أعنى أولئك الجنود الذين عانوا من الصدمة النفسية .. والمنتشرون الآن فى المستشفيات ودور النقاهة يعالجون من أجل تخليصهم من الآثار التى خلقتها صدمة الحرب الضارية .. لقد عرف الجنود الإسرائيليون فى حرب أكتوبر ولأول مرة فى حياتهم .. تجربة العزلة أثناء القتال، وأهوال الحصار وعار الأسر والخوف من نفاد الذخيرة » .

إلى متى يتمكن الإسرائيليون من الصمود ؟ :

— أما مناحم فهو مقاتل من أولئك المنهكين الذين تحدث عنهم يهو شواع فيقول : « إننا نجد شعورا قويا وغريبا لدى الكثيرين ممن خاضوا حروبا عديدة خلال فترة قصيرة من حياتهم، فإلى متى ينبغى على الشعب الإسرائيلى أن يقاتل دوما ؟! إننى شخصيا قد خضت غمار حروب أربع .. بل إننى لا أكاد أذهب من حرب إلا إلى حرب أخرى .. فهل سيتمكن هذا الشعب من الصمود على هذا الوضع .. وإلى متى .. ماذا يمكن إذن أن ننتظر من المستقبل ؟! » .

حرب أكتوبر حطمت الطمأنينة :

— ويقول الكاتب الإسرائيلى « موشيه دور » فى مقال نشرته صحيفة معاريف الإسرائيلية : « لقد حطمت حرب أكتوبر — مثل قبضة جبار — الطمأنينة التى كانت لدينا حتى صعقنا البرق .. ترى .. هل ستعود حياتنا



ضباط وجنود الجيش الذى لا يقهر .. أسرى بين أيدى قواتنا

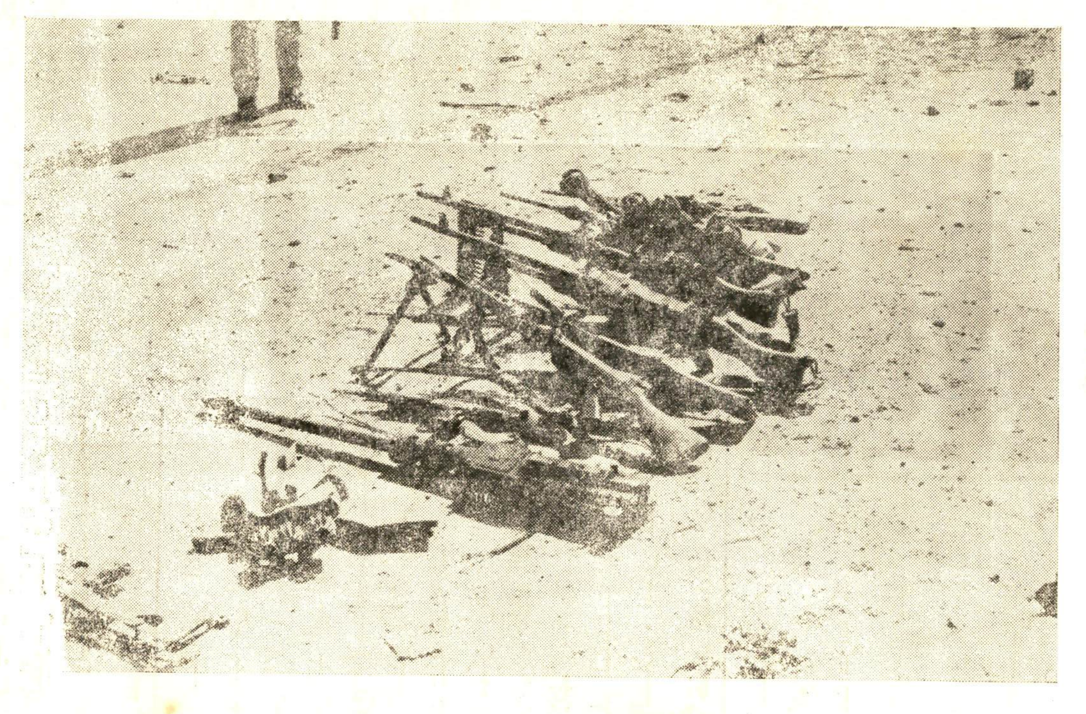
حقا إلى ما كانت عليه قبيل الحرب ..؟ هل نستطيع أن ننسى ..؟ لقد أفلس بناؤنا السياسى والعسكرى والقيادى .. والحل المطلوب لوضعنا الحالى هو ضرورة إقامة حكومة من المفكرين — لا المغامرين — تتسلم إدارة الدولة حتى يحين الفرج » .

الأوهام التى بددتها حرب أكتوبر :

أما «عبتورا متور» فيكتب فى صحيفة «عال همشمار» فى ١٩٧٣/١١/٢ عما أطلق عليه (مجموعة الأوهام التى بددتها حرب أكتوبر) يقول: «لقد اتضح ان العرب قادرون على استيعاب الأساليب التكنيكية الحديثة .. والأهم من هذا كله .. لقد تبددت أسطورة إسرائيل صانعة المعجزات والقادرة على هزيمة الأعداء بنزهة مبهجة إلى القاهرة » . ويقول كاتب آخر فى صحيفة « هاآرتس » يوم ١٩٧٣/١١/٨ : « هل حققت إسرائيل فعلا فى أى يوم قدرة ردع حقيقية للمصريين ؟.. لقد كانت قيادتنا تسعى دائما إلى تلقين الخصم درسا لا ينساه .. وأطلقت على ذلك اسم « سياسة الردع » .. إن جيش إسرائيل لم يحقق أبدا أية قوة ردع بالنسبة للعرب وللمصريين بصفة خاصة ، وإنما على العكس .. كلما كانت ضرباتنا قوية ، قويت الرغبة فى أفئدة العرب لتنمية قواتهم ومنازلتنا من جديد .. وإنه من الأفضل للجيش الإسرائيلى ترك سياسة الردع عديمة القيمة هذه والبحث عن سياسة أخرى » .

هذه الحرب ليست الأخيرة :

— الكاتبة الإسرائيلية « زيفا يريف » كتبت فى صحيفة بديعوت أحرونوت تقول فى رسالة موجهة من زوجة إلى زوجها فى الجبهة : «أستحلفك بحياتك أن تروى لى القليل عما يجرى فى الجبهات .. نورنى بشكل خاص بما يتصل بجبهتك ، لأننى قطعت العلاقات مع الصحف .. إن الجميع هنا يستخلصون دروسا من الحرب ، وأنا استخلصت درسا بأنه ينبغى الكف عن قراءة الصحف .. لقد باعنى كل هؤلاء المراسلين بشئون العسكرية وكل هؤلاء المعلقين والخبراء والقادة والجنرالات الاحتياط خلال ست سنوات — تقديرات تقول : بأنه لن تنشب حرب بعد الآن ، وبأنه لدينا عمق استراتيجى وتفوق عسكرى . لقد كتبوا لى طوال ست سنوات بأن المصريين لن يجرءوا على عبور القناة لأنها حاجز طبيعى ، وبأن الجندى العربى لا قيمة له ، وبأن الوقت يعمل لصالحنا ، وبأن كافة صواريخ العدو قد علاها الصدأ ، وبأنه إذا نشبت حرب فستكون حربا خاطفة لا تستغرق أكثر من ساعة ونصف ، وعندها سيخضع العرب تماما ، وسيوافقون على إجراء الصلح معنا ..



تركوا أسلحتهم وهربوا ..

وفجأة الآن ، الخبراء أنفسهم ، والمعلقون ، والمراسلون الذين كنت أصدق كل كلمة يتفوهون بها ، يقولون لى العكس تماما : بأن هذه الحرب ليست الأخيرة ، وبأن الحروب المقبلة ستكون طويلة وأشد قسوة ، وبأن الجندى العربى يقاتل جيدا وبأن صواريخه تنطلق جيدا ، وبأن العرب لن يكون بودهم أبدا الجلوس معنا فى مفاوضات للسلام إلى أن يقضوا علينا ، وبأن وضعنا مرعب وليست هناك إمكانية وأمل بشىء .. » .

نحن نفضل السلام على ديان :

— أخيرا أنقل هنا ما كتبته مجلة « لانوفيل أوبزرفاتير » الفرنسية فى تحقيق لها عن آثار حرب أكتوبر على إسرائيل فتقول : « إن الإسرائيلين بعد أكتوبر ١٩٧٣ لم يعودوا يثقون فى حلفائهم ولا فى قادتهم ، ويبدو أن أبطال الأمس قد أصابهم الإعياء اليوم ، فلم يحدث فى تاريخ إسرائيل قط أن شعر الجميع بالإحباط مثلما يشعرون فى أعقاب حرب يوم الغفران .. حيث يردد رجل الشارع الإسرائيلى اليوم كل هذا حدث لماذا ؟ .. من ربح ومن خسر ؟ لم يعد ذلك يهمه .. إن المهم بالنسبة إليه هو الانتهاء من هذا الوضع بأسرع وقت ممكن وعودة الجنود من الجبهة وإقفال كشوفات القتلى والمفقودين والجرحى ، تلك الكشوفات التى لا تنتهى .. فالإسرائيليون فقدوا الثقة فى جنرالاتهم .. وقد تجلى ذلك واضحا عندما حمل المتظاهرون لافتات وقفوا بها أمام الكنيست الإسرائيلى كتبوا عليها : « إذا كان ديان يفضل شرم الشيخ على السلام ، فنحن نفضل السلام على ديان » ..

باسم جنود الدبابات الذين احترقوا :

— تلكَ هى مرآة الرأى العام الإسرائيلى اليوم .. تلخصها وتعبر عنها أقوى تعبير تلك الأغنية الحزينة التى ترددها الإذاعة الإسرائيلية ليل نهار بعد حرب أكتوبر والتى تقول كلماتها :

« باسم جنود الدبابات الذين احترقوا ..

باسم الطيارين فى الجو والنار تلتهم أجسادهم ..

أعدك يا ابنتى بأن هذه الحرب ستكون الأخيرة .. الأخيرة .. »

***

ثالثا : العالم العربى قوة واحدة

إن أهم نتائج حرب أكتوبر هو بروز دور العالم العربى كقوة واحدة فى ميدان الصراع وإمكانية استعمال كل الأسلحة الاقتصادية العربية كأسلحة أخرى فى المعركة بجانب السلاح العسكرى ..

— والواقع أن هذا التطور الجديد الذى يدخل ميدان الصراع يعتبر نقطة تحول هامة وخطيرة جدا لأن الصراع كله فى حقيقته صراع اقتصادى .. صراع أطماع ومصالح كما بينا .. فإذا جاء اليوم الذى تتحول فيه موازين الصراع لتصبح ثروات العرب سلاحا لهم يوجه ضد أعدائهم بعد أن كانت **هدفا ومطمعا لهؤلاء الأعداء ، فإن الأمور كلها لابد أن تتغير والحسابات لابد أن تراجع ، والمواقف لابد أن تتعدل ويعاد تقديرها من جديد ..**

— وحكاية الثروات العربية والأسلحة الاقتصادية العربية هذه تحتاج إلى شرح وإيضاح حتى تتضح أبعادها وقيمة دورها المؤثر فى الصراع ..

أولا : سلاح البترول :

يعتبر البترول بالنسبة للعالم عصب الحياة والصناعة .. فلا يوجد إنسان فى الدنيا لا يستعمل البترول فى حياته اليومية .. فالبترول يدخل فى حياة الإنسان من لحظة دخوله الحمام فى الصباح وإشعاله السخان حتى لحظة عودته إلى البيت راكبا سيارته أو أية مواصلة عامة .. البترول لازم لحياة **الإنسان لزوم الماء والهواء ، وبدونه تتوقف الحياة وتعود إلى صورتها البدائية** حين كان الإنسان يعتمد على جذوع الأشجار للحصول على الوقود اللازم لطهو الطعام والتدفئة .. البترول اليوم يدخل أيضا حياة الإنسان فى صورة صناعات لا حصر لها .. ملابس وأدوات ومأكولات وأدوية وروائح وآلات .. أشياء لا حصر لها تصنع من مشتقات البترول .. وفضلا عن ذلك كله فإن البترول هو الطاقة المحركة للمصانع والآلات ، وبدونه تتوقف المصانع ويتوقف الإنتاج ، والأخطر من ذلك يتعطل العمال وتصاب حياة المجتمعات بالشلل والانهيار التام ..

إن النتائج التى يمكن أن تترتب على حرمان العالم من البترول لا حصر لها .. وهى فى كلمة واحدة تعنى توقف الحياة ذاتها وإصابتها بالشلل التام والموات ..

— إذا علمنا هذا .. وإذا علمنا أن العالم العربى يمد العالم بـ ٣٦٪

من حاجته إلى البترول ، وأن المخزون من البترول العربى يمثل ٨٠٪ من احتياطى المخزون فى العالم كله ..

وإذا علمنا أن أوربا الغربية تستورد من العالم العربى وحده ٨٠ ٪ من احتياجاتها ، وأن اليابان تستورد ٩٥٪ من بترولها من العالم العربى .

— وإذا علمنا أن أمريكا تستخدم ٦ ٪ من احتياجاتها الداخلية من البترول العربى وأكثر من ١٤ ٪ من احتياجاتها الخارجية بما يرفع نسبة اعتماد أمريكا على البترول العربى إلى ٢٠ ٪ ..

— إذا علمنا هذا كله أمكننا أن ندرك إلى اى مدى يعتبر سلاح البترول العربى خطيرا ومؤثرا بالنسبة للعالم وخاصة دول أوربا الغربية واليابان ..

***

— على أن أهمية سلاح البترول لا تقف عند حد ضرورته .. بل هناك أهمية أخرى تأتى فى المرتبة الثانية .. وهى أهميته كعنصر استغلال ومصدر أرباح خيالية تحققها الشركات الأجنبية العاملة فى ميدان البترول العربى والتى تملك معظم حقول واستثمارات هذا البترول .. وخاصة الشركات الأمريكية التى تستثمر فى قطاع البترول العربى وحده سبعة آلاف مليون دولار تحقق منها ربحا قدره ألفا مليون دولار سنويا .. وهذه الأرباح ستزيد إلى الضعف بعد رفع أسعار البترول الخام .. بل إن النسبة التى رفعت بها هذه الشركات أسعار البترول المكرر ستضاعف سعره إلى خمسة أمثال ما كان عليه قبل حرب أكتوبر مما سيحقق لها أرباحا خيالية تصل إلى عشرات المليارات من الدولارات ..

***

فالبترول العربى بالنسبة لأمريكا وأوربا يعتبر أحد مصادرها الرئيسية للطاقة .. وأهم مراكز استغلالها ومصادر ربحها فى العالم كله على الإطلاق .

أمريكا تحارب العرب بأموالهم :

— ورغم أن مصالح الدول الاستعمارية كلها موجودة فى الأرض العربية وبين أيدى العرب كما رأينا .. إلا أن هذه الدول الاستعمارية كانت تعادى العرب وتتحالف مع إسرائيل وتمدها بالمال والسلاح الذى تضرب به العرب .. والغريب أن الأموال التى تدفعها أمريكا لإسرائيل هى من ناتج

استغلالها لثروات العرب .. فكأنها تعطى لإسرائيل من مال العرب ما يمكنها من قتل العرب وتهديدهم وتدميرهم ..

وهذا التناقض الصارخ جعل رئيس شركة أرامكو مثلا يتساءل قائلا : « إن أرامكو وهى شركة أمريكية تملك بفضل امتياز حصلت عليه من السعودية ، من الاحتياطى البترولى المحتمل أكثر مما تملك الولايات المتحدة وروسيا والصين مجتمعين .. ولذا فإن على المرء فى وقت كهذا الوقت أن يتساءل أين تكمن المصالح الأمريكية الحقيقية ؟ » .

سياسة الردع الأمريكية :

— والإجابة عن سؤال رئيس أرامكو ليست صعبة .. فالمصالح الأمريكية الحقيقية تكمن فى العالم العربى .. ولكن أمريكا تقيم سياستها لا على الوفاق والتعاون والصداقة مع العرب حيث تكمن مصالحها .. ولكن على الردع والتخويف والاستنزاف بواسطة إسرائيل حتى تضمن استمرار الاستغلال والسيطرة لأن استغلالها لثروات العرب لا يقوم على أساس عادل وبشروط معقولة .. ولكنه يقوم على أساس النهب والسلب والحصول على معظم الربح وترك الفتات لأصحاب الأرض الأصليين .. وهذا ما جعل أمريكا تخشى أن يفيق العرب يوما ويتنبهوا لهذه الحقيقة ويطالبوا بتصحيح الوضع .. ومن هنا فلابد من إقامة قاعدة عسكرية فى قلبهم لردعهم وتخويفهم وتحطيم مقاومتهم عند اللزوم .. وكان ذلك يحدث وفى نفس الوقت تتظاهر أمريكا بأنها صديقة للعرب .. وأنها محايدة ..

— وكان العرب متنبهين لهذه الحقيقة المريرة .. ولكنهم كانوا ينتظرون أن يأتى اليوم الذى يستطيعون فيه كسر حاجز الخوف والتغلب على سلاح الردع هذا المتمثل فى إسرائيل ..

— حتى كانت حرب أكتوبر ..

الدول العربية لم تفاجأ :

— والواقع أن الدول العربية المنتجة للبترول لم تفاجأ بالحرب وتتصرف كرد فعل للحرب فقط .. بل كانت تعلم مسبقا .. وكان الرئيس السادات قد قام بزيارات واتصالات متعددة مع جميع الملوك والرؤساء العرب ، واستطاع أن يقنعهم بالوقوف جبهة واحدة فى ميدان المعركة التى ستخوضها مصر وسوريا بدماء أبنائهما .. وتخوضها الدول العربية الأخرى بجزء من أموالها وباستعمال أسلحتها الاقتصادية وأهمها سلاح البترول ..

سلاح البترول دخل المعركة بعد الانتصارات العسكرية :

— ورغم أن الاتفاق والتنسيق كانا تامين من قبل .. إلا أن سلاح البترول لم يدخل المعركة فعلا إلا بعد اليوم الحادى عشر للحرب .. وبعد أن حطم الجيشان المصرى والسورى أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر وأنزلا به هزائم وضربات قاصمة جعلت إسرائيل كلها تتعرض للدمار .. وجعلت العالم كله يفيق .. فإذا إسرائيل التى أقامها الاستعمار سلاحا لردع العرب .. إذا بها تهوى تحت ضربات العرب وتكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة .. فى هذا الوقت تأكد للعرب أن حاجز المستحيل قد تحطم .. وأن سلاح الردع قد تكسر .. وأن هذه هى فرصتهم لكى يجعلوا من ثرواتهم عنصرا للضغط على أعدائهم بعد أن كانت سببا وباعثا لضغط أعدائهم عليهم . ومن هنا كانت قرارات المؤتمر الأول لوزراء البترول العرب المنعقد فى الكويت يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ الذى قرروا فيه بدء دخول البترول ميدان المعركة ..

سلاح البترول عامل للضغط فقط :

وقد راعت الدول العربية بقراراتها تلك أن تجعل من سلاح البترول عاملا للضغط فقط لا للقتل .. فهم لم يقرروا مثلا قطع البترول كلية كما فعلوا فى عام ١٩٦٧ حيث قطعوا البترول فورا .. ثم أعادوه بعد ذلك فورا أيضا بعد انتهاء المعركة .. فقطع البترول كلية يترتب عليه وضع لا يمكن احتماله دوليا ويؤدى إلى ردود فعل لا يحتملها العالم ولا يقدر العرب على مواجهة نتائجها ، فضلا عن أنه ليس من مصلحة العرب أن يجعلوا من البترول سلاحا يقتل .. فالمطلوب هو سلاح للضغط فقط .. سلاح للتنبيه والإنذار فقط .. يقول للعالم الذى تجاهل العرب طويلا وتجاهل حقوقهم وراح يؤيد ويساند إسرائيل بلا حدود رغم عدوانها وإجرامها المتكرر على العرب .. يقول للعالم نحن أيضا لنا وجود .. والشرق الأوسط ليس هو إسرائيل .. ومصلحتك الحقيقية أيها العالم ليست فى إسرائيل .. بل عندنا نحن .. فتنبه .. ونحن لا نطلب أكثر من العدل والحق .. لا نطلب أكثر من نظرة عادلة إلى حقوقنا وموقف موضوعى من قضيتنا ..

— اكتفى وزراء البترول العرب خلال اجتماعاتهم المتلاحقة بتخفيض إنتاج البترول بنسب تزايدت حتى وصلت إلى ٢٥ ٪ خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣

مع قطع إمدادات البترول العربى نهائيا عن كل من أمريكا وهولندا والبرتغال وجنوب إفريقيا .. ثم تناقصت هذه النسبة إلى ١٥ ٪ فى شهر يناير بعد أن بدأت الدول الأوربية واليابان تغير موقفها فعلا من القضية .. مع استمرار قطع البترول العربى كلية عن الدول المعادية التى لم يتغير موقفها وهى أمريكا وهولندا والبرتغال وجنوب إفريقيا ..

أثر استعمال سلاح البترول :

— ولقد أحدث استعمال سلاح البترول بهذا الشكل المرن المتغير مع مواقف الدول من القضية تأثيره الحاسم فى الموقف العالمى كله .. وسوف نرى فيما بعد كيف أن دول السوق الأوربية المشتركة واليابان قد غيرت موقفها فعلا .. بل إن أمريكا ذاتها — رغم أنها ما تزال على تأييدها المطلق لإسرائيل وإمدادها لها بشحنات خيالية رهيبة من السلاح — إلا أن رد الفعل قد بدأ يظهر داخلها ، وبدأ رجل الشارع الأمريكى يتساءل : أين مصلحته ؟. وما هو جدوى الاعتماد على إسرائيل بعد أن تحول الأمر فأصبحت تشكل عامل هدم للمصالح الأمريكية فى المنطقة بعد أن كان الأمل أن تكون عامل حماية وردع ؟. ولا شك أنه إذا استطاع العرب أن يستمروا فى ضرب المصالح الأمريكية والضغط على أمريكا من خلال استثماراتها وأرصدتهم فيها .. فإنها ولا شك سترضخ فى النهاية وتغير استراتيجيتها وتصبح إسرائيل بالنسبة لها مجرد ذكرى لكابوس قديم كان سيؤدى إلى تحطيم كل مصالحها بدل حمايتها .. الصراع ما زال مستمرا .. والسلاح ما زال مشهرا .. وكل المواقف ما زالت ساخنة وقابلة للتغير ..

حرب اكتوبر ابرزت العرب كقوة واحدة حقيقية :

— المهم هنا أن نقول إن حرب اكتوبر قد أخرجت العرب من إسار الوهم والخوف ووضعتهم على أول الطريق الصحيح نحو مستقبلهم القوى الموحد كمجموعة لها إرادة .. لها قضية .. لها حقوق .. وفى يدها إمكانيات قادرة على التأثير على العالم .. قادرة على تدميره إذا شاءوا .. حرب اكتوبر قد أبرزت العالم العربى لأول مرة فى التاريخ الحديث كقوة واحدة مؤثرة قادرة على فرض إرادتها على العالم .. وذلك هو أخطر نتائج الحرب لأن العالم إبتداء من اليوم لن يتعامل مع العرب على أنهم مجموعة متخلفة تملك ثروات طائلة يسهل نهبها بالردع والتخويف .. بل سوف يتعامل معهم على أنهم قوة قادرة على أن تمنح وأن تمنع كما قال الرئيس السادات ..

قوة حقيقية لديها من الإمكانيات والطاقات ما تستطيع به أن يكون لها مكان فى عالم اليوم .. ذلك العالم الذى احتكرت السيطرة فيه طويلا طويلا دول معينة .. بينما بقيت فيه باقى الدول متخلفة ضائعة رغم أنها كانت هى ذاتها تملك مصدر القوة الحقيقية لتلك الدول المسيطرة ..

— وهذه بلا شك نقطة تحول خطيرة فى ميزان القوى العالمى .. لن يقتصر أثرها على العالم العربى وحده .. بل إن باقى الدول المصدرة للمواد الخام كالدول الإفريقية سوف تفيق هى الأخرى وتفرض إرادتها وتستعمل سلاح ثروتها ليصبح العالم ملكا لأصحابه الحقيقيين لا ملـكا لمجموعة من الاحتكاريين التقليديين الذين اعتمدوا فى السيطرة عليه على سلاح القوة والقهر ..

***

أسلحة اقتصادية أخرى للعرب :

— الأرصدة العربية :

إن العرب حتى الآن لم يستعملوا سوى سـلاح واحد من أسلحتهم الاقتصادية الخطيرة .. ولم يستعملوه بالحدة التى يمكن أن تهدم اقتصاديات العالم .. بل اكتفوا بأن يكون مجرد عامل ضغط .. ونذير .. ولكن فى اللحظة الحاسمة فإنهم قادرون على الوصول به إلى الدرجة التى تجعله سـلاحا مدمرا .. وعلىّ وعلى أعدائى يارب .. وذلك لن يحدث بالطبع إلا إذا حدث تدخل عسكرى ضدهم من دولة كبرى كأمريكا مثلا .. أو حدث أن فشـلت الجهود الدولية المبذولة حاليا لإرغام إسرائيل على الانسحاب ورد الحقوق العربية المغتصبة .. وقتها يكون حق العرب فى الدفاع الشرعى عن أنفسهم وحقوقهم غير متنازع فيه .. وعلى العالم الذى تفزعه الأخطار التى ستتعرض لها مصالحه أن يقدر أيضا أن الأخطار التى يتعرض لها العرب ليست مصالحهم فحسب ، بل مصائرهم أيضا ..

— وليس سلاح البترول وحده ..

— هناك الأموال العربية المودعة فى بنوك أمريـكا وإنجلترا وباقى الدول الأجنبية ..

— فى بنوك أمريكا توجد للعرب أكثر من عشرة مليارات دولار تملكها الحكومات العربية .. وعشرة مليارات أخرى يملكها أثرياء العرب ..

— وفى بنوك إنجلترا توجد للعرب أكثر من سبعة مليارات جنيه استرلينى ..

— وهذه الأموال الضخمة تستغلها هذه الدول فى حياتها الاقتصادية وتستفيد من تشغيلها فى كل مرافق حياتها واستثماراتها .. والغريب أن الدول العربية لا تحصل على فوائد لهذه الأموال الطائلة .. بل إنها تدفع مقابلا لإيداعها .. بل وتتعرض لخسائر ضخمة تقدر بملايين الملايين من جراء تقلب أسعار العملة وتخفيض قيمة الدولار والجنيه الاسترلينى ..

حاجة المنطقة العربية لأموال العرب :

— هذا يحدث فى الوقت الذى تحتاج فيه المنطقة العربية إلى كل جنيه ودولار من هذه الأموال الطائلة لإعادة بناء العالم العربى وتعميره وتنميته وتصنيعه ونشر الرخاء والحياة الكريمة فوق ربوعه .. فكأن أموالنا حرام علينا .. حلال على غيرنا .. نودعها لديهم لكى يستفيدوا منها ويستثمروها ويحصلوا من ورائها على أرباح طائلة .. فى الوقت الذى تحتاج بلادنا إلى كل جنيه منها .. وحتى لا يقال عنا إننا دول متخلفة .. إن هذه الثروات وحدها كافية لتغيير وجه الحياة فى المنطقة العربية ، ونقل العالم العربى من عصر التخلف إلى عصر القوة والتقدم .. فلماذا لا نبدأ ..؟

إنها ضرورة حياة :

— ذلك هو السؤال الذى طرحته حرب أكتوبر ..

— والمسألة هنا ليست مجرد سلاح للضغط أو التخويف .. بل إنها ضرورة حياة .. فقد آن الأوان لأن يسترد العالم العربى حقوقه كلها .. وأن يرد للإنسان الذى يعيش على أرضه حقه فى الحياة والرخاء .. بعض الرخاء والرفاهية التى يتمتع بها الإنسان الأوربى الذى أزعجه كثيرا أن يحرم من قيادة سيارته أيام الآحاد بينما يوجد مليون عربى هنا يعيشون لاجئين فى الخيام وتأبى عليهم إسرائيل العودة لأرضهم وبيوتهم لأنها اغتصبتها وشردتهم ..

سلاح التاميم :

— ثم حكاية الشركات الأجنبية التى تستغل بترول العرب وتتاجر فيه وتجنى من ورائه ملايين الملايين من الأرباح .. وهذه الشركات ٩٠ ٪ منها أمريكية ..

لقد آن الأوان أيضا أن ينتهى هذا العصر .. عصر استغلال وسيطرة الشركات الأجنبية ولابد لباقى الدول العربية أن تحذو حذو ليبيا والعراق فى البدء بتأميم هذه الشركات بنسبة تبدأ من ٥١ ٪ لتصل على المدى القريب إلى مائة فى المائة .. لأن العالم اليوم لم يعد يعرف هذا النوع من الاستغلال الشاذ الذى تقوم فيه الشركات باستنزاف خيرات الدول وتحقيق أرباح خيالية على حسابها بينما يتضاءل نصيب الدول من هذه الأرباح إلى أقل القليل .. ثم إن سيطرة البلاد العربية على هذه الشركات سوف تخلص العالم إلى النهاية من جشع هذه الشركات واستغلالها فى رفع الأسعار بنسب خيالية لتحقيق أرباح لا حدود لها على حساب المستهلكين محدودى الدخل .

— وحق الدول فى تأميم مصادر ثرواتها هو حق مشروع زاولته كل دول العالم .. ولم يعد هناك ما يخيف الدول العربية من مزاولة هذا الحق وفرض سيطرتها الكاملة على المصدر الرئيسى لثروتها ..

التأميم هو الطريق الوحيد للمستقبل :

— إن سيطرة الدول العربية على بترولها سيطرة تامة وإنهاء عهد استغلال الشركات الأمريكية سوف يترتب عليه أن تصبح الدول العربية قادرة على التعامل مع العالم ومع أمريكا بالذات على أساس من تبادل المصالح الحقيقية لا على أساس من التابع والمتبوع .. علاقة جديدة ينبغى أن تنشأ أساسها التبادل الحر القائم على المساواة وقانون العرض والطلب .. لا على القهر والغصب وقانون الغاب ..

— وأعتقد أن حرب أكتوبر قد فتحت الطريق لإمكانية استرداد العرب لحقوقهم الاقتصادية المبعثرة الضائعة هذه .. المتمثلة فى أرصدة طائلة فى البنوك الأجنبية تساهم فى رفاهية الإنسان الأمريكى والأوربى بينما يحرم منها الإنسان العربى .. ومصادر ثروة قائمة على الأرض العربية تستغلها شركات أجنبية معظمها أمريكية بالذات ، تحقق من أرضنا العربية أكبر نسبة أرباح فى العالم ثم تحولها إلى الخارج وتمد منها إسرائيل بعناصر الحياة والقوة والسلاح الذى يقتلنا ويدمر الحياة على أرضنا ..

التأميم مقابل الأرصدة :

— ونحن نعتقد أن هذا كله ممكن ..

— فالأرصدة العربية فى الخارج تقابلها استثمارات أجنبية طائلة فى الداخل .. والمعادلة قائمة وممكنة .. لو رفضت الدول الأجنبية السماح

للدول العربية بسحب أرصدتها ولجأت إلى أسلوب التجميد والمصادرة .. فإن الدول العربيــة تستطيع على الفور أن تلجأ لتعويض خســارتها من الاستثمارات الأجنبية الموجودة على أرضها ، وذلك ابتداء من تأميم هــذه الاستثمارات ثم الحصول من التعويض القانونى المستحق لها على كل ماكانت تستحقه فى بنوك الدول الأجنبية .. وبذلك لا نخسر شيئا .. وبعملية مقاصة واحدة نسترد حقوقنا فى الخارج والداخل فى وقت واحد ..

***

مؤتمر القمة العربى فى الجزائر :

فى نهاية هذا العرض للموقف العربى بعد حرب أكتوبر يهمنا أن نشير إلى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الجزائر فى الفترة ما بين الســادس والعشرين والثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ ، وقد كان هذا المؤتمر أحد المعالم الرئيسية لحرب أكتوبر ونتائجها .. فقد وجد العرب بعــد انتهاء الحرب أن اجتماعهم أصبح ضروريا وحتميا لكى يرسموا خطتهم واستراتيجيتهم لمرحلة ما بعد الحرب .. خاصة وأن المعارك العسكرية لم تحسم كل شىء ، وأصبح من الضرورى استمرار المعركة على ميادين أخرى أخطر وأهم حتى تتحقق الأهداف القريبة والبعيدة التى قامت من أجلها الحرب ..

— ونود هنا أن نشير إلى أنه وإن كانت العراق وليبيا لم تحضــرا المؤتمر إلا أن ذلك لا يرجع لكونهما رافضين للعمل المشترك فى الصف العربى الواحد ، بل يرجع لكونهما رافضين لمدى التحرك العربى فى المرحلة الراهنة ويطالبان بمزيد من التشدد ومزيد من التحرك .. وهذا يعنى أنهما يتفقان بالطبع مع الحد الأدنى من المواقف التى أجمع عليها باقى رؤساء العرب .. خاصة تلك المواقف الإيجابية التى تتعلق باستمرار الحشد للمعركة .. ومن هنا فإن جميع القرارات التنفيذية تأخذ فى حسابها دور ليبيا والعراق وتحدد التزاماتهما فى هذا الحشد رغم غيابهما عن المؤتمر لأن موافقتهما على الحد الأدنى المتاح مفروغ منها ..

— وعلى هذا الأساس نقول إن قرارات مؤتمر القمة تعتبر قرارات إجماعية .. وتحدد الدور المطلوب من جميع الدول العربية بلا استثناء ..

البيان الختامى للمؤتمر :

— ولقد أكد البيان الختامى للمؤتمر على مجموعة من المبادىء تحدد استراتيجية العرب فى المرحلة القادمة .. هذه المبادىء هى :

- أن الملوك والرؤساء العرب يؤكدون استعدادهم للمساهمة فى تحقيق سلام عادل على أساس مبدأى الانسحاب الكامل من الأراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٦٧ وفى مقدمتها مدينة القـــدس .. واستعادة حقوق شعب فلسطين ..
- أن الدول العربية مضطرة — إذا لم يتحقق الســـلام العادل — إلى مواصلة معركة التحرير ، مهما طـــال أمدها بكل الوسائل وفى مختلف الميادين .
- أنه إذا كانت حرب أكتوبر قد أبرزت تصميم الأمة العربيـــة على تحرير أراضيها ، فإن وقف إطلاق النار لا يعنى إطلاقا أن الكفاح قد توقف ، أو أن البلاد العربية يمكن أن يفرض عليها حل لا يتفق مع أهدافها العادلة .
- أن وقف إطلاق النار الذى مضى عليه أكثر من شهر لا يزال يصطدم بمناورات وتخريب الطرف الإسرائيلى ، كما تؤكد مواقف إســـرائيل وتصرفاتها على الصعيد الدولى أن إســـرائيل لم تتخل عن سياستها القديمة ولم تتراجع عن مطامعها ..
- أن السلام لا يمكن تحقيقه إلا بالوضوح الكامل وتجنب المناورة والخداع ، ولذلك يعلن الملوك والرؤساء أن أية مشاورات جدية وبناءة يجب أن تجرى فى هذا النطاق .
- أن الأمة العربية مصممة على أداء واجبها ، ومستعدة للمزيد من النضال والتضحية والفداء ، وعلى العالم أن يتحمل مسئوليته بالتصدى للعدوان.

قرارات المؤتمر :

— كما اتخذ المؤتمر عدة قرارات سرية لم تعلن خاصة فى المجـــال العسكرى .. أما القرارات المعلنة فكانت :

أولا : الاستمرار فى استخدام البترول سلاحا فى المعركة ، على أن يكون واضحا أن هناك ارتباطا وثيقا بين رفع حظر تصـــدير البترول لأية دولة والتزامها بتأييد القضية العربية . وستواصل لجنة وزراء البترول متابعـــة تنفيذ هذا القرار .

ثانيا : اتخاذ خطوات فعـــالة للتعاون بين الدول العربيـــة والقارة الإفريقية ، تقديرا لموقف القارة المشرف من الأمة العربية .

وفى هذا الصدد قرر الرؤساء :

١ — دعم التعاون العربى الإفريقى وتعزيز التمثيل الدبلوماسى العربى فى إفريقيا .

٢ — قطع جميع العلاقات مع جنوب إفريقيا والبرتغال وروديسيا .

٣ — تطبيق حظر تصدير البترول إلى هذه البلاد .

٤ — اتخاذ إجراءات لمواصلة تمويل الدول الإفريقية بالبترول .

— كما اتخذ الرؤساء قرارا بإنشاء بنك عربى للتنمية الصناعية والزراعية فى إفريقيا ، وحددوا رأس مال البنك بمبلغ ٢٥ مليون دولار كمرحلة أولى ، وتم الاكتتاب فعلا فى رأس المال .

ثالثا : عقد اجتماعات دورية سنوية للملوك والرؤساء ، ويكون موعد الاجتماع فى كل عام هو شهر أبريل . وعلى ذلك فسوف يعقد اجتماع القمة العربى القادم فى أبريل ١٩٧٤

رابعا : تنظيم جولات لوزراء الخارجية العرب فى مختلف أنحاء العالم مع لقاءات لهم بمختلف المنظمات الدولية تستهدف شرح الموقف العربى .

الأمة العربية على أول الطريق :

إن الأمة العربية بذلك قد وقفت على أول طريق المستقبل العظيم لأمة عظيمة تستحق أن تأخذ مكانا عظيما لها فى عالم اليوم والغد ..

— ولقد كان مدخلها إلى هذا الطريق هو الدم الغالى الذى بذله أبناؤها العظام .. أعز أبنائها .. أولئك الذين سوف تبقى دماؤهم علامة على هذا الطريق الذى لن تتخلى عنه الأمة العربية أبدا حتى تصل إلى نهايته بتحقيق كل أهدافها .. وإذا كانت رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، فقد قطع العرب بحرب أكتوبر مليون خطوة لا خطوة واحدة .. وإنهم لواصلون حتما ..

***

رابعا : العالم يغير موقفه من إسرائيل :

فى هذا الصدد نتناول موقف الدول الإفريقية أولا .. ثم موقف دول أوربا الغربية واليابان .. والواقع ان الباعث على التغير فى الحالتين مختلف، كما أن مدى التغير مختلف .. لكن المهم فى الأمر ان تغير الموقف العالمى إزاء إسرائيل بعد حرب أكتوبر قد كان عميقا وواضحا لدرجة أن إسرائيل أصبحت معزولة تماما وتكاد تقف وحدها ولم يعد لها سوى أمريكا فقط .. وهذا

ما يعبر عنه الصحفى الإسرائيلى « شبتاى طيبت » فى مقال نشرته جريدة « هاآرتس » الإسرائيلية يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ تحت عنوان « عزلة مطبقة » يقول :

عزلة إسرائيل :

« هذه الأيام تظهر إلى أى حد عميقة هى عزلتنا .. أحيانا لا تصدق ما تسمعه أذناك وما تراه عيناك .. ليس فقط أن كل الدول العربية تتحد ضدنا وتلقى الدعم من الدول الإسلامية ، وليس فقط أن دول إفريقيا تقطع علاقاتها معنا فى سلسلة متلاحقة ، وليس فقط أن دول أوربا تفرض علينا الحظر ، وليس فقط أن دولا عظمى كالاتحاد السوفييتى تقف ضدنا ، بل إن دولة عظمى عمليا كالصين ، ترتفع فوق خلافاتها مع الاتحاد السوفييتى وتنسجم فى المعسكر المعادى لنا .. » .

لماذا اصبحت إسرائيل معزولة ؟ :

— ولكن الكاتب المذكور لم يسأل نفسه لماذا أصبحت إسرائيل معزولة بهذا الشكل ؟.. لماذا أخذت كل دول العالم تقريبا هذا الموقف منها ؟ هل الخطأ فى دول العالم كله .. أم الخطأ فى إسرائيل الواحدة التى يتكلم عنها الكاتب ويتحسر ويتباكى لموقف العالم منها ؟. ولو سأل نفسه هذا السؤال لما احتاج لكل هذا التباكى وكل تلك الحسرات .. لأن الإجابة معروفة .. فإسرائيل هى التى وضعت نفسها هذا الموضع .. هى التى تحدت العالم كله .. ولعل الكاتب لا ينسى كيف أن مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة كان يحلو له دائما أن يقف شامخا متحديا عقب كل عدوان إسرائيلى على البلاد العربية ليقول إن إسرائيل لن يهمها ما تصدره الأمم المتحدة من قرارات .. وأنها تعلن مسبقا رفض أى قرار بإدانتها .. بل ويعلن أنها ستمضى فى سياستها رغم احتجاج العالم كله ..

إسرائيل هددت مصالح العالم كله :

ثم إن موقف العالم هذا من إسرائيل لم يكن مجرد تعاطف مع الدول العربية المعتدى عليها .. المشرد جزء من شعوبها .. المسلوبة أجزاء من أراضيها .. المهددة فى أمنها وحاضرها ومستقبلها .. ولكن هذا الموقف هو أيضا نابع من إحساس العالم بأن تعنت إسرائيل وغرورها وصلفها الزائد عن الحد والذى وصل درجة لم تعد تحتمل ولا تطاق .. هذا التعنت قد أصاب دول العالم كله بأضرار كثيرة فى اقتصادياتها ورفاهيتها وتجارتها وصناعتها ، بل وأمنها ذاته ..

إغلاق قناة السويس :

ــ فلقد تسببت إسرائيل بعدوانها فى عام ١٩٦٧ فى إغلاق قناة السويس وقطع أهم شريان للتجارة الدولية مما نتج عنه ارتفاع تكاليف الشحن إلى الضعف تقريبا فأدى ذلك إلى زيادة فى الأسعار والتكاليف دون مبرر .. فضلا عن الشلل الذى أصاب كثيرا من الموانى الأوربية والآسيوية بسبب إغلاق قناة السويس .

خفض إنتاج البترول :

ــ كما كانت إسرائيل بتعنتها وصلافنها هى التى دفعت الدول العربية لتخفيض إنتاج البترول فى محاولة للضغط عليها بواسطة الضغط على العالم كله لإشعاره بضرورة تحركه حركة أكثر إيجابية لإرغام إسرائيل على الانسحاب وحل الأزمة .

آثار أزمة البترول :

ولقد ترتب على الموقف البترولى هذا نتائج خطيرة هددت العالم كله وخاصة دول أوربا الغربية واليابان بكارثة .. وكانت النتائج المباشرة القريبة أن هذه الدول لجأت إلى خفض الإنتاج وتوقف المصانع عن العمل بعض أيام إضافية فى الأسبوع .. مما أدى إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال ونشوء مشكلة البطالة .. فضلا عما أحدثته أزمة البترول من تأثير على حياة الناس اليومية وتدفئتهم ومواصلاتهم .. وحرمتهم من حق قيادة سياراتهم فى أيام أجازاتهم .. ورغم أن إسرائيل كانت هى السبب المباشر لهذا كله إلا أن رئيسة وزرائها لم تخجل من أن تصرح والعالم يواجه عنف الأزمة بأن « رفاهية أوربا لا تهمها » .. فلماذا إذن يتباكون لأن أوربا تخلت عنهم ؟

تعريض العالم لحرب نووية :

ــ ليس ذلك فحسب .. بل لقد تسببت إسرائيل بأسلوب الغدر الذى تتبعه فى تعريض العالم كله لخطر حرب نووية حين واصلت عدوانها بعد قرار وقف إطلاق النار واحتلت أراضى جديدة غرب القناة ، مما دعا الاتحاد السوفييتى للتهديد بالتدخل فردت الولايات المتحدة الأمريكية بإعلان حالة الطوارىء القصوى فى جميع قواعدها الذرية فى جميع أنحاء العالم .. وواجه العالم كله خلال يومى ٢٤ و ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ خطر مواجهة نووية مدمرة بسبب موقف إسرائيل المتسم بالإجرام وعدم احترام التزامها وكلمتها ..

— هل يمكن بعد ذلك كله أن تتباكى إسرائيل لأن معظم دول العالم تخلت عنها ؟!

— تعالوا نحلل مواقف هذه الدول ونرى الصورة من قريب أكثر .. فنبدأ الكلام عن موقف الدول الإفريقية وأسبابه ..

ثم نتكلم عن موقف الدول الأوربية وأسبابه ..

موقف الدول الإفريقية :

منذ عام ١٩٦٠ حين بدأت القارة الإفريقية تدخل عصر الاستقلال والتحرر .. وبدأت الدول الإفريقية المتحررة تنال استقلالها الواحدة بعد الأخرى .. كان الاستعمار يقف هناك .. متخفيا متسللا فى ثوب جديد .. ثوب إسرائيل .. حيث تقدمت وهى تلبس مسوح الرهبان وتحمل أغصان الزيتون .. وتدعى أنها نموذج جديد للدولة المتحضرة .. الدولة النموذج .. تقدمت وعرضت استعدادها للتعاون مع الدول الإفريقية الحاصلة على استقلالها حديثا .. واستعدادها لمد يد المساعدة فى جميع المجالات .. الاقتصادية .. والثقافية .. والعسكرية .. والاجتماعية ..

حقيقة الدور الإسرائيلى فى إفريقيا :

وكان غريبا حقا أن دولة صغيرة فقيرة الإمكانيات كإسرائيل تعيش على المعونات والتبرعات .. تتقدم لتعين غيرها وتقدم المساعدات المالية والعينية للدول الإفريقية المستقلة حديثا وهى تحتاج إلى الكثير .. ولكن الحقيقة التى كان يتعين على الدول الإفريقية أن تكتشفها من أول يوم .. هى أنه ليست إسرائيل هى التى تقدم لهم هذه المساعدات .. وإنما جهات أخرى تحاول التسلل عن طريق إسرائيل .. وأن إسرائيل ما هى إلا قناع .. قناع الاستعمار الجديد الذى اراد أن يعود لإفريقيا من باب آخر غير باب الاحتلال العسكرى .. فأوجد إسرائيل .. لتكون أداته التى يدخل بها عن طريق باب المساعدات والمعونات .. ثم بعد ذلك تأتى مرحلة السيطرة والابتزاز .. وتتكرر مأساة الاستعمار الأوربى لإفريقيا التى بدات ايضا بعرض المساعدات والهدايا على زعماء القبائل مقابل الحصول على امتيازات لشركاتهم .. وخطوة خطوة .. اصبحت هذه الشركات هى المسيطرة والحاكمة ، وذبحوا زعماء القبائل وذبحوا استقلال المنطقة كلها واخضعوها لسيطرتهم مئات السنين ..

إسرائيل تكشف نفسها بالتآمر :

— ولا شك أن اكتشاف إفريقيا لحقيقة إسرائيل تعتبر نقطة تحول خطيرة .. لأن التغلغل الإسرائيلى فى القارة الإفريقية كان قد وصل لدرجة أن إسرائيل أصبحت قادرة على أن تلعب دورها المطلوب منها لحساب المخابرات المركزية الأمريكية فى كثير من البلدان الإفريقية .. كما فعلت فى الكونغو .. ونيجيريا .. وأخيرا فى أوغندا .. ولقد كان موقف الرئيس عيدى أمين هو أشجع المواقف وأكثرها حسما حين اكتشف حقيقة دورها التخريبى فى بلده .. فسارع بطردها وتصفية كل وجود لها بحزم وبلا هوادة ..

— وفى نيجيريا كان موقف إسرائيل من الحركة الانفصالية المسماة « بيافرا » واضحا .. وكانت هى وراءها .. وكان السلاح الذى يتدفق على الانفصاليين معظمه من إسرائيل .. كما ساعدتهاإسرائيل بالجنود والضباط والخبراء .. ورغم ذلك فلم تتخذ نيجيريا من إسرائيل موقفا حاسما مثل أوغندا .. ربما لأن نفوذ الشركات الأمريكية هناك ما زال قويا ومؤثرا ..

علاقة إسرائيل بروديسيا وجنوب إفريقيا :

— أما علاقة إسرائيل بروديسيا وجنوب إفريقيا العنصريتين فمعروف والتعاون بين إسرائيل وبين جنوب إفريقيا بالذات تعاون تام ومطلق فى جميع المجالات .. ويأخذ شكل التكامل .. ويكفى للدلالة على ذلك أن جنوب إفريقيا كانت هى الدولة الوحيدة فى العالم بعد أمريكا التى سارعت بإرسال طائراتها بطياريها إلى إسرائيل لنجدتها .. وكان على الدول الإفريقية جميعها أن تستنتج ما ينبغى استنتاجه إذن من طبيعة هذه العلاقة التى تربط إسرائيل بأعدى أعداء إفريقيا .. بتلك الحكومة العنصرية الاستعمارية البيضاء التى تسيطر على أغنى منطقة فى إفريقيا وتنهب ثرواتها وذهبها لحساب البيض وحدهم بينما أصحاب البلد الأصليون يعيشون فى أسوأ ظروف الحياة وأبأسها ويعاملون معاملة العبيد ..

علاقة إسرائيل بالبرتغال :

— ثم علاقة إسرائيل بالبرتغال التى تعتبر هى الدولة الوحيدة فى العالم التى ما زالت تتمسك باحتلالها الإجرامى لثلاث دول إفريقية .. هى أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو .. وكانت البرتغال هى الدولة الأوربية الوحيدة التى سمحت بمرور شحنات الأسلحة الأمريكية لإسرائيل عبر اراضيها .

— انكشفت إذن حقيقة إسرائيل أمام الدول الإفريقية فى أنها ليست سوى عميل للاستعمار الجديد الذى يحاول التسلل إلى دولهم عن طريقها تحت شعار المعونة والدعوة الحضارية وهى أبعد ما تكون عن روح الحضارة والعصر ..

تعاطف إفريقيا مع مصر :

— وكان موقف إسرائيل المتعنت من مصر وهى إحدى الدول الإفريقية الكبرى واحتلالها لجزء كبير من أرضها بالعدوان .. كان لهذا الموقف أثره على الدول الإفريقية التى كانت قد بدأت تنفتح على مصر وترى فيها شقيقة كبرى صادقة .. طالما تبنت حركات التحرر الإفريقية وفتحت صدرها لكل الأحرار ، وأمدتهم بالعون والمساعدة عن إيمان ورغبة صادقة فى أن ينتصروا ويوسعوا دائرة الدول المتحررة فى إفريقيا ..

منظمة الوحدة الإفريقية :

— ثم كان لإنشاء منظمة الوحدة الإفريقية ودور مصر النشط فيها .. ما كشف حقيقة إسرائيل وما دفع الدول الإفريقية لإعادة النظر فى موقفها من إسرائيل والتنبه لحقيقة الدور الذى تلعبه ..

لجنة الحكماء العشرة :

— وقد بدأ الموقف الإفريقى يتبلور لصالح القضية العربية منذ تشكيل لجنة الحكماء العشرة .. وهم رؤساء عشر دول إفريقية قررت منظمة الوحدة الإفريقية تشكيل لجنة منهم سنة ١٩٧١ لمحاولة الاتصال بإسرائيل وإقناعها بالانسحاب من الأراضى العربية وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم٢٤٢ ، إلا أن هذه اللجنة لم تستطع أن تصل مع إسرائيل إلى نتيجة فقدمت تقريرا بذلك للمنظمة التى بدأت تبحث عن حلول أخرى ..

قرار مؤتمر القمة الإفريقى :

— فى مايو ١٩٧٣ صدر أهم قرار من هذه المنظمة — وهى تضم حاليا ٤٢ دولة إفريقية آخرها غينيا بيساو التى أعلنت استقلالها عن البرتغال من طرف واحد واعترفت بها معظم الدول الإفريقية ووافقت على انضمامها للمنظمة — ونعنى به القرار الصادر عن مؤتمر القمة الإفريقى المنعقد فى أديس أبابا فى مايو ١٩٧٣ والذى كان يقضى بأن حل أزمة الشرق الأوسط يتوقف على الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات الإسرائيلية من جميع

الأراضى الإفريقية والعربية المحتلة واحترام حقوق شعب فلسطين وتأكيد تأييد إفريقيا التام والفعال لموقف مصر ..

قرار مؤتمر عدم الانحياز :

وأعقب ذلك قرار مؤتمر عدم الانحياز المنعقد فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ والذى شاركت فيه دول منظمة الوحدة الإفريقية أيضا بوصفها من دول عدم الانحياز أيضا .. وقد أصدر هذا المؤتمر قرارا حاسما هاما يتعهد بمقتضاه رؤساء الدول الأعضاء بمساعدة مصر وسوريا على تحرير اراضيهما المحتلة والتأييد الكامل للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، مع قرار صريح باتخاذ إجراءات ضد إسرائيل وإعادة النظر فى علاقة دول عدم الانحياز بها إذا واصلت تحدى إرادة العالم ورفضت تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التى تلزمها بالانسحاب ..

الدول الإفريقية تقطع علاقاتها بإسرائيل :

وكانت أول دولة تقطع علاقتها بإسرائيل من دول عدم الانحياز على اثر هذا القرار هى كوبا التى أعلن رئيسها فيدل كاسترو قراره بذلك فى قاعة المؤتمر ذاته وقبل أن ينفض .. ثم بدأت الدول الإفريقية قطع علاقاتها بإسرائيل .. وكانت أول دولة إفريقية تعلن قطع علاقتها بإسرائيل تنفيذا لقرار هذا المؤتمر هى توجو .. ثم زائير .. وبعد اندلاع حرب أكتوبر تتابعت الدول الإفريقية فى قطع علاقتها الدبلوماسية بإسرائيل حتى بلغ عدد الدول الإفريقية التى اتخذت هذا القرار بعد الحرب عشرين دولة .. بالإضافة إلى تسع دول كانت قد قطعت علاقتها قبل الحرب وتسع دول أخرى لم يكن لها مع إسرائيل تمثيل سياسى أصلا وهى الدول العربية الإفريقية الست وموريتانيا والصومال وغينيا بيساو .. وبذلك لم يعد لإسرائيل من علاقة بإفريقيا إلا مع أربع دول فقط هى التى لم تقطع علاقتها بها ، وهذه الدول الأربع تقع فى نطاق نفوذ جنوب إفريقيا وروديسيا اللتين تقفان فى الصف المعادى للدول الإفريقية المتحررة جميعها ولا تحسبان عليها ..

— هذا عن موقف الدول الإفريقية ..

— يبقى بعد ذلك موقف الدول الأوربية واليابان ..

موقف أوربا واليابان :

أوربا التى نعنيها هنا بالذات هى أوربا الغربية لأن دول أوربا الشرقية تلتزم منذ بدء الأزمة بموقف عادل وشريف نابع من صداقتها للعالم العربى ،

ومتفق مع التزامها الأصيل نحو قضايا التحرر العالمية وتأييدها لحركات الشعوب المناضلة فى سبيل استقلالها ضد الاستعمار والاستعمار الجديد .

أوربا الغربية وعلاقتها القديمة بإسرائيل :

— أما دول أوربا الغربية فقد كان لها موقف آخر نابع من كونها فى الأصل هى دول الاستعمار القديم .. وهى التى ساعدت أصلا على قيام إسرائيل وتدعيمها .. إنجلترا مثلا هى التى ساهمت بأكبر قدر من المساعدة فى إنشاء إسرائيل منذ وعد بلفور فى عام ١٩١٧ .. فرنسا قبل ديجول هى الأخرى كان تعاونها مع إسرائيل وثيقا لدرجة لا حدود لها ، وكان كل السلاح الإسرائيلى تقريبا من فرنسا .. ألمانيا الغربية أمدت إسرائيل بأموال طائلة تحت اسم تعويضات النازى .. كما أمدتها بشحنات سرية ضخمة من السلاح كانت هى السبب الذى من أجله قطعت الدول العربية علاقتها معها فى عام ١٩٦٥ ..

نقطة التحول :

— وإذن فإن تغير موقف هذه الدول الثلاث من إسرائيل يعتبر بلا شك نقطة تحول هامة تحسب كرصيد يضاف لحركتنا ويخصم من حساب إسرائيل ..

موقف فرنسا :

فرنسا بالذات كان موقفها واضحا فى صف القضية العربية منذ عدوان ١٩٦٧ ، ورغم ذلك فإن الدور النشط الذى لعبته فى التأثير على المجموعة الأوربية أثناء وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ يعد موقفا إيجابيا سوف يذكره لها العرب دائما .. ونحن لا يمكن أن ننسى مثلا كلمة وزير خارجية فرنسا « روبير جوبير » حين سئل عن رأيه فى « عدوان مصر وسوريا » فقال : « هل يعد الذى يرجع إلى بيته الذى طرد منه معتديا ؟! » .

موقف إنجلترا :

— أما إنجلترا فقد أعلنت حكومتها منذ اليوم الأول للحرب فرض حظر تصدير السلاح للدول المتحاربة ، وكانت هناك صفقات سلاح بينها وبين إسرائيل أوقفتها حتى لا تغضب الدول العربية والتزمت موقف الحياد .

موقف ألمانيا الغربية :

— كذلك حاولت ألمانيا الغربية أن تظهر بمظهر الحياد ، ولكن انكشف

موقفها على أثر خروج السفن الأمريكية من موانيها محملة بالسلاح والذخيرة لإسرائيل مما أثار رد فعل عنيفا ضدها لدى الدول العربية فسارعت بإعلان جهلها لهذه الوقائع .. وأن الحكومة الأمريكية تصرفت دون استشارتها ودون علمها ، ثم سارعت بمطالبة أمريكا بعدم شحن أية أسلحة لإسرائيل من موانيها أو قواعدها .. ورفضت السماح لإحدى السفن الإسرائيلية بحمل شحنة جديدة وأعادتها فارغة ..

بيان وزراء خارجية السوق المشتركة :

— جاء بعد ذلك بيان وزراء خارجية دول السوق الأوربية التسع فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ بمثابة تحديد واضح جديد لموقف أوربا الغربية من القضية وتأييده الصريح للحق العربى .. وقد تضمن هذا البيان مطالبة إسرائيل بالانسحاب الفورى من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ وضرورة احترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وذلك كأساس لأية تسوية لأزمة الشرق الأوسط .. وأعلن البيان عدم السماح بالاستيلاء على الأراضى بالقوة واحترام سيادة وأقاليم واستقلال دول المنطقة ..

بيان مؤتمر القمة الأوربى :

— ثم اجتمع مؤتمر قمة أوربى لرؤساء الدول التسع فى كوبنهاجن فى يومى ١٤ و ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ وأصدر بيانا يؤيد بيان وزراء الخارجية ويؤكده ..

موقف اليابان :

— نفس الموقف أخذته اليابان أيضا .. بعد أن كانت تلتزم مبدأ الصمت وعدم المبالاة إزاء المشكلة ولا تعلن عن حقيقة موقفها ربما لأن **الضغط الأمريكى كان شديدا عليها ، فضلا عن السيطرة الأمريكية** التى تخضع لها اليابان منذ هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية بعد ضربها بالقنبلة الذرية الأمريكية .. اضطرت اليابان بعد حرب أكتوبر وتحت ضغط البترول العربى أن تخرج عن صمتها التقليدى وتصدر بيانا تدعو فيه إسرائيل إلى الانسحاب **من جميع الأراضى العربية التى احتلتها بالقوة** عام ١٩٦٧ .. وقالت فى هذا البيان « إنها قد تعيد النظر فى سياستها تجاه إسرائيل حسب التطورات فى **المستقبل » .. كما أضاف البيان : « أنها ترى وجوب الاعتراف والاحترام لحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى تقرير مصيره** بموجب ميثاق الأمم **المتحدة »** .

— وبالإضافة إلى هذا فقد بدأت اليابان حركة اتصالات نشطة بالدول العربية للمساعدة والتعاون فى المجال الاقتصادى والصناعى والتعميرى ..

موقف الولايات المتحدة :

— أما موقف الولايات المتحدة ومستقبل العلاقة بينها وبين إسرائيل فقد تناولناها كثيرا أثناء الكلام عن موقف الدول العربية وفى مواضع أخرى كثيرة ..

موقف الاتحاد السوفييتى ودول عدم الانحياز :

— بالنسبة لموقف الاتحاد السوفييتى ودول عدم الانحياز فذلك هو موقف الصديق الذى لا يحتاج لإيضاح .. لأن موقف الاتحـــاد السوفييتى بالذات من قضيتنا وتأييدنا واضح لا يحتاج لشرح ..

— أهم ما يمكن أن يقال هنا إن نجاح الجيوش العربية فى استعمال الأسلحة السوفييتية المعقدة والمتطورة قد أعطى الاتحاد السوفييتى ثقة فى العرب واطمئنانا إلى أن السلاح السوفييتى فى أيديهم سوف يكون له فاعلية فى خدمة قضية التحرر والقضاء على العدوان .. وأن عام١٩٦٧ لن يتكرر مرة أخرى .. وهذا بلاشك سوف يكون له آثاره البعيدة والعميقة فى استمرار تأييد الاتحاد السوفييتى لنا وزيادة دعمه لنا بالسلاح المتطور الذى يمكننا أن نواجه به أحدث الأسلحة الأمريكية التى تتدفق على إســـرائيل بغزارة .. والاتحاد السوفييتى فى موقفه هذا سوف يكون مطمئنا تماما إلى أن سلاحه فى يد قوية .. شجاعة .. مؤمنة .. واعية .. قادرة على استعماله وتحقيق النصر به .. انطلاقا من تجربة حرب أكتوبر التى غيرت كل الموازين ومحت مأساة ١٩٦٧ إلى الأبد ..

— بذلك نكون قد انتهينا تقريبا من تغطية معظم نتائج حرب أكتوبر ومواقف الدول .. ولم يبق أمامنا سوى الكلام عن مؤتمر جنيف واحتمالات نجاحه أو فشله ..

***

خامسا : مؤتمر السلام فى جنيف

كان الرئيس أنور السادات هو أول من اقترح فكرة مؤتمر الســـلام الدولى لوضع قواعد وضوابط سلام دائم فى المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوبها ..

جاء ذلك فى خطابه الذى القاه بمجلس الشعب يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ والمعارك محتدمة على أشدها .. قال الرئيس : « إننا على استعداد فور إتمام الانسحاب من كل هذه الأراضى (يقصد الأراضى المحتلة فى يونيو ٦٧) أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة ، لكى يشارك معنا ومع مجتمع الدول فى وضع قواعد وضوابط لسلام فى المنطقة ، يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة » .

— وقد أصدر مجلس الأمن قراره الخاص بوقف إطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، ويقضى هذا القرار فى الفقرة الثالثة منه بتبنى فكرة مؤتمر السلام الدولى هذه .. وقد نصت هذه الفقرة من القرار على : « يقرر أن تبدأ فورا وفى نفس الوقت مع وقف إطلاق النار المحادثات بين الأطراف المعنية تحت (الإشراف المناسب) بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط » .

الإشراف المناسب للأمم المتحدة :

— وقد تم الاتفاق فى مجلس الأمن بعد ذلك على أن الإشراف المناسب المقصود هو إشراف الأمم المتحدة ..

— وتم وضع الترتيبات اللازمة لعقد المؤتمر فى قصر الأمم المتحدة بمدينة جنيف بسويسرا .. وتقرر أن يقوم سكرتير عام الأمم المتحدة برئاسة الجلسات الافتتاحية للمؤتمر ثم يتناوب الرئاسة مندوبا الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية بحضور وإشراف ممثل الأمم المتحدة الذى يعتبر عضوا أصليا فى المؤتمر وليس مجرد مراقب .

— وتم الاتفاق على أن يشكل المؤتمر فى مرحلته الأولى من الدول المعنية وهى مصر وسوريا والأردن وإسرائيل ومن الدولتين العظميين روسيا وأمريكا ، وذلك كله تحت إشراف الأمم المتحدة ويمثلها السكرتير العام للمنظمة الدولية أو من ينيبه عنه ..

— كما اتفق على أنه فى مرحلة متقدمة من المؤتمر يمكن أن تشترك منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى وصاحبة الحق الأول والأخير فى التحدث باسمه والاتفاق على تحديد حقوقه المشروعة ومطالبه من مؤتمر السلام .

— كما اتفق أيضا على أنه فى هذه المرحلة المتقدمة يمكن أن تشترك

لبنان أيضا باعتبارها إحدى دول المواجهة التى لها حدود مشتركة مع إسرائيل ويهمها أن تكون طرفا فى أى اتفاق دولى للسلام لضمان حدودها هذه وأمنها .

— كما تم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر جلسته الافتتاحية صباح يوم الجمعة الموافق ٢١ ديسمبر ١٩٧٣

أهداف المؤتمر :

— وتحددت أهداف المؤتمر فى النقط التالية :

١ — وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والذى يقضى بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ وهى شبه جزيرة سيناء .. وقطاع غزة .. وهضبة الجولان السورية .. ومدينة القدس العربية .. والضفة الغربية لنهر الأردن ..

٢ — الاتفاق على أسس التسوية السلمية الشاملة لمشكلة فلسطين ، وذلك بوضع حل نهائى للمشكلة يضمن حماية حقوق شعب فلسطين وإعادتها إليهم .

ما هى حقوق شعب فلسطين ؟ :

رأينا من قبل أن إسرائيل لم يكن لها وجود فى الأصل .. وكانت كل أرض إسرائيل الآن أرضا فلسطينية ومعظم أملاكها الآن كانت أملاكا للشعب الفلسطينى .. وقد طرد الشعب الفلسطينى من أرضه وسلبت منه أملاكه على أثر المذابح الصهيونية والحرب الدامية التى نشبت فى عام ١٩٤٨ والتى استعدت لها المنظمات الإرهابية الصهيونية بمساعدة القوات الإنجليزية والدعم الأمريكى .

ومنذ ذلك الوقت والشعب الفلسطينى مشرد فى الخيام ويقيم فى معسكرات لاجئين فى كل من سوريا ولبنان والأردن ومصر ، وتشرف منظمة الإغاثة واللاجئين التابعة للأمم المتحدة على هذه المعسكرات وتقدم للاجئين الفلسطينيين معونات تافهة لا تكفى للحد الأدنى اللازم لحياتهم ، مما جعلهم يعانون أقسى ظروف الحياة بعيدا عن وطنهم وأملاكهم وبيوتهم ..

مأساة اللاجئين :

ويبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين مليونين .. وقد عاشوا طويلا فى

بؤس ويأس على أمل أن يتحرك الضمير الدولى لإنقاذهم وحل مشكلتهم ورد حقوقهم إليهم .. ولكن أحدا لم يتحرك مما كان سيترتب عليه مع مضى الوقت ضياع حقوقهم ونسيان قضيتهم ..

حركة المقاومة الفلسطينية :

وهذا ما دعا الشباب الفلسطينى إلى التجمع وإعلان الكفاح المسلح ، وكانت منظمة فتح هى أول منظمة تخوض هذا الميدان وتبدأ عملياتها المسلحة ضد إسرائيل فى يناير ١٩٦٥ .. ثم اتسع نطاق حركة المقاومة الفلسطينية حتى أصبحت الحركة اليوم تشكل قوة لا يستهان بها تضم ما لا يقل عن ستين ألف مقاتل ، كل منهم على استعداد أن يضحى بحياته من أجل استرداد حقوق شعبه ووطنه .. وتخوض المقاومة الفلسطينية منذ نشأتها حتى الآن حرب عصابات ضارية ضد إسرائيل بهدف استنزافها وتحطيم نظامها العسكرى العنصرى المعادى لحق الشعب الأصلى فى الحياة والحرية .. ولم تعترف المقاومة بقرارات وقف إطلاق النار وتعتبر نفسها فى حرب مستمرة متواصلة ضد إسرائيل استنادا إلى حق الدفاع الشرعى عن الشعب المسلوبة حريته .

لا سلام بدون حقوق الشعب الفلسطينى :

ومما لا شك فيه أن أى حل للمشكلة القائمة بين العرب وإسرائيل لن يترتب عليه السلام الدائم ما لم تحل مشكلة الشعب الفلسطينى ويتم الاتفاق مع المقاومة باعتبارها ممثلة لنضال الشعب الفلسطينى من أجل حقوقه .. وبدون هذا الاتفاق فإن المقاومة سوف تستمر .. كما أن الدول العربية لن تتخلى عنها وسوف تستمر فى دعمها وتأييدها مما يجعل النزيف بين إسرائيل والدول العربية مفتوحا ومستمرا إلى ما لا نهاية ..

— أيا كان الأمر فإن مؤتمر جنيف سوف يبحث هذه المسائل كلها ويضع لها الحلول الضرورية التى تضمن إنهاء المشكلة ووضع حد نهائى لها إذا كان المطلوب هو قيام سلام عادل ودائم .. لأنه بدون هذا .. بدون حل المشكلة الفلسطينية أساسا فإن هذا السلام الدائم العادل لن يقوم أبدا ..

***

الجلسة الافتتاحية للمؤتمر :

— وقد تم افتتاح مؤتمر جنيف فعلا صباح يوم الجمعة ١٩٧٣/١٢/٢١ بقصر الأمم بجنيف بحضور جميع الأعضاء ما عدا سوريا ..

موقف سوريا من المؤتمر :

ــ أعلنت سوريا قبل افتتاح المؤتمر بأيام أنها لن تحضر المؤتمر رغم موافقتها على قرار مجلس الأمن الذى نص على عقد المؤتمر والتزامها به .. وأن سوريا ما زالت تقبل هذا القرار ولكنها تأبى أن تدخل فى طريق يقلب المؤتمر إلى مؤتمر خديعة وميدان للمناورات تركز فيه على قضايا جانبية ــ كمسألة الفصل بين القوات ــ كى يضيع الهدف الرئيسى الذى ينعقد من أجله المؤتمر وهو تنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

مصر تقدر الموقف السورى :

ــ وقد أعلنت مصر أنها تقدر الموقف السورى وتتفهمه ولكنها تحضر المؤتمر حتى تفوت على إسرائيل إمكانية المراوغة والتعلل بأن العرب هم الذين رفضوا السلام .

ــ ولا شك أن سوريا ستحضر المؤتمر فيما لو ثبتت جدية موقف إسرائيل واستعدادها للدخول فى مناقشات مثمرة يمكن أن توصل إلى حل لكل المشاكل المطروحة ..

موقف مصر من المؤتمر :

ــ وقد حدد الرئيس السادات لوزير الخارجية المصرى أربع نقط طلب إليه الالتزام بها فى موقفه من المؤتمر وهى :

١ ــ أن مصر ملتزمة التزاما جديا بقرار مؤتمر القمة العربى الأخير فى الجزائر وذلك فيما يتعلق بالانسحاب من كل الأراضى التى احتلت بعد سنة ١٩٦٧ ، وكذلك بإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ..

٢ ــ أن مصر وهى تحضر مؤتمر جنيف ليست مستعدة لأية مساومات على أرض .

٣ ــ أن مصر فى هذا المؤتمر لا تجرب حل مشكلة مصرية ، وإنما هى تتحمل مسئولية قومية كاملة تتعلق بكل الحقوق والأراضى العربية .

٤ ــ أن مصر تفهم أسباب تغيب سوريا عن المؤتمر وهى تعتبر نفسها ــ بحكم وحدة ميدان القتال مع سوريا فى حرب أكتوبر ــ مسئولة عن سلامة التراب السورى بنفس مسئوليتها عن سلامة التراب المصرى .

كلمة مصر فى المؤتمر :

— وقد أعلن وزير خارجية مصر فى كلمته التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية أن مصر جاءت إلى المؤتمر بهدف إقرار سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .. وقال إنها ستكون مأساة حقيقية إذا فشلت إسرائيل فى انتهاز هذه الفرصة لتتناول المشكلة وتتخلى عن مبدأ أن وجودها يمكن أن ينبنى على العدوان .. وأضاف الوزير المصرى قائلا : إن الدول العربية جاءت إلى المؤتمر وهى مستعدة لوضع أساس صرح السلام فى الشرق الأوسط ، وإذا لم تفهم إسرائيل الدلالة العميقة لهذا التجمع فإن الدول العربية سوف تلجأ إلى وسائل أخرى لتحرير اراضيها واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ..

— وأوضح أخيرا أن هناك خمسة أمور ضرورية لإقرار السلام فى الشرق الأوسط هى :

١ — الانسحاب الشامل لقوات إسرائيل من كافة الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧

٢ — تحرير القدس العربية وعدم قبول أى وضع قد يلحق ضررا بالسيادة العربية الكاملة على المدينة المقدسة ..

٣ — ممارسة الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير مصيره وأن يعيش فى سلام وكرامة .

٤ — حق كل دولة فى المنطقة فى التمتع بتكاملها الإقليمى واستقلالها السياسى .

٥ — أن تكون هناك ضمانات دولية من جانب الدول الكبرى أو الأمم المتحدة أو من كليهما كضمان إضافى للأمن والسلم الدولى فى المنطقة .

— واختتم وزير الخارجية المصرى بيانه بقوله : « إن تصميم مصر على العمل من أجل السلام لا يعادله سوى تصميمها على ان تحقق بطريقة أو بأخرى تحرير الأرض واستعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . وأن أى محاولة من جانب إسرائيل للمساومة أو المقايضة فإنها تعنى تدمير كل الآمال المعقودة على أن يحقق هذا المؤتمر الهدف الذى عقد من أجله » .. وأضاف : « إننا نأمل أن تكون إسرائيل قد فهمت الآن ان مصر والدول العربية لا يمكن أن تهزم بالقوة أو تسمح بأن تبقى أرضها تحت الاحتلال ، كما أن

العرب لن يقبلوا أن تستمر المعاملة غير الإنسانية للشعب الفلسطينى ، كما لن نقبل أن تبقى القدس (مدينة السلام) تحت نير الغزاة » .

كلمة الاتحاد السوفييتى :

— أما وزير خارجية الاتحاد السوفييتى فقد حدد موقف بلاده بقوله : « إن سياسات إسرائيل قد خلقت موقفا لا يحتمل فى الشرق الأوسط .. وأن من الواضح تماما أن الدول العربية لن توافق على الإطلاق على التخلى عن الأراضى التى أخذت منها فى حرب ١٩٦٧ ، وأن الاتحاد السوفييتى يتفهم هذا الموقف تفهما كاملا ويؤيد الدول العربية .. » .

وقال فيما يتعلق بحقوق الشعب الفلسطينى : « إنه لابد من تأييد حق العيش فى سلام وأمن لجميع شعوب الشرق الأوسط ، وهذا ينسحب أيضا على إسرائيل ، كما أن المفروض تأمين العدالة لشعب فلسطين العربى لأن له أيضا حق العيش فى سلام وعدل ، وطالب بإشراك ممثلى الشعب الفلسطينى فى أعمال المؤتمر .

— وأنهى وزير الخارجية السوفييتى كلمته بقوله : « إن مشكلة الشرق الأوسط يمكن حلها .. وأننا نعيد تأكيد ذلك ، ولكننا نحذر من أن نيران الحرب فى الشرق الأوسط يمكن أن تندلع فى أية لحظة ، وأن أى إرجاء آخر للحق يمكن أن يكون شديد الخطورة ، ونحن نأمل أن يتفهم ذلك تماما جميع الحاضرين فى هذه الحجرة » . وقال : « أنه إذا لم يستقر السلام فى الشرق الأوسط فإن مصير العالم كله سيكون معرضا للخطر » .

كلمة الولايات المتحدة الأمريكية :

— أما وزير خارجية أمريكا فقد حدد موقف بلاده بقوله : إنهيوافق على « اتفاقية سلام » من بين ما تشمله البنود التالية :

١ — انسحاب القوات .

٢ — الحدود المعترف بها .

٣ — ترتيبات الأمن .

٤ — اتفاقيات حول الحقوق المشروعة للفلسطينيين .

٥ — الاعتراف الواقعى بأن القدس تعد موطنا لأماكن مقدسة للديانات الكبرى الثلاث .

والواضح من هذا أن أمريكا لا تحدد موقفها بوضوح .. بل بنقط عامة غامضة .. فلا هى تحدد طبيعة الانسحاب ولا إلى أى مدى .. كما أنها تشير إلى فكرة تدويل القدس باعتبارها موطنا لأماكن مقدسة للديانات الثلاث وتنسى أنها كانت دائما كذلك فى ظل الادارة العربية لأنها مدينة عربية قبل أىّ شىء آخر ، وأن العرب يحترمون قبل غيرهم حق الديانات الثلاث فى احترام أماكنها المقدسة ورعايتها ..

كلمة وزير خارجية إسرائيل :

أما وزير خارجية إسرائيل فقد أعلن منذ اللحظة الأولى مبادىء يمكن أن تنسف المؤتمر وتنسف كل أمل يعلقه العالم على نجاحه .. هذه المبادىء هى :

١ — أن هدف المؤتمر هو التفاوض .

٢ — أن إسرائيل لا يمكنها العودة إلى خطوط الهدنة السابقة التى كانت قائمة عام ١٩٦٧

٣ — أن إسرائيل لن تعيد كل الأراضى العربية لأنها تريد بعضها لكى تكون حدودا آمنة ضد الهجمات .

٤ — أنه بالنسبة للفلسطينيين فإن دولتهم ينبغى أن تقوم فى الأردن بمجرد أن تكون هناك تسوية إقليمية ..

٥ — بالنسبة للقدس فإن إسرائيل لا تمانع أن تكون للعرب السيادة على الأماكن المقدسة فى القدس الشرقية ، ولكنها لن تعيد المدينة للأردن »

***

انتهاء المرحلة الأولى للمؤتمر :

فى اليوم التالى عقد المؤتمر جلسة قصيرة قرر فيها إنهاء المرحلة الأولى على أن تستمر الاجتماعات على مستوى السفراء والمندوبين وأن يعود المؤتمر للانعقاد على مستوى وزراء الخارجية كلما اقتضت التطورات ذلك .. كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة عسكرية لبحث مسألة الفصل بين القوات .. وقد أصدر المؤتمر بيانا عن أعماله فى هذه الدورة جاء فيه : « بعد المناقشات الرسمية وغير الرسمية ، توصل المؤتمر إلى اتفاق فى الرأى على مواصلة أعماله عن طريق إنشاء لجنة عمل عسكرية ، ولجان عمل أخرى قد يرغب

المؤتمر فى إنشائها فى وقت ما فى المستقبل . وستبدأ لجنة العمل العسكرية فورا فى بحث مسألة الفصل بين القوات ، وستقدم لجان العمل تقارير عن نتائج أعمالها وتوصياتها إلى المؤتمر المستمر على مستوى السفراء على الأقل، وسوف ينعقد المؤتمر على مستوى وزراء الخارجية فى جنيف إذا اقتضت التطورات ذلك » .

***

اتفاق الفصل بين القوات

شكلت اللجنة العسكرية التى نص عليها بيان المؤتمر من ضباط مصريين وإسرائيليين تحت رئاسة قائد قوات الطوارىء الدولية لبحث مسألة الفصل بين القوات على جبهة قناة السويس ..

وبدأت هذه اللجنة اجتماعاتها يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ وواصلت اجتماعاتها على مدى أسبوعين تقريبا ولكنها ظلت تدور فى حلقة مفرغة دون أن تصل إلى شىء نتيجة الموقف الإسرائيلى الذى كان يحاول كسب الوقت ..

والحقيقة أن مراوغة إسرائيل لم تكن تعكس قوتها بقدر ما كانت تعكس طبيعة متأصلة فى سلوكها بوجه عام وهى طبيعة المساومة ومحاولة تحقيق أى كسب بأية طريقة حتى ولو كان الموقف كله فى غير صالحها .. ولقد كان الموقف فعلا فى غير صالحها .. فقد استطاعت قواتنا المسلحة أن تحكم حصارها حول القوات الإسرائيلية المتسللة غرب القناة ، وأن تضعها بين فكى كماشة ، وأن تنزل بها ضربات يومية شديدة العنف جعلتها فى وضع شديد حرج .. صعب الاحتمال .. وقد كان استمرار هذا الوضع يشكل كارثة قيقية بالنسبة لإسرائيل لأنه كان عليها أن تقدم كل يوم مزيدا من القتلى الجرحى .. وأن تظل كل قواتها فى حالة تعبئة قصوى .. فضلا عن تكاليف الباهظة التى كانت تتكلفها اقتصاديا ومعنويا نتيجة لاستمرار هذا الوضع ..

— ورغم هذا كله فقد حاولت إسرائيل المراوغة والخروج من المأزق بأى كسب .. ورفضت مصر بشدة تمكين إسرائيل من أهدافها .. ومن هنا وصلت المباحثات العسكرية — التى أجريت عند الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس — إلى طريق مسدود حتى قيام الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى بزيارته المشهورة للمنطقة ورحلاته اليومية بين أسوان وتل أبيب على مدى أسبوع كامل حتى تم الاتفاق يوم ١٨ يناير عام ١٩٧٤،

لماذا رضخت إسرائيل ؟ :

— وقبل أن نخوض فى بيان تفاصيل الاتفاق نود أن نوضح حقيقة هامة هى أن هذا الاتفاق كان يعكس حقيقة الوضع القائم على غرب قناة السويس وحقيقة المأزق الذى وجدت فيه القوات الإسرائيلية نفسها هناك .. ذلك أنه لم يكن أمام إسرائيل من حل آخر سوى الرضوخ أو الحرب .. وهذا هو ما عبرت عنه جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وهى تقدم للكنيست (مجلس النواب الإسرائيلى) مشروع الاتفاق الخاص بالفصل بين القوات .. إذ قالت : « إن إسرائيل لم يكن أمامها من بديل لتوقيع اتفاق الفصل بين القوات الإسرائيلية والمصرية على جبهة قناة السويس سوى مواجهة حرب جديدة مع مصر » .

— ونفس المعنى عبر عنه موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى بقوله وهو يدافع عن الاتفاق أمام الكنيست أيضا : « إذا كنا لا نستطيع الحصول على اتفاق أفضل فلابد لنا أن نسأل .. ما هو البديل ؟.. إنه ليس عندى شك فى أن الموقف الحالى كان سيؤدى إن عاجلا أو آجلا إلى اندلاع الحرب من جديد .. ومن منكم يعتقد أن جولة أخرى من الحرب ستمكننا من تحقيق السلام الذى نريده ..؟ إننى شخصيا لا أعتقد ذلك .. إن وجهة النظر القائلة بأن على إسرائيل أن تحتفظ بمواقعها فى الضفة المصرية من القناة وجهة نظر خاطئة .. إنها ربما تؤدى إلى انتصار براق ، ولكنه لا يؤدى بدوره إلا إلى حال حرب دائمة ، ولذلك فلقد كان لزاما علينا أن نبحث عن حل آخر لا يعرض أمن إسرائيل للخطر » .

— ذلك هو السبب الحقيقى لرضوخ إسرائيل .. وهو السبب الحقيقى للمساعى التى بذلها الدكتور هنرى كيسنجر .. فقد كان يسعى أولا وقبل أى شىء آخر لتخليص إسرائيل من المأزق الخطر الذى وقعت فيه باتفاق ينقذ ماء وجهها ويجنبها كارثة محققة فيما لو استمر الوضع على ما هو عليه ..

— ومن خلال هذه الزاوية وحدها يجب علينا أن ننظر لجهود كيسنجر ومساعيه .. فالرجل لم يكن يصنع شيئا جديدا على أمريكا .. إنه كان منسجما تماما مع خط السياسة الأمريكية الملتزم بحماية إسرائيل وضمان أمنها .. وكان هذا الاتفاق هو الطريق الوحيد لحماية إسرائيل وضمان أمنها .. رغم أنه اتفاق فى صالحنا تماما .. ولكنه فى الواقع — كما قالت جولدا مائير نفسها — يعكس حقيقة انتصارات مصر فى الأيام الأولى للحرب ..

أهم مبادىء الاتفاق :

وتقضى أهم مبادىء الاتفاق بما يلى :

أولا : تنسحب القوات الإسرائيلية الموجودة غرب قناة السويس انسحابا تاما عن غرب القناة .

ثانيا : تنسحب القوات الإسرائيلية بعد ذلك شرق القناة إلى عمق ٣٢ كيلومترا بعيدا عن القناة بحيث تصبح خطوطها الجديدة عند سفوح منطقة الممرات .

ثالثا : تحتفظ القوات المصرية بكل مواقعها شرق القناة وتنتشر على طول الضفة الشرقية لها من الشمال حتى الجنوب بخط مستقيم يصل عمقه إلى سبعة عشر كيلو مترا وذلك مع تخفيف للقوات والأسلحة ..

رابعا : تنشأ منطقة عازلة بين القوات الإسرائيلية والمصرية عرضها عشرة كيلومترات بطول الخط تتمركز فيها قوات الطوارىء الدولية لتكون منطقة فصل بين القوات .

خامسا : إن هذا الاتفاق لا يعتبر اتفاق سلام نهائيا ولكنه يشكل خطوة أولى نحو السلام .

— وقد تم الاتفاق على أن يبدأ انسحاب القوات الإسرائيلية من يوم ٢٥ يناير وينتهى يوم ٥ مارس وذلك على مرحلتين .

المرحلة الأولى : من ٢٥ يناير حتى ٢١ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الإسرائيلية تماما من غرب القناة .

المرحلة الثانية : من يوم ٢٢ فبراير حتى ٥ مارس ، ويتم فيها انسحابها إلى مواقعها الجديدة غرب الممرات .

الاتفاق لا يعنى حل المشكلة :

— ورغم أن العالم كله قد أجمع على أن الاتفاق يعد نصرا كبيرا لمصر ويجعلها فى الوضع العسكرى الأفضل كما يقول المراسل العسكرى لصحيفة النيويورك تايمز الأمريكية .. أو كما يقول المصدر الرسمى الفرنسى تعليقا على الاتفاق « إننا نستطيع الآن أن نقول بعد ثلاثة أشهر من النجاح العسكرى المصرى أن ما حدث فى أكتوبر أصبح أمرا مسلما به » .. رغم هذا كله فإن مصر لا تنظر لهذا الاتفاق على أنه نصر أو شىء من هذا القبيل ..

فالاتفاق قد أزاح فعلا كابوسا ثقيلا عن قطعة غالية من أرض مصر .. ولكنه كان محكوما عليه لو لم ينته هذه النهاية بنهاية أخرى أبشع .. ولذلك فإن النظرة الصحيحة للاتفاق يجب أن تبقيه فى وضعه الصحيح على أنه اتفاق عسكرى ليس الهدف منه سوى فك الاشتباك بين القوات المتحاربة والفصل بينها تنفيذا لقرار وقف إطلاق النار .. وذلك لتمهيد الطريق أمام مؤتمر جنيف حتى يؤدى دوره فى حل المشكلة الأصلية التى لم تحل حتى الآن ، وذلك بعد الاتفاق على فصل القوات أيضا على الجبهة السورية ، وذلك هو شرط مصر لاستئناف العمل فى مؤتمر جنيف المنوط به حل المشكلة كلها .

احتمالات المستقبل :

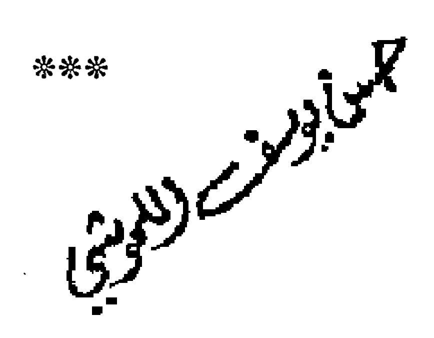
— وأيا كان الأمر فإن المؤتمر إذا لم ينجح فى حل المشاكل المطروحة عليه طبقا للحقوق المشروعة للدول العربية وأهمها الهدفان اللذان من أجلهما قامت حرب أكتوبر وهما :

١ — الانسحاب الكامل من الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى عام ١٩٦٧

٢ — الاعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطينى ..

— فإن العودة إلى ميدان القتال ستكون هى البديل الوحيد المطروح أمام العرب .. وفى هذه الحالة فإنهم لن يثقوا فى وعود دولية أو ضمانات من الدول الكبرى .. لأن الحل الوحيد الممكن حينئذ سيكون هو الحل الذى يستطيع العرب أن يفرضوه على أرض المعركة لا غيرها .. وقد وضع مؤتمر القمة العربى فى الجزائر استراتيجيته المقبلة على هذا الأساس .. والأيام المقبلة كفيلة بالكشف عن مصير القضية .. فالصراع طويل ومرير ولكنه فى النهاية لابد أن يحسم لصالحنا لأننا أصحاب الحق .. ونملك القوة اللازمة لفرض حقنا ..

***



الفهرست

الفصل الثالث
بدء العمليات ومعركة العبور

الفصل الرابع
المعركة فى الجولان وسيناء
وملحمة السويس المجيدة

الفصل الخامس
نتائج الحرب

رقم الايداع ٢٦٢٧/١٩٧٤

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ — المنطقة الصناعية
العباسية

●● المؤلف والكتاب :

● المستشار السيد الشوربجى مؤلف هذا الكتاب من مواليد السويس سنة ١٩٣٠ ويعمل مستشارا مساعدا بادارة قضايا الحكومة وهو من الكتاب المهتمين بالقضايا العامة .. وقد أصدرت له مصلحة الاستعلامات كتابا عن حرب الجزائر عام ١٩٦٠ تحت عنوان « سقوط ديجول » من جزئين .. كما أصدرت له دار الكاتب العربى مسرحيتين من مسرحياته هما « الغريب » و « الزنزانة » . وأصدرت له مطبعة دار التأليف روايه طويلة عن نكسة ١٩٦٧ بعنوان « أطول يوم فى تاريخ مصر » .. كما قدمت له الاذاعة عديد من المسلسلات والتمثيليات منها مسلسلته عن معركة بورسعيد « عشرة أيام فى نوفمبر » ومسلسلة « مأساة سرحان » عن سرحان بشارة سرحان ومسلسلة « أيام الغضب » عن المرحلة التى أعقبت نكسة يونيو .. كما قدم له المسرح عديد من المسرحيات منها مسرحية الزنزانة (المسرح الحديث) والبلياتشو (المسرح القومى) والوصية (مسرح الاسكندرية) ومهرجان الضحك (مسرح الجيب) والقصر (المسرح القومى) وتصدر له قريبا مسرحية جديدة عن حرب أكتوبر بعنوان « حبوب الشجاعة » ..

● وهذا الكتاب دراسة شاملة عن حرب أكتوبر وأسبابها ونتائجها يعرضها المؤلف فى خمسة فصول : الأول عن أسباب الحرب وأهدافها ، والثانى عن مرحلة الاعداد للحرب ، والثالث عن معركة العبور ، والرابع عن معركة الجولان وسيناء ومعركة السويس ، والفصل الأخير عن نتائج الحرب واحتمالات المستقبل .

● والكتاب مزود بكثير من الصور والخرائط ويعتبر مرجعا شاملا عن حرب أكتوبر .